


BOBST LIBRARY

3 1142 00798 7269



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

DATE DUE

NEW YORK UNIVERSITY

NEW YORK UNIVERSITY

DATE DUE

DATE DUE

NEW

C
I
R
C

AUG 21 1992

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

C
I
R
C

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

APR 20 1992

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

C
I
R
C

NEW YORK UNIVERSITY

MAR 21 1993

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

C
I
R
C

C
I
R
C

C
I
R
C

C
I
R
C

APR 27 1993

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

C
I
R
C

R C FEB 13 1986 R C
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

R C APR 19 1990 R C
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
C I R C
DEC - 2 1991
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
C I R C
MAY 17 1990
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
C I R C
FEB 25 1992
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
C I R C
JAN - 3 1992
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
C I R C
MAR 25 1992
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
C I R C
JAN 30 1992
70 WASHINGTON SQ. S.







نورناز الجليل سيو ثبيت موفالهي افندي ر

عالي

مطبوعات معهد اللغات الشرقية - كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (١)

NĀṢIR - I KHUSRAW

سفرنامه

/SAFARNĀMAH/

نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه
الدكتور

كتبه باللغة الفارسية
الرحالة

بيحي الخشاب

ناصر خسرو علوي

الطبعة الأولى

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٦١ - ١٩٤٥ م

DS

46

.N 312

1945

c. 1

AUG 4 1983

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى أستاذنا الجليل عبد الوهاب عزام

تجلة تليد وتحية صدق .

بجبي الخطاب

١٢ ابريل سنة ١٩٤٢

التسمية

وانه يراه في الله والحمد لله رب العالمين

في سنة الف وستمائة

الشيخ

محمد بن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

١

كانت سعة العالم الإسلامي ، وتناني أطرافه ، واتصال أفكاره بعضها ببعض من دواعي الأسفار البعيدة ، والرحلات المديدة . فالبلاد على تباعدها متعارفة ، والسبل على طولها متواصلة . فما يبرح الإنسان بلداً إلى آخر إلا وجد البلد الذي رحل إليه موصولاً ببلد آخر أبعد منه وهلمَّ جرّاً . ولا يجد الراحل ما يعوقه من اختلاف الأمم واللغات ، وتقاطع الأقطار وانقطاع الصلات .

وكان الحج إلى البيت الحرام وزيارة المدينة المنورة مما زاد المسلمين إنداماً على الأسفار ، وتمرساً بها ومراناً عليها . إلى أسباب أخرى .

ومن أجل هذا سن العلماء الارتحال إلى البلاد القاصية في طلب العلم ولقاء الشيوخ ، فلم يكن ينزه عالم ويركن إلى علمه حتى يطوف في الأقطار يلقى كبار العلماء وأجلّاء الشيوخ ويحصل العلم من شيوخ كثيرين في بلاد مختلفة .

وكان كل راحل للحج أو العلم أو التجارة أو غيرها يحدث بما رأى ويصف ما شهد ، فكانت أخبار الرحلات والأسفار مثبتة في كتب التاريخ وتقويم البلدان وفي سير العلماء ونحوها .

٢

ثم نشأت على مر الزمان طائفة من الرّحّالين جعلوا مقصدهم وصف أسفارهم ، وتسجيل تجاربهم في كتب يجد قارئها من الأخبار المتصلة ، والأوصاف المتتابعة ، والتدقيق في تسجيل الحوادث والمشاهد ما لا يجده في كتب التاريخ والسير التي تعنى أول ما تعنى بالحوادث مشهودة ومروية ويأتي خلالها وصف البلاد وأهلها تبعاً .

وعرفت في العالم الإسلامي الكتب التي سميت الرحلات . وهي في مجملها وصف
إنسان أسفاره وما شهد فيها من أرض وبلاد وأمم ودول وملوك وعلماء وعادات وأخلاق .

٣

أقدم ما عرفنا من الرحلات رحلة ابن فضلان رسول الخليفة المقتدر بالله العباسي إلى
بلاد البلغار القديمة ، وكانت على نهر إتل (القلجا) وقد عرفناها بفصل منها نقله ياقوت
في معجم البلدان وكانت هذه الرحلة في القرن الثالث الهجري .

ومن الرحلات المعروفة الباقية إلى يومنا رحلة ابن جبير في القرن السادس الهجري ،
ورحلة أبي الحسن الهروي الموصل في القرن نفسه ، ورحلة البلوي المغربي وابن بطوطة
المغربي في القرن الثامن ، ورحلات أخرى تواتت إلى هذا العصر .

٤

ومن أقدم الرحلات المعروفة رحلة الشاعر الفارسي المتفلسف ناصر خسرو ، وهي رحلة
تقع حوادثها بين سنة ٤٣٧ و سنة ٤٤٤ هـ ، فهي قبل رحلة ابن جبير بأكثر من مائة سنة
ويجول صاحبها في بلاد إيران . مبتدئاً من مرو في خراسان ماراً بأذربيجان وأرمينية
والشام وفلسطين ومصر والحجاز ونجد وجنوبي العراق ، ويعود إلى إيران منتهداً إلى مدينة
بلخ في خراسان .

ولمصر من هذه الرحلة النصيب الأكبر ، فقد أقام بها الرحالة أكثر من ثلاث
سنوات ذهب أثناءها إلى الحجاز . وقد عني بوصف ما شهد فيها أيام الفاطميين ، وكان
الرجل شيعياً فسرّه ما رأى من سلطان الفاطميين في مصر فنشط لوصف والتسجيل .

قدم مصر من فلسطين وحج للمرة الأولى من طريق القلزم وركب البحر إلى الجار على
ساحل الحجاز وعاد من هذه الطريق . ثم فارق مصر إلى الحجاز من طريق أسوان
وعيذاب وركب السفينة من عيذاب إلى جدة . فقد جاب مصر من مدينة تنيس في بحر
الروم إلى عيذاب على بحر القلزم .

ووصف مصر يشغل نحو ثلث الكتاب ما بين صفحة ٣٧ و صفحة ٧٤ ويجد فيه

القارئ صفحات طريفة ممتعة ، يجد أحياناً حقائق لا يظفر بها قارئ كتب التاريخ والرحلات .

انظر قوله عن دور القاهرة ص ٥٠ :

« وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة ، وهي بعيدة بعضها عن بعض ، فلا تنمو أشجار بيت على سور بيت آخر ، ويستطيع كل مالك أن يعمل ما ينبغي لبيته في كل وقت ، من هدم أو إصلاح ، دون أن يضايق جاره » .

٥

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية الدكتور يحيى الخشاب ، وعلق عليه تعليقات مفيدة ، وقدم له مقدمة قيّمة في تاريخ الشاعر وعصره وكتابه ، وقرر معهد اللغات الشرقية نشره فكان أول منشوراته ولعله فاتحة مباركة وحلقة في سلسلة متصلة من المؤلفات القيمة ينشرها المعهد من بعد بتوفيق الله تعالى .

ونشر هذا الكتاب بالعربية اليوم أمنية طال انتظارها ، ورجح محقق لقراء العربية عامة والمصريين منهم خاصة .

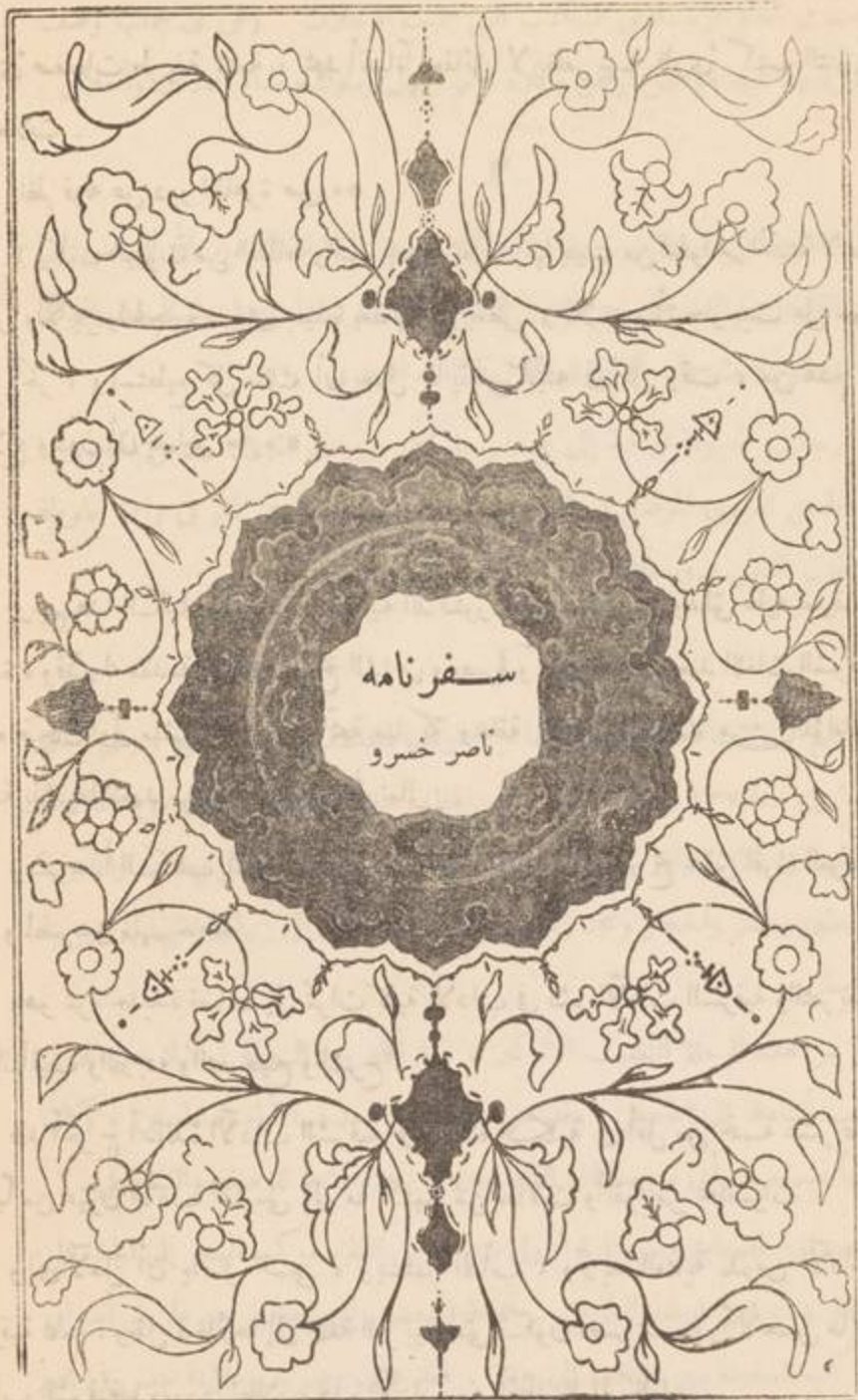
وهو ثمرة جديدة تضاف إلى ثمرات كلية الآداب في نشر الآداب الشرقية والتعريف بها بالتأليف والترجمة والتصحيح والشرح .

فقد أخرج أساتذة الآداب الشرقية في هذه الكلية في أقل من خمسة عشر عاماً كتباً من عيون الأدب الفارسي إلى ما كتبوا من مقالات وأقوال من محاضرات .

وإني لأمل أن يتصل السعي ، ويستمر الدأب ، وتزيد العناية بدرس الآداب الشرقية عامة ، ونقل ذخائرنا إلى اللغة العربية حتى تكون مصر مصدراً لأحسن ما في الآداب الشرقية ، ومورداً لطلاب هذه الآداب من أقطار العالم كلها .

عبد الوهاب عزام

رئيس معهد اللغات الشرقية



مقدمة

١

كانت الحياة السياسية في الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية، إيران والعراق والشام، مضطربة أشد الاضطراب في القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس، فإن دولا كثيرة اقتسمت الحكم فيه، وكان بعضها يكبر على حساب بعضها. ولقد تخرج مركز الخليفة العباسي في بغداد حتى كان بعض سلاطين هذه الدول يقال منه ويعلم الحرب عليه فكان يضطر إلى أن ياجأ إلى سلطان دولة أخرى ليحميه، وكان منهم من يطلب إلى الخليفة أمرا، فإن أبي عداد بعزله وتولية سواد من بيت العباسيين. وانتهى أمر الخليفة السني في بغداد بأن سيطر عليه وعلى عاصمته أحمد البويهبي (٩٤٥/٣٣٤)، وهكذا أصبح السلطان الشيعي حاميا للخليفة السني، وقد أبقى السلطان على خليفة بغداد، وإن كان لا يعتقد صحة خلافة العباسيين، حمله على ذلك رغبته في المحافظة على سلطانه الكامل على الشيعة من أتباعه، فإن عزله خليفة بغداد واعتزافه بالخليفة الشيعي (الفاطمي) خطر عليه؛ خطر صورته أحد مستشاريه بقوله: «إنك أنت اليوم مع خليفة عباسي تعتقد أنت وأهلك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرت بقتله لقتلوه مستحلبين دمه، ومتى اجلست بعض الملوك خليفة كان معك من تعتقد أنت وأهلك صحة خلافته ولو أمرهم بقتلك لقتلوه»^(١).

وكانت الدولة الصفارية تعتدي على الخليفة العباسي فتحميه الدولة السامانية، وكان السلطان محمود الغزنوي يطالب لنفسه ألقابا فيما بها عليه الخليفة فيرده بالعزل^(٢)، وكان الخليفة قد تجرد من كل سلطانه وحقوقه تحت سيطرة البويهبيين، وكان الخليفة

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ١٤٨ طبعة مصر.

(٢) سياست نامه ص ١٤ - ١٥، ١٣٥ والطبري ج ١٢ ص ٢٠ طبعة مصر.

المسلم الثاني ، الذي استقر في القاهرة منذ سنة ٩٧٢/٣٦٢ ، يتمتع فرصة ضعف منافسه فيبعث دعائه يدعون السامانيين والغزوين والبويهيين للقضاء على الخلافة العباسية والاعتراف به خليفة شرعياً على المسلمين . وكانت الدعوة في هذا السبيل محكمة غاية الإحكام في نظامها ونشاطها وطرق الإقناع بها ، فنجحت في خراسان إلى حد ما ، إذ انضم إلى دعائها أمير الرى أحمد بن علي وحسين بن علي المروزي من الأمراء ، ورغب هذا الأخير في أن تم الدعوة الفاطمية بلاد ما وراء النهر ، فنصح إلى الداعي الفاطمي ، النخشي ، أن يسافر إليها وأن يعمل على استمالة رجال قصر السلطان الساماني نصر بن أحمد . ونجح النخشي في بعثته وحمل السلطان على دفع مبلغ ضخم للخليفة الفاطمي القائم بأمر الله تعويضاً عن قتل حسين بن علي المروزي في بخارى . وإذا كان السلطان الساماني قد دخل في الدعوة الفاطمية ، فإن رجال جيشه وعلماء الدين في بلاده لم يرضوا عن سلوكه واعتبروه خارجاً على الدين الصحيح ، فأما العلماء فقد نصحوا الجند بأن يعودوا إلى ديارهم لأن سلطانهم قد حاد عن الصراط السوي ، وأما الجند فقد أجمعوا أمرهم على خلع السلطان . ولكن الأمير نوحا ، ابن السلطان ، نجح في خلع أبيه وولي الأمر من بعده وأرضى الساخطين من رجال الجيش والعلماء ثم حشد قوى الدولة جميعها للقضاء على الدعوة الفاطمية ، وآثر مقاتلة رجالها على محاربة الكفار من الترك ، وأفلح في القضاء على نشاط الخليفة الفاطمي ودعائه فيما وراء النهر وخراسان ، وإن تكن دعوتهم قد استمرت سرية فيما بعد^(١) .

وإذا كان أمر الدعوة الفاطمية في خراسان وما وراء النهر على نحو ما رأينا ، فإنه في فارس والعراق كان أشد قوة وأبعد أثراً . ذلك أن الدولة البويهية نفسها دولة شيعية ، وقد خلفت سادتها الزياريين الذين طردوا العلويين من ملكهم في بلاد الديلم من قبل ، وكان ملوكها يميلون ميلاً ظاهراً إلى المذهب الفاطمي أو الباطني . يحدثنا المؤرخون أن مجد الدولة مثلاً كان باطنياً . وقد أثمر نشاط الفاطميين في إقليم فارس خاصة أيما إثمار . وكان موسى بن أبي عمران حجة فيها (أي كبير القامئين بأمر الدعوة الفاطمية) ، وقد نجح هذا

في تنشئة ابنه على مذهبه ، ثم لفته أصول الدعوة وطرق بثها في الناس ، وطلب إلى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي أن ينصبه حجة من بعده ، ولكن الخليفة رفض هذا التنصيب ، لأن المناصب الدينية لا تورث إنما يتولاها من يراه الخليفة أهلاً للقيام بها ، وقد نابر الابن حتى ظفر بثقة الخليفة ، وخلف والده في منصب حجة فارس ، وأخذ لنفسه لقب المؤيد لدين الله . وكان السلطان في ذلك الوقت أبا كاليبجار البويهى ، ومع أنه كان شيعياً كان متردداً أشد التردد في قبول المذهب الفاطمي والاعتراف بخليفة الفاطميين ، وكانت تتجاذبه في ذلك عوامل مختلفة . فتشيعه وسخطه على خليفة بنى العباس كأننا يقر بأنه من هذا الاعتراف ، ولكن حاشيته وجنده الترك والسياسة التقليدية التي سارت عليها أسرته من عدم المباينة لخليفة الفاطميين ، كل هذا كان يدفعه إلى النفور من هذا الاعتراف . وكان المؤيد يعمل جاهداً في شيراز ليدخل أهلها في مذهبه ، فنجح في استماتتهم حتى قيل عنه لوزير أبي كاليبجار : « إن الناس يتخذون هذا الرجل أباً لهم وأخاً وصاحباً ومحلاً لكل سر ومفزعاً في كل خير وشر » ، ونجح آخر الأمر في إقناع أبي كاليبجار نفسه بالدخول في مذهبه ، وقد ساعده على بلوغ هذه الغاية وزير شاطره الرأي ، فإنه لم يكن طبيعياً أن يضطهد رجل لا يبغض السلطان آراءه ، ولو عاش في بلاط محمود الغزنوى السنى المتعصب لما لقي من العزلة والشر أكثر مما يلقى في عهد السلطان البويهى الشيعى . قيل السلطان دعوته ولكنه اشترط عليه ألا يخرج من بيته حتى لا تشيع الفتنة بين الناس . ولم يمض زمن طويل حتى أعدت دروس خاصة للسلطان في قصره ، يبدؤها المؤيد بتلاوة القرآن ، ثم يقرأ فصلاً من « دعائم الإسلام » للقاضى أبى حنيفة النعمان الذى سئرى مكانة الأديبية والعلمية في مصر الفاطمية ، وتكررت هذه المجالس ، فقد كانت تعقد مساء كل خميس ، وازداد شغف السلطان بها ، فأخذ يسأل عما أشكل عليه من مسائل ، وسمح للمؤيد بأن يحتم درسه بالحمد والدعاء للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وانتهى الأمر بقول السلطان لداعيه : « إنى أسلمت نفسى ودينى إليك ، وإنى راض بجملة ما أنت عليه » . ولكن الوزير الذى كان يرعى المؤيد ويؤازره عند السلطان يموت وبلى الوزارة من بعده وزير سنى شديد التعصب لأهل السنة فيجمل على المؤيد ويثبى به عند السلطان ، وقد ساعده في حملته ما قام به المؤيد نفسه في الأهواز ، فقد ذهب إليها وجمع شيعته من حوله وأخذ

من مسجد مهلم مكانا للاجتماع — ويظهر أن اتخاذ المساجد القديمة مكانا للاجتماع كان عادة عند الباطنية^(١) — وأصلح المؤيد المسجد وعمّر منبره ووضع عليه لوحة من الذهب عليها أسماء الأئمة من أبناء علي بن أبي طالب إلى المستنصر بالله الخليفة الفاطمي ، ثم كان يدعو لهذا الإمام في خطبة الجمعة وكان مؤذن المسجد ينادى بحمى علي خير العمل . وقد أثار هذا المسلك شعور أهل السنة وخاصة قاضي الأهواز الذي بلغ من غضبه أن كتب إلى الخليفة العباسي شاكياً ونذيراً^(٢) . استغل الوزير السني ثورة أهل الأهواز ورفع الأمر إلى أبي كاليبج فغضب وثار على المؤيد لمخالفته أمره بأن لا يغادر منزله في شيراز وأخذت مكانته منه تهبط حتى صرّح له ، في مناظرة كانت بينه وبين عالم سني ، بأن مناظرة السني خير منه ومن جميع أبناء القدّاح (يعتبره الفاطميون جدًا لهم وأحد أبناء علي) . ومنذ ذلك الوقت لم يعد لدى المؤيد شك في أن السلطان قد تخلى عنه ، وفي أن حياته أصبحت في خطر وأيقن أن بقاءه في شيراز غير محمود العاقبة ، فظل محتفياً بها إلى أن فر إلى القاهرة حيث إمامه المستنصر ، وكان ذلك عام ٤٣٧/١٠٤٥^(٣) .

٢

في هذا الجو المضطرب سياسياً ودينياً نشأ ناصر خسرو . فقد ولد في قباديان عام ١٠٠٣/٣٩٤ ، من أسرة متوسطة الحال لا هي بالغنية ولا هي بالفقيرة ، وتثقف ثقافة واسعة والتحق بخدمة السلطانين الغزنويين محمود ثم ابنه مسعود ، فقد نشأ نشأة سنية وبدأ حياته في بلاط حماة السنة وفتذاك . وتبدلت الأحوال السياسية ونجح السلاجقة في القضاء على معظم الدويلات الشرقية وأفلحوا في توحيد الإمبراطورية الإسلامية وأصبح الأمر — إلا أنه — بيدهم ، فالتحق ناصر بخدمة جفري بيك السلاجقي حاكم خراسان ، وتولى أمر خزانته في صر و مدة طويلة حتى نسب إليها . وكان كسائر الناس في ذلك العصر

(١) سياست نامه لنظام الملك من ١١٨٤ — ١١٨٥ .

(٢) السيرة المؤيدية . مخطوط بمكتبة جامعة فؤاد الأول رقم ٢٦٠٥٦ من ١٨ وما بعدها من ٩١ وما بعدها .

(٣) ناصر خسرو (باللغة الفرنسية) ص ٣١ ليجي الخشاب .

حائراً في المذهب الحق الذي ينبغي له أن يتبعه أيكون شيعياً أم سنياً فإذا وفق إلى أن يختار بينهما ، فأى فرقة من الفرق العديدة يتبع ، وقد انقسم كل منهما إلى فرق كثيرة . والشيعية الفاطمية لا يفتقر لدعاتها نشاط ، وهم يشككون الناس في أمر الدين ، ويستغلون ما فيهم من ضعف حتى يصلوا إلى إقناعهم . والسلاطين من أهل السنة ، الغزنويون ثم السلاجقة ، يضربون بشدة على أيدي الفاطميين ويقالون في اضطهاد من يشتبه فيه أنه شيعي ، وعلماء الدين يتلقون الأسئلة من جمهرة الشعب الحائر ويحاولون أن يهدئوا من نفوسهم وأن يوحّدوا فيما بينهم فلا يصلون في ذلك إلى شيء . انظر إلى قول المقدسي يصف إقليم خراسان ، فيتحدث عن المذاهب المختلفة فيه ^(١) :

« هو أكثر الأقاليم علماً وفقهاً وبه يهود كثيرة ونصاري قليلة وأصناف الجوس . وأولاد عليّ فيه على غابة الرفعة ، ولا ترى به هاشمياً إلا غريباً ، ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحي همرارة كروخ واستر بيان كثيرة ، والمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة ، وللشيعية والكرامية بها جلبة ، والغلبة في الإقليم أصحاب أبي حنيفة ، إلا في كورة الشاش وإبلاق وطوس ونسا وأبيورد وطراز وصنغاج وسواد بخارا وسيخ والدندانان واسفرايين وجويان فإنهم شفعوية كلهم ، والعمل في هذه المواضع على مذاهبهم ، ولم جلبة بهرارة وسجستان وسرخس والمروين ، ولا يكون قاضياً إلا من الفريقين . . . ونيسابور أيضاً شفعوية . . . والكرامية جلبة بهرارة وغرج . ولم خوانق بفرغانة والختل وجوزجانان ، وعمروالرواد خانقاه وأخرى بسمرقند . ورساتيق هيطل أقوام يقال لهم « بيض الثياب » مذاهبهم تقارب الزندية ، وأقوام على مذهب عبد الله السرخسي لهم زهد وتقرب . وأكثر أهل ترمذ جهمية ، وأهل الرقة شيعة ، وأهل قنذر قدرية ، والشاري يصلي العيدين على قول عبد الله بن مسعود ، ومذهب أبي حنيفة يوالون بين القراءتين ويكبرون أربعاً . ثم انظر إليه وهو يتحدث عن أثر هذا الاضطراب الديني في نفوس الناس ^(٢) :

« وذهب رجل إلى عالم من علماء الدين فقال له : عافاك الله جثتك مستترشداً ، إني

(١) أحسن التقاسيم ص ٣٢٣ (طبعة أوربا) .

(٢) ص ٣٦٥ من المصدر نفسه .

رجل دخلت في جميع هذه الأهواء فما أدخلت في هوى منها إلا القرآن أدخلني فيه ولم أخرج من هوى إلا القرآن أخرجني منه ، حتى بقيت ليس في يدي شيء » . فقال العالم : رأيت هل اختلفوا في أن محمدا رسول الله ، وأن ما أتى به من الله حق . قال لا . قال : فهل اختلفوا في القرآن أنه كتاب الله . قال لا . قال : فهل اختلفوا في أنها القبلة . قال لا . قال : فهل اختلفوا في الصلوات أنها خمس . قال لا . قال : فهل اختلفوا في رمضان أنه شهر رم الذي يصومونه . قال لا . قال : فهل اختلفوا في الحج أنه بيت الله الذي يحجونه . قال لا . قال : فهل اختلفوا في الزكاة أنها من مائتي درهم خمسة . قال لا . قال : فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة أنه واجب . قال لا : فذكر شيئا من هذا وأشباهه ثم قرأ : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » (٧/٣) ، فهل تدري ما المحكم ؟ قال لا . قال : فالمحكم ما اجتمعوا عليه ، والمتشابه ما اختلفوا فيه ، شد نيتك في المحكم وإياك والخوض في المتشابه .

وحين رجع المقدسي من البصرة إلى خوزستان ، قال له أحد أصدقائه ممازحا : أعد الصلاة التي صليتها بخوزستان فإنهم يصلون إلى غير قبلة^(١) .

هذه صورة من حياة الناس وكيف أثرت فيها كثرة الفرق الإسلامية ، وهي تبين إلى أي حد بلغ منها هذا الأثر بفضل نشاط الدعاة من هذه الفرق جميعا . وقد رأينا كيف كان يحرص رجال الدين وأهل السنة على إبقاء عامة الشعب بعيدين عن الدخول في المتشابهات من آيات القرآن وأحكام الدين المترتبة على تفسيرها ، فهم حريصون على أن يقيم المسلم أركان الإسلام الخمسة . ولكن الرجل المثقف الذي يقرأ آراء الفرق الكثيرة في مختلف المسائل والذي يجب أن يتناول المتشابهات من آيات القرآن ليبحث أحكامها ، ويبدى رأيه صريحا فيها كان حائرا حقا ، لم يجد فيه شيء من حرص الحكام السنيين على ثبات إيمانه .

وكان ناصر خسرو يشغل منصبا كبيرا في الدولتين الغزنوية والسلجوقية ؛ وهو واسع

(١) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٤١٥ (طبعة أوروبا) .

الاطلاع ، يقرأ الفلسفة ويناقش آراء الفارابي وابن سينا ، وقد نظر حوله فوجد هذا الخلاف قائماً فحاول أن يصل إلى الحقيقة فسلك في ذلك من الطرق ما استطاع سلوكه . رجع إلى القرآن وكتب الحديث ورجع إلى التوراة والإنجيل وكتب مذاهب الهنود بلغاتها الأصلية ، وأطال النظر في الأستا والزند واتصل بعلماء الأديان ، مسلمين ونصارى ويهود وهنود ومجوس ؛ وناقشهم في المسائل التي لم يهتد إلى رأى فيها ، فلم يظفر بمن يقنعه . ورأى أن يرحل إلى بلاد العرب وفارس وتركستان والهند ، لعله يجد من يهديه إلى الطريق الحق لمعرفة الله ؛ ولكنه مع هذا كله لم يصل إلى ما يريد^(١) . وكانت نتيجة هذا الفشل في معرفة الحقيقة أن وقع فيما يقع فيه الفلاسفة والمفكرون من الشك الذي قد يصل إلى الإلحاد ، وظهرت آثار هذه الفترة في شعره ، فقد كان شاعراً من أعظم شعراء الفرس وأغزرهم مادة . واتهم خصومه فرصة الشك هذه وأخذوه ببعض أبيات قالها تم عن الحيرة وقد تصل إلى الكفر . ومن هنا اختلف رأى الكتاب الفرس فيه ، فبعضهم يأخذ بهذه الأبيات ويرميه بالكفر ، وبعضهم يصفه بالتقوى ويصل نسبه بعلى ويجعله حكماً من الحكماء المسلمين^(٢) . على أن فترة الشك هذه لم تطل على كل حال ، وهذا ناصر يؤثر أن يرتحل إلى مصر ، حيث نظمت الدعاية المذهب الفاطمي تنظيمًا دقيقاً كما سنرى ، لعله يجد فيها ما تصبو إليه نفسه من معرفة الحقيقة ، فإنه قد سمع من دعاة مصر في خراسان وفارس من يتحدث عن مذهب جديد يختلف عن الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية ، كما عرف أن من هؤلاء الدعاة من يستمع إلى أسئلة المتحير ويحجبه عليها ، وأنه ليحب أن يسأل لماذا وكيف ، وأن يجاب عما يسأل جواباً يشفي غلته ، فليعزم إذاً على الرحيل وبالله التوفيق .

يحدثنا ناصر خسرو في ديوانه ، أن الذي دفعه إلى رحلته هو ما قرأ في القرآن الكريم في سورتي محمد والفتح من قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب

(١) ناصر خسرو بالفرنسية ليجي الخشاب ص ٤١ - ٥٢ .

(٢) سفر نامه النص الفارسي ص ١٢ ، الترجمة ص ٩ .

أقوالها « (٢٤/٤٧) . إذن في القرآن ، إذا أمعن النظر فيه وتدبر معانيه ، ما يفرح كربتته
ويبدد الشك من نفسه ، ويشع فيها من الهدوء والاطمئنان ما يوصل إلى إيمان قوى سليم ،
ولم يكده يستمر في القراءة قلبه لاحتى قرأ في السورة التالية قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك
إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما
عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » (١٠/٤٨) . ثم قوله تعالى : « لقد رضى الله عن
المؤمنين ، إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم
فتوحاً قريباً » (١٨/٤٨) ، حينئذ أخذ منه الحماس كل مأخذ فنهض من مقعده وعزم على
الرحيل إلى حيث الشجرة التي يبايع المؤمنون تحتها النبي صلى الله عليه وسلم على أن يقاتلوا
معه ، المؤمنون من أمثال جعفر والمقداد وسلمان وأبي ذر^(١) ، فعمل من سحر المكان ما ينفذ
إلى نفسه الحائرة بالسكينة والأمن . وقوى هذا الرأي عنده ودفنه إلى العمل على تحقيقه ،
ما صادفه من تفاؤل توالى على بعده عزمه على الرحيل ، يصفه في سفرنامه ، فيقول إنه
سافر إلى پنج ديه في عمل من أعمال الديوان وصادف ذلك اليوم اقتران الرأس والمشتري ،
ويقال إن الله تعالى يستجيب الدعاء في هذا اليوم ، فذهب إلى زاوية ودعا ربه أن يبسر له
أمره ويهديه . وعاد بعد الصلاة إلى رفاقه فوجد أحدهم ينشد شعراً فجاءه بخاطره أن ينشد
قصيدة معينة فهم بكتابتها ليعطيها للمنشد لينشدها له ، ولم يكده يفرغ من الكتابة حتى كان
المنشد ينشد القصيدة نفسها ، فتفاهل ناصر وعلم أن الله تعالى سيقضى حاجته ويروى غلته
بمعرفة الحقيقة التي يبحث عنها . وفي هذه الحال النفسية حال الضال يبحث عن الهدى
والسبيل إلى الحق وبطيل التفكير والتأمل ، أخذ ناصر يشرب الخمر شهراً كاملاً حتى إذا
كانت ذات ليلة رأى في المنام رجلاً ينهره لأنه يدمن على الشراب ، فيناقشه ناصر ويدافع عن
مسأله وحجته في ذلك ان الفيلسوف الحائر يجد في الخمر ونشوتها ما يخفف من همومه ،
وحجة صاحبه أن التسرية عن النفس لا تكون بفقدان الشعور وأن الفيلسوف لا يستطيع أن
يكون هادياً للناس وهو فاقد لوعيه ، وإنما على الفيلسوف أن يبحث عما يزيد العقل والحكمة .

(١) ديوان ناصر ص ١٧٣ (طبعة طهران) .

ويسأل ناصر محدثه عن السبيل لهذه الزيادة فيشير المحدث إلى القبلة قائلاً «من جد وجد» ثم ينصرف عنه . وبصحو ناصر من نومه ، ويتمثل الرؤيا كأنها حقيقة فيفيق من الحمار ويقول لنفسه إن عليه أن يفيق من غفلة أربعين عاماً جلى كما أفاق من سبات البارحة ، ويعتزم الرحلة إلى مكة ، إلى القبلة التي أشار إليها محدثه ، فينصرف إلى مرو ويطلب إعفاه من الوظيفة ويعزم على الحج وكان ذلك في جمادى الآخر ٤٣٧ (١٠٤٧) ، في نفس العام الذي سافر فيه المؤيد إلى مصر .

٤

غادر ناصر مرو مستصحبا أخاه أباسعيد وغلاما هنديا ، وبعد أن زار بيت المقدس ، قصد الحج لأن محدثه في الرؤيا أشار إلى القبلة حين سأله أين يجد ما يبدد شكوكه ، ولأن قراءة القرآن هدته إلى الذهاب حيث الشجرة التي تعاهد تحتها المؤمنون على نصرة النبي عليه السلام إلى النهاية مهما كلفهم الأمر ، وعاد إلى بيت المقدس فعزم على زيارة مصر على أن يغادرها إلى مكة مرة أخرى . فلم يكن في عزمه أن يقيم بمصر زمنا طويلا ، ولم يكن في نيته أن يرحل إلى بلاد أخرى ، لذلك لم يكن استعداده كاملا لهذه الرحلة الطويلة الشاقة التي سطرها في كتابه سفر نامه ، والتي دامت سبع سنوات ، لقد اكتفى ، حين طلب إعفاه من عمله في الديوان ، بالقليل الذي لا بد منه للرحلة بل لقد ترك بقية أمواله . وهو وإن يكن قد لقي في مصر والحجاز ، وكان تابعا لسلطان مصر ، من كرم الضيافة وحسن الاستقبال شيئا كثيرا كما سنرى فيما بعد ، فإنه قد لقي في الوقت نفسه من الصعوبات شيئا كثيرا في سائر رحلاته ، وخاصة حيث لم يكن يجد عوناً من صديق أو إغاثة ممن يعرف قدره . وهو يحدثنا أنه وصل إلى فلج ولبث فيها أربعة أشهر لم يكن معه طوالها غير سلتين من كتب ، والناس هناك جهلاء لا يعنون بشراء الكتب ولا يقدرونها ، فلم يكن له بد من التجايل على كسب القوت ، وهو يجيد الكتابة بالخط الجميل ، وكان معه بعض الألوان ، فسكتب على محراب المسجد بيتاً من الشعر وزينه بأوراق الشجر ، فلما أبصر السكان هذا الرسم أعجبوا به وطلبوا إليه أن ينقش المحراب ووعده بمائة من من التمر ، فسره هذا

العرض ونقش لهم محراب مسجدهم ليظفر بقوته من التمر . ثم هو يحدثنا عن الحال التي كان عليها ، هو وأخوه ، عند ما بلغا البصرة ، لقد بليت ملابسهما ولم يبق منها إلا خرق مدلاة على جسدهما ، وطال شعر رأسهما ، وبدت عليهما سيما الفقر والجوع والإعياء ، فاضطر ناصر إلى أن يبيع هذه الكتب التي اضطر من أجلها إلى أن يعود من مكة إلى مصر ، فلما باعها ذهب مع أخيه إلى الحمام ، ولكن الحمى رفض إدخاله ولم يرق لحاله ، ولا حاجته إلى الدفء والنظافة ، وحسب أطفال الطريق أن بهما جفنة فأخذوا يعدون وراهما ويقذفونهما بالحجارة .

ولسكن ناصرأ وإن لم يعد المال السكافي للقيام بهذه الرحلة الطويلة ، لأنه لم يدبر أمراً قبل قيامه من مرو ، ولسكن الحوادث هي التي كانت تسيره ، فإنه كان يعتمد على شخصيته في كثير من الأحيان ، فهو الرجل الذائع الصيت الذي يعرفه كبار القوم ، فإن أصابه ضرأ أو أمت به مصيبة استطاع أن يجد عون الأصدقاء ليبدلوا عسره يسراً . فتراه في عيذاب مثلاً ، وقد اضطر إلى الإقامة بها ثلاثة أشهر ، يتقدم إلى وكيل صديق له كان قد عرفه في أسوان ليأخذ منه ما احتاج إليه من الدقيق . وكذلك استأجر جملاً ، نسيئة لينقله من فلج إلى البصرة ، فلما بلغها لم يكن معه الأجر الذي اتفق عليه ، فاتصل بوزير أمير الأهواز فرحب به وأضافه خمسة وأربعين يوماً ودفع ما عليه من دين للجمال . وحين بلغ مهبوبان وأراد أن ينتقل إلى أرتجان وجد الطريق خطراً لا يؤمن السير فيه ، فكتب إلى كبير من كبرائها فأرسل إليه ثلاثين فارساً محبوبوه آمناً إليها .

وعلى هذا النحو نجد أن ناصرأ لم يكن يسير في رحلته وفق ترتيب سابق مرسوم ، وكل ما استعد له في أمر الرحلة كان قاصراً على زيارة مكة ، ثم زيارة مصر على أن لا يطيل المكث فيها ليعود إلى مكة مرة أخرى .

لكن كتب ناصر حوادث رحلته ، يوماً فيوماً ، تشهد بذلك الدقة التي تراها في وصفه لبعض الأماكن كمنسجد بيت المقدس ، ولبعض الحفلات ، كحفلة امتتاح الخليج ، فالصفات

التي يصفها والأسماء التي يذكرها ليست مما يعلق بالذات ككرة سنوات عدة ، ثم يكون
بمثل هذه الدقة وذاك الكمال . ولقد اتفق الكتاب على هذا وإن اختلفوا في تحديد
التاريخ الذي كتب فيه سفرنامه . أما شيفر فإنه يرجح أنه كتبه قبل سنة
١٠٦٠/٤٥٣ لأن ناصرأ يشير في كتابه إلى نصر الدولة الذي مات في هذا التاريخ . وأما
تقي زاده فإنه يذهب إلى أنه كتبه بعد سنة ١٠٦٣/٤٥٥ ، لأنه يذكر طغرل بيك .
على أنه متوفى ، إذ يقول عنه رحمه الله : وقد مات في هذا التاريخ . ولكن من الصعب أن
نقرر أن كلمة « رحمه الله » - التي كثيراً ما تذكر في الكتب الشرقية - أصلية في
النص إذ من السهل أن تكون من إضافات النساخ ، ثم إن ناصرأ في هذا التاريخ وبعده ،
كان مقيماً في بمكان وكان قد كوّن لنفسه فيها فرقة خاصة لها مذهبها المتأثر أشد التأثر
بالمذهب الفاطمي في مصر ، وفي هذه الأثناء كتب أكثر كتبه بعد أن وضع دستور
الديني في كتابه « وجه دين » ، أفليس عجيباً أن يكتب في هذا الوقت رحلته ولا يشير
إلى أثر مصر في نفسه ، بل إننا نراها خالية حتى من إشارة صريحة إلى مذهبه الذي اعتنقه
في مصر وإلى اهتدائه إلى الحقيقة التي قال إنه ينشدها في أول الكتاب . فلهذه الاعتبارات
كلها نرجح أنه كتب سفرنامه بعد عودته إلى خراسان مباشرة ، حينما عاد إلى وطنه بعد
غيبه سبع سنوات ، وقبل أن يندفع في الطريقة الجديدة التي اصطفت بها حياته فيما بعد
والتي جعلت منه عدواً خطراً على الدولة السلجوقية وعلى مذهبها الرسمي - السنة -
والتي جعلت منه صاحب فرقة يدعو إليها ويضطر إلى الاختفاء في الجبال من أجلها .
ومما يقوى هذا الترجيح أنه يذكر في سفرنامه لقاءه بأخيه أبي الفتح عبد الجليل
ويصور سروره بهذا اللقاء كما يذكر أن أخاه كان دائم السؤال عنه ، ولكنه يذكر في
الديوان - الذي كتب بعد عودته من مصر - أن أخاه قد هجره وتنفكر له ، وأن أقاربه
جميعاً ساخطون عليه ، ولو كتب سفرنامه في ذلك الوقت لما أشار إلى أخيه راضياً عنه
فرحاً بلقائه .

ويعتمد الكتاب ونحن معهم ، أن النص الذي بأيدينا ناقص ، وأن الكتاب الذي
وصل إلينا مختصر اختصره بعض النساخ عن « سفرنامه » آخر أطول من هذا . ويستشهد

غنى زاده على نقص النص بدليلين : أولهما ، أن مقدمة شاهنامه بايسنقر^(١) نقلت عن سفرنامه نصا جاء فيه : إن الحكيم ناصر خسرو قال إنه بلغ طوس سنة ١٠٤٥/٤٣٨^(٢) فرأى رباطا كبيرا حديث البناء ، فلما سأل عن الذى بناه قيل له إنه بنى من صلة كانت للفردوسى ، كان قد أرسلها إليه السلطان محمود . فلما سأل ناصر عما كان من أمر هذه الصلة ، قيل له إن الفردوسى توفى قبل أخذها ، وإن وارثته رفضت قبولها ، فبنى الرباط بها . يقول غنى زاده وهذه العبارة ليست مسطورة فى كتاب سفرنامه الذى بأيدينا فهو مختصر إذن . وقال فى ملحوظاته على النص إنه يستبعد خطأ مقدمة شاهنامه بايسنقر . والدليل الثانى ، الذى يسوقه غنى زاده على اختصار الكتاب هو ما جاء فى الصفحة العاشرة منه حيث يقول : « ويطول وصف مسجد الجمعة فى ميفارقين لو ذكرته ، ولو أن صاحب الكتاب شرح كل شىء أتم الشرح^(٣) » .

ونحن نرى أيضا أن النص الذى بأيدينا مختصر والدليل الثانى الذى ذكره الأستاذ غنى زاده هو الذى يجعلنا نرجح ذلك . والواقع أن فى نص الكتاب عبارات كثيرة تقوى هذا الرأى ، كأن يقول ناصر فى وصف بيت المقدس « قد صورته وضمته إلى مذكراتى^(٤) » . أو كقوله عن زنجبار والحبشة « سأشرح ذلك فى مكانه^(٥) » ، ثم لا نجد هذا الشرح فى الكتاب ، وهكذا . وأما دليل الأستاذ غنى زاده الأول على اختصار النص فلسنا نوافقه عليه ، ذلك أن النص الخاص بالفردوسى ورباط طوس والذى نقله الأستاذ عن مقدمة شاهنامه بايسنقر موجود فى كتاب چهار مقالته لنظامى العروضى حيث تنسب رؤية الرباط للعروضى نفسه . مع اختلاف يسير فى النص^(٦) ، ومن الجائز أن صاحب مقدمة شاهنامه بايسنقر قد أخطأ فى النقل فوضع اسم ناصر خسرو بدلا من نظامى العروضى وسفرنامه بدلا من چهار مقاله . ومما يرجح جواز هذا الخطأ قول أستاذنا عبد الوهاب عزام عن هذه المقدمة

(١) مقدمة سفرنامه طبعه كاوايى ص ك .

(٢) يصحح الأستاذ غنى زاده سنة ٤٣٨ فيجعلها ٣٧ : ليوافق هذا التاريخ الجديد رحلة ناصر التى تتحدث عنها .

(٣) ص ٨ سفرنامه (العربى) .

(٤) ص ٤٥ (الفارسى) ، و ٣٢ (العربى) .

(٥) ص ٥٩ (فارسى) ٤٦ (العربى) .

(٦) چهار مقاله ص ٥١ .

إنها مليئة بالغلط والخرافات^(١).

وذهب بعض الكتاب إلى أن سفرنامه قد نظم شعراً ، والراجح أن التوافق بين بعض حوادث الرحلة وقصائد الديوان هو الذي حدا بهم إلى هذا القول ، وليس في كتب ناصر أو ما كتب عنه نص على رحلة منظومة أو ذكر لها . وكان ناصر خسرو أميناً في كتابته ، إذا رأى شيئاً رأى العين نص على ذلك نصاً ، وإذا سمع عن شيء رواه وجعل العهدة على راويه .

٦

في ضوء ما نشر من كتب ناصر وخسرو نستطيع أن نقسم رحلته إلى مراحل ثلاث: المرحلة الأولى تبدأ بقيامه من مرو في ربيع الآخر سنة ٤٣٧ (أكتوبر ١٠٤٥) ، وتنتهي ببلوغه القاهرة في ٧ صفر ٤٣٩ (٤ أغسطس ١٠٤٧) والمرحلة الثانية إقامته في مصر من ٧ صفر ٤٣٩ (٤ أغسطس) إلى أواخر جمادى الثاني ٤٤٢ (أواخر أكتوبر ١٠٥٠) . والمرحلة الثالثة عودته إلى بلخ عن طريق الحجاز وبلخ والحسا والبصرة وتبدأ منذ قيامه من مصر وتنتهي في ٢٦ جمادى الآخر ٤٤٤ (٢٦ أكتوبر ١٠٥٢) .

٧

أما المرحلة الأولى فيبدو منها ، لأول وهلة ، أن ليس لناصر مأرب سيانتي أو ديني . هو راغب في الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وهو عائد من مكة إلى بيت المقدس وفي نيته أن يذهب إلى مصر ، يزورها كما زار الشام ، على ألا يقيم بها طويلاً لأنه يصرح برغبته في الذهاب إلى مكة . وليس من شك أن رغبته في زيارة مصر كانت سعيًا وراء البحث عن الحقيقة ، إذ في مصر مذهب ديني عرف بنشاط دعائه في خراسان ، فلا بد لمن يبحث عن الدين الصحيح أن يذهب إليها لدراسة مذهبها .

(١) مدخل الشاهنامه (العربي) ص ٢٩ .

ويبدو ناصر ، في هذه المرحلة ، رجلا عالما يجب أن يتصل بالعلماء وأن يفاظهم أو يتحدث إليهم ، فهو يسافر من نيسابور في صحبة الخواجة الموفق^(١) ، ذلك العالم الذي اشتهر في العصر السلاجوقي والذي قدم أبا منصور الكندري لطغرل بيك ليتخذه وزيرا ، والذي شُهر بأن تلاميذه يشغلون مناصب الوزارة أو ما شابهها من المناصب الكبيرة في الدولة والذي تلمذ له نظام الملك وعمر الخيام وحسن الصباح . وصحبة ناصر الموفق تبين الصلة العلمية البحتة التي كانت بين الرجلين ، كما ترجح أن ناصر في هذا الجزء من الرحلة كان عالما ليس غير . ومما يؤيد هذا الرأي مقابله عليا النسائي في سمنان^(٢) ، وأبا الفضل خليفة بن علي الفيلسوف في شميران وقد ناظره في علوم الدين والرياضيات وتوثقت الصلة بينهما^(٣) ، ومقابله ، في تبريز ، الشاعر قطران الذي سأله عما أشكل عليه من أشعار الدقيقي ومنجيك فكان ناصر يعلّي عليه الشرح وقطران يكتب^(٤) . ويحدثنا أنه نزل ضيفا في بيت رجل بمدينة قرول فدخل عليه أعرابي وطلب منه أن يحفظه القرآن فأخذ ناصر بتفككه معه ويحفظه سورة قل أعوذ برب الناس^(٥) .

ومع ظهور هذا الاتجاه العلمي في المرحلة الأولى من الرحلة فإننا نلاحظ أن ناصر قد غادر تبريز عن طريق سرند في صحبة جماعة من جيش الأمير وهسودان والأمير وهسودان هذا من بني مسافر الذين عرفوا بميولهم الشيعية . بل إن منهم من كان باطنيا^(٦) . أي دل هذا على أن ناصر قد بدأ رحلته وهو مع الباطنية ؟ إذا لم ينص على ذلك في كتابه سفرنامه ولا أظهره في كتبه الأخرى ، فإن رواية رشيد الدين — وهو مؤرخ موثوق به فيما يختص بالذهب الباطني — تؤيد هذا الرأي ، وهو يقول إن المستنصر بالله الفاطمي قد دعا ناصر خسرو ليحضر إلى مصر ، كما دعا حسن الصباح أيضا^(٧) .

وقبل أن تنتقل إلى المرحلة الثانية من الرحلة نقف قليلا عند كلامه عن أبي العلاء المعري ، فهو يصفه بأنه حاكم معرة النعمان وأنه واسع الغنى كثير العبيد وكان سكان المدينة خدم له ثم يقول إن نوابه يدبرون أمر المدينة ولا يرجعون إليه إلا في الأمور الهامة . وهذا

(١) ص ٣ . (٢) ص ٣ . (٣) ص ٥ . (٤) ص ٥ . (٥) ص ١٠ .

(٦) الكامل لابن الأثير الجزء ٨ ص ١٢٥ (طبعة مصر) ، سنة ٣٣٠ هجرية .

(٧) الورقات ٢٨٦ — ٢٩٠ .

أما المرحلة الثانية فهي إقامة ناصر خسرو في مصر ثلاث سنوات وثلاثة أشهر . وقد رأينا من قبل أن ناصر لم يصرح برغبته في الإقامة طويلاً بمصر . وهو لا يذكر شيئاً عما كان بها من الاهتمام الشديد بالدعوة المذهب الفاطمي ، وإذا استثنينا الإشارات العديدة للمستنصر على أنه أمير المؤمنين ، فإننا لا نجد إشارة إلى اعتناقه لهذا المذهب^(١) .

ومنذ استقر الفاطميون في مصر سعوا سعياً حثيثاً لنشر مذهبهم ، وقد أشرنا من قبل إلى نشاطهم في هذا السبيل في بلاد الشرق الإسلامي ، وقد كان الخلفاء الفاطميون يدعون من يثقون بإخلاصه لهم وبقدرته على الدعوة لمذهبهم ، يدعونهم إلى مصر ليتخصصوا في المذهب الفاطمي على يد كبار هذا المذهب وليحضرُوا دروس الخليفة أيضاً^(٢) ، وكذلك كان بعض الملوك ممن يدينون بالمذهب الفاطمي يرسلون أبناءهم إلى مصر حتى ينشئوا على حب الفاطميين ومذهبهم^(٣) .

وكان للثقافة الدينية الشأن الأول في المجال العلمي بمصر الفاطمية . وكانت المساجد : الأزهر وعمرو والحاكم ، ودار الحكمة ، وقصر الخليفة نفسه أمكنة لإلقاء دروس الفقه والفلسفة الإسلامية . وقد اشترك في هذه الدروس ، منذ استقر الفاطميون في مصر ، قاضي القضاة وداعى الدعوة والوزير والخليفة نفسه .

أما قاضي القضاة فكان يختار عادة من أسرة كبير قضاة الفاطميين أبي حنيفة النعمان ابن منصور القيرواني بن حيون الذي رأس القضاة أيام المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٦/٩٥٢ - ٩٧٥) . وقد اتخذت كتب أبي حنيفة بن حيون هذا أساساً للمؤلفات الفاطمية التي كتبها المجتهدون في المذهب من بعده . وينسب إليه ابن خلكان كتباً كثيرة منها : « كتاب الدعوة » و« الإخبار في الفقه » و« الانتصار في الفقه » . وينسب إليه المسيحي كتاب « اختلاف أصول المذاهب » . ويقال إن له كتاباً في نقد مذاهب أبي حنيفة

(١) ص ٦٣ ، ٦٦ ، ١٠٤ .

(٢) جامع التواريخ لرشيد الدين ورقات ٢٨٦ - ٢٩٠ .

(٣) ص ٥٣ من سفرنامه (العربي) .

والشافعي وابن شريح . وقد رأينا من كتبه : «افتتاح الدعوى» و«المجالس والمسائرات» وكلاهما مخطوط بمكتبة جامعة فؤاد الأول^(١) . و«دعائم الإسلام» و«تربية المؤمنين» و«أساس التأويل الباطن» وهي مخطوطات بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن^(٢) . وكان النعمان بن حيون هذا يعرض منهاج كل كتاب على الخليفة الفاطمي المعز لدين الله قبل كتابته ، ثم يقدمه إليه بعد ذلك^(٣) ، وكان الخليفة يكافئه بوضع كتاب في موضوع يختاره بعض الأحيان . يقول في كتابه المجالس والمسائرات «وأمرني الإمام المعز لدين الله بتأليف شيء من العلم وتخص على جميع معانيه وأصل لي أصوله وألقي إلى جملة من القول فلم أكن قبل ذلك تقدمت في تأليف شيء منه ولا اتسع على فيه اتساعا يوجب أن أتقدم في تصنيفه فلما فتق لي المعنى فيه وخلصه وأوضح لي معانيه وأمرني بتأليفه وتبسيطه تقدمت في ذلك تقدم واثق بعون الله به . . . فابتدأت منه جزءا ورفعتة إليه فوقع إلى : يا نعمان وقتت على الكتاب الذي عملته فرأيتته قد جاء حسنا ما بعده أحسن^(٤)» . ومن أصول المذهب الفاطمي أن العلم يتوارثه الأئمة ، فكان العالم ، مهما سميت مكانته في العلم ، يعرض مؤلفه على الإمام «لأنه لا يصلح العمل به ولا تحمل الفتيا والقضاء بما فيه إلا أن يصححه إمام الزمان ..^(٥)» ، ومن هنا كان التشابه الكبير بين كتب النعمان بن حيون وكتب من جاء بعده من رجال الفقه الفاطميين .

وأما داعي الدعوة فهو كما يدل اسمه كبير الدعوة ، فقد قسم العالم الإسلامي إلى جزائر — أقسام — كان في كل قسم حجة أي رئيس مذهبي ، وفي كل بلد داع ليدعو إلى المذهب وليكون صلة بين الناس وبين إمامهم الخليفة الفاطمي ، وذلك كما يقول المعز لدين الله : «إن الله أوجب على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا واتباع أمرنا والدمي إلينا من قرب ومن بعد كما أوجب الله عليهم في ظاهر أمره الحجج إلى بيته الحرام من الآفاق ، واسكننا للرافة بهم ولما أرجوه ونحبه من هدايتهم قد نصبنا بكل جزيرة لهم من يهديهم إلينا ويدلهم

(١) تحت رقم ٢٠٠٨٨ و ٢١٠٠٦٥ .

(٢) ناصر خسرو (بالفرنسية) ليعني الحثاب من ٨٨ .

(٣) المجالس والمسائرات ١٣٥ .

(٤) نفس المصدر من ١٣٥ .

(٥) نفس المصدر من ٧٣ .

علينا .^(١) « وكان لهؤلاء الدعاة أساليب لنشر الدعوة ، لا محل للتحديث عنها هنا . وقد وسع اختصاص الدعاة أربعة أمور : أولها علمي وهو أن عليهم أن يلقنوا المؤمنين أصول المذهب وأن يجيبوا من يسأل منهم عما يشكل عليه . والثاني سياسي وهو أن يجمعوا المؤمنين من حولهم وأن يدعومهم إلى الاعتراف بالخليفة الفاطمي وخلع خليفة بني العباس . والثالث مالي وهو أن عليهم أن يجمعوا النجوى من المؤمنين باسم الخليفة الفاطمي وأن يرسلوا إليه ما يجمعون بعد خصم النفقات اللازمة لهم أثناء تأدية عملهم . والرابع إداري فإن عليهم أن يقسموا البلاد أقساما إدارية كما يرون وأن يأخذوا العهد على من يولونه على كل قسم نيابة عن الخليفة .

وأما الوزير فكثيرا ما كان يشترك في التعليم فقد شارك ابن كلس وزير المعز والعزير في المجالس العلمية في قصر الخليفة وفي الجامع الأزهر وألف في الدعوة الفاطمية كتابا سماه « الرسالة الوزيرية » وكان بيته مجمعا للعلماء من أهل زمانه^(٢) . وكان اليازوري كبير الدعاة قبل أن يصل إلى الوزارة وفي أثناء توليته إياها .

وأما الخليفة فقد كان وارثا للعلم عن سلفه كما قلنا ، وكان يشترك في إلقاء المحاضرات وخاصة في شهر رمضان في المساجد وفي قصره . ومن ناحية أخرى كان يثق ببعض العلماء ويكلمهم بالكتابة في موضوع بعينه أو بتلاوة كتاب خاص ، ومن هذا تكليفه ناصر خسرو بالكتابة في موضوع البرزخ الذي شرحه في كتابه المصباح^(٣) ، ومن ذلك أيضا تكليف المعز لدين الله أبا حنيفة المعروف بـ ابن حيون بقراءة كتاب في علم الباطن ، أخرجه من خزائنه وأمره بقراءته على الناس كل يوم جمعة في مجلس بقصره المعمور^(٤) .

وكانت دروس الدعوة أو مجالسها مقسمة إلى قسمين ، قسم يستمع إليه عامة الناس من الراغبين في تحصيل العلم ، وقسم يستمع إليه المتخصصون في الدعوة ، كما أعدت دروس خاصة للنساء .

(١) نفس المصدر ص ١٠٤ .

(٢) ناصر خسرو ص ٩٥ .

(٣) خوان الإخوان لناصر خسرو ، نقر يحيى الخشاب ص ١١٦ (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة)

(٤) المجالس والمسائر ص ٦٧ .

هذا ملخص للحالة العلمية في مصر ، حين وفد عليها ناصر خسرو . ونلاحظ أنه في وصفه لمصر لا يتحدثنا عن شيء من هذا ، ولا يميظ اللثام عن اقتناعه بالمذهب الفاطمي ، وتدرجه في مراتب الدعوة حتى بلغ أربع درجاتها . ولكنه أشار إلى ذلك كله صراحة في ديوانه ، كما تحدث عن صلته بالخليفة في كتبه الأخرى . فهو يذكر حضوره مجلس المؤيد وتفتح أبواب الحكمة له وكيف عرف الظاهر والباطن واهتدى إلى إمام الزمان المستنصر وهو يرجو الله أن يبقية طول حياته قادرا على مدح سيد الخلق المستنصر ، جوهرة تاج الرسالة ومفخرة الإنس والجن . ويشبهه الإمام بسحاب الربيع والناس بالتراب ، ويشبه ضمائرهم بالليل ، والإمام بالتهار المضي الذي يهديها . ثم هو يتحدث عن طرحه التردد ، فهو لا يريد أن يكون قلعا ، ويعلم ميله إلى العلويين فهو داخل في ماتهم مقتنع بها فإنها هي الحق الذي سعى لمعرفته . ثم يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكيف أمره الله تعالى بالقيام بدعوته مع ما كان يعترضه من صعاب ويبين كيف استعان النبي بعلي في حمل عبء النبوة ، وهو يشبهه عليا ومحمدا بآدم وحواء فمن لا يدري الصلة بينهما فليرجع إلى قصتهما فإن النسل الباقي يخرج من علي ومحمد كما يخرج النسل الثاني من آدم وحواء . وكما أن النبي نوحا قد ثار من الكفار يوم الطوفان فكذلك أمطر على أرواح الجبابرة طوفانا من حد سيفه ، وفسر كيف كانت النار بردا وسلاما على إبراهيم بأن عليا قد زرع في قلوب المؤمنين مروج الورد بدل نار جهنم . ثم يشبهه عليا بهرون من موسى وبطيل الكلام في هذا المعنى . ثم يعود ويشبهه بعيسى ، فعيسى قد أحيى الموتى وكذلك أحيى على الجهلاء بعلمه ، والجاهل والميت سواء . ثم هو يتحدث عن بطش علي بالكفار وكيف كان سيفه ذو الفقار قويا على الكافرين ، حتى امتلأت السماء بأرواح لا أجساد فيها وفاضت القبور بأجساد بغير أرواح . ويصف يوم الخندق فيقول إن أرضه صارت كالمرجان من كثرة ما أراق « ذو الفقار » من دماء . وهو يطلب من المؤمنين أن يسموا عليا « الكرار » كما سماه النبي (صلم) . ثم ينتقل إلى خطبة غدیر خم ويذكر قول النبي (صلم) من كنت مولاه فعلى مولاه . . . ثم يتعجب ممن يأكل الطعام نيئا والوقود أمامه أو ممن يظل عطشانا على شاطئ النيل أو الشط . . . ويدعو الناس أخيرا إلى الدخول في المذهب الفاطمي ، في الحصن الذي لا يدخله إبليس ، الحصن الذي شيده الله من الغفران ، وحماه جبريل من الشيطان ، الحصن الذي فيه العز

والراحة وخارجه الشر والخذلان . وينتهي بمدح رب هذا الحصن ، إمام الزمان الخليفة الفاطمي (١)

ثم يحدثنا في قصيدة أخرى من ديوانه عن صلته بالإمام المستنصر ، ويقول إن الإمام نفسه هو الذي أخذ عليه العهد بأن لا يبوح بسر هدايته ، وهو الذي وعده بأن يوضح له ما يسأل عنه ، ثم وضع يده في يد النبي ليبايع كل منهما صاحبه تحت الشجرة التي تحمل ثمار العلم ، وهكذا تمت البيعة التي أرادها من قبل . وبصف ناصر بعد ذلك كيف ارتقى مراتب الدعوة درجة درجة حتى بلغ مرتبة الحجية وصار واحدا من الإثني عشر حجة الذين نصبهم الإمام بنفسه في سرا كزهم ، وكيف منحه الإمام ، أفضل الرجال ، هذه الدرجة ، وهي درجة لم ينالها أحد في أسرته ، وهكذا ، بعد أن كان تأمها في غياهب الجب ارتفع فوق القمر ، وليس أعظم من هذا علوا (٢) .

لم يحدثنا ناصر عن شيء من هذا في كتابه سفرنامه أثناء إقامته في مصر ، ولسنا مع ذلك نستطيع أن نتبين أنه كان يتمتع بمركز ممتاز أثناء إقامته الطويلة بها . فقد حج مرتين في صحبة رسول الخليفة مع أن الحج كان ممنوعا بسبب قحط في الحجاز ، وعاد في المرة الثانية في صحبة أمير مكة . وأراد أن يرى مائدة الخليفة يوم العيد فسمح له بذلك . كل هذا يبين مكانة ناصر أثناء الرحلة وتمتعه بمعاملة ممتازة من الخليفة والوزير وقتذاك مما يدل على اعتناقه المذهب الفاطمي ، وهو ما حدثنا عنه في ديوانه كما رأينا .

ولسكن لماذا أخفى ناصر اعتناقه هذا المذهب في مصر في سفرنامه ؟ لأن ناصر كتب رحلته بعد عودته إلى وطنه مباشرة ، في الفترة التي انكب فيها على عبادة الله وقبيل أن يبدأ حياته داعيا للدعاة في خراسان ، فلم يكن هناك مجال لأن يتحدث عن اعتناقه مذهبا تحاربه الدولة السلجوقية وتعمل على إبادته ؟ أو لأن ناصر كان ، في بادئ الأمر ، يخاف إن هو أظهر آراءه الجديدة أن يتعرض أخوه ، وهو من كبار رجال الأمير السلجوقي جفرى بيك ، للأذى ؟ أو يكون ذلك نتيجة اختصار النص الذي كتبه ناصر خسرو نفسه

(١) الديوان ٣١٣ - ٣١٦ .

(٢) الديوان ٣٦٤

على يد كاتب سنى فلم يثبت ما خالف المذهب السنى من آراء ؟ كل هذه الفروض جائزة .
يبقى بعد ذلك سؤال هو هل كان ناصر - وقد أصبح فاطمى المذهب - مبالغاً ومتعصباً
حين وصف مصر هذا الوصف الذى كله ثناء وتمجيد ؟ فهل هو يبالغ حين يتحدث عن
تراء المصريين أو عمام فيه من الرغد والأمن ؟ أو حين يتكلم عن سوق القناديل فيقول
إنه لا يعرف مثله فى العالم^(١) ؟ الواقع أن أسلوب المبالغة يسود الكتاب كله ولا يقتصر على
وصف مصر وحده . فهو يقول عن صيدا وآمد إنه لم ير مثلهما على وجه الأرض^(٢) ويتحدث
عن حصير فى مقام إبراهيم فيقول إنه لم ير مثلهما فى مكان قط^(٣) ، ويقول عن كنيسة القيامة
إنه ليس لها نظير فى أى جهة من العالم^(٤) ، وكذلك يقول عن إصفهان إنه لم يرفى كل
البلاد التى تتكلم الفارسية مدينة أجمل ولا أكثر سكاناً وعمراً منها^(٥) ، ويقول عن طبرس
إن الناس بها فى سلام وأمن عظيمين حتى أنهم لا يغلقون بيوتهم ليلاً ويتركون البهائم فى
الطريق مع أن المدينة غير مسورة^(٦) . وهكذا نرى أنه يبالغ فى أكثر من موضع من الكتاب
وأن العبارات التى وردت عن بعض ما رأى أو سمع فى مصر ليست إلا من هذا القبيل ،
فهى لا تفيد تعصباً فيما نرى .

٩

هكذا يعزم ناصر على العودة إلى وطنه ، وقد أصبح من أبرز رجال الدعوة الفاطمية ،
وهو لا يذهب إلى خراسان عن الطريق الذى سلكه فى مجيئه ولكنه يختار طريق
الحجاز وفلج والحسا ويطيل إقامته فى كل بلد منها . ونلاحظ أنه اختار طريق الحجاز ،
وأقام ستة أشهر مجاوراً فى مكة مع أنه زارها ثلاث مرات من قبل ، كما نلاحظ أن أمير جدة
أعفاه من المكس الواجب عليه وكتب لأمير مكة ليعفيه منه أيضاً ، وقد يرجح هذا أن
لناصر صفة خاصة فى رحلته إلى الحجاز هذه المرة .

ويحدثنا ناصر بأنه يغادر مكة قاصداً الحسا التى يبلغونها عادة فى ثلاثة عشر يوماً ،

(١) ص ٥٠ ، ٦٢ ، ٦٤ .

(٤) ص ٩ ، ١٤ .

(٥) ص ٣٤ . (٦) ص ٣٧ . (٧) ص ١٠٣ . (٨) ص ١٠٤ .

ولسكنه يسلك طريقا موحشا ماؤه المخاطر بين أعراب من سفاكي الدماء ، في الطائف ومطار والثريا وجزع وسربا وفليج واليمامة ثم يصل أخيرا إلى الحسا ، وقد استغرقت رحلته وسط هؤلاء الأعراب تسعة أشهر .

أما أن يقادر ناصر مكة قاصدا الحسا فهذا أمر اقتضته الصلات بين مصر والحسا في ذلك الوقت وقد كان صاحبها أبو سعيد يدفع الخمس للخليفة الفاطمي القائم ولو أن اعترافه بشرعيته لم يكن كاملا . وفي سنة ٣١٧/٩٣٠ أغار أبو طاهر على الكعبة وانزع الحجر الأسود ونقله إلى الحسا ، فأمر الخليفة الفاطمي المنصور برد الحجر إلى مكانه فرد سنة ٣٣٩/٩٥٠ . وساءت الصلات بين قرامطة الحسا والخليفة الفاطمي فبعث أبو الحسن بن أحمد إلى أصدقائه البويهيين وثيقة تثبت اغتصاب الخليفة الفاطمي الأول الخلافة ، وقد قرئت هذه الوثيقة جهارا في دمشق^(١) ولم يتوان هذا الرجل في إعداد حملة لمحاصرة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في مصر ، في السنة التالية لدخوله فيها ، فاضطر هذا أن يكتب إليه كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته وأن الدعوة واحدة وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه وإلى آبائه من قبله ووعظه . . .^(٢) وفي سنة ٤٢٠/١٠٣٠ حاول الكاتب الدرزي المقتنع أن يحمل السادة قرامطة الحسا على الاعتراف بالخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ولكن محاولته ذهبت عبثا^(٣) . فهل نستطيع على ضوء الصلات المتقدمة بين قرامطة الحسا والفاطميين ، أن نقول إن رحلة ناصر إلى هذه البلاد لم تكن مجرد سياحة إنما كان من ورائها توطيد الصلات بين البلدين ، وتجديد العلاقة بين السادة والمستنصر ؟ وخاصة إذا لاحظنا أن الدولة السنية القوية ، وهي دولة السلاجقة ، كانت قد أخذت في الاستيلاء على أملاك البويهيين ، فأفقدتهم العراق في سنة ٤٢٠/١٠٢٩ ثم كرمان في سنة ٤٤٠/١٠٤٨ حتى فنيت دولتهم في سنة ٤٤٧/١٠٥٠ ، نسكان على الفاطميين أن يصلوا ما انقطع من صلات مع أصدقائهم أو أن يجددوا هذه الصلات أو يوثقوا ليقفوا معهم صفا واحدا أمام التيار السني الذي اقتلع الدولة الشيعية البويهية والذي أخذ في محاربة المذهب

(١) ديرة المعارف الإسلامية مادة القرامطة لأستاذنا ماسينيون وانظر ص ٨١ من هذا الكتاب

(٢) ابن الأثير حوادث سنة ٣٦٣/٩٧٣ ، ج ٨ ص ١١ من طبعة مصر .

(٣) مقال ماسينيون عن القرامطة .

الفاطمى وما شابهه حرباً لا هوادة فيها ولا رفق . ولم يشأ ناصر أن يترك حادثة انتزاع الحجر الأسود من الكعبة ، وهى الحادثة التى استغلها الكتاب السنيون ضد القرامطة والفاطميين عامة فاستفكرها وأكد بذلك احترام قومه للكعبة وللبيت المقدس .

وأما تنقل ناصر وسط الأعراب فى الطائف ومطار والنريا وجزع وسربا وقلج فهو عندنا لأغراض سياسية أيضاً . فان الصلات بين اليمن ومصر كانت قوية وخاصة أيام المستنصر ، يحدثنا مؤرخ معاصر لناصر هو محمد بن مالك بن أبى الفضائل البجائى^(١) بأن رئيس الصليحيين استأذن المستنصر الفاطمى فى سنة ٤٣٩/١٠٤٧ فى نشر الدعوة الفاطمية ووجه إليه بهدايا فأذن له . فهل ذهب ناصر إلى أعراب هذه الجهات المختلفة ليؤايد بينهم ويجمع شتاتهم ليكونوا جميعاً إذا ما ناداهم الخليفة الفاطمى باسم رئيسهم ؟ هذا ما نرجحه .

١٠

عاد ناصر إلى بلخ سنة ٤٤٤/١٠٥٢ فى صحبة أخيه أبى الفتح عبد الجليل ، وقد طوف كثيرا فى خراسان ، وهى جزيرته التى عُين حجة لها من قبل الفاطميين ، ثم انتقل إلى مازندران فأقام بها زمناً طويلاً حتى نسب إليها ، وقد استطاع أن يقنع كثيراً من أهلها بالدخول فى مذهبه . ولكن مناظراته للعلماء وشهرته بمذهب خاص يتنافى مع السنة وجهه بآرائه وعنايته ببشها بين الناس ، كل هذا أثار عليه الناس والحكومة ، فاعتدى على منزله وأضطر أهله إلى مجره كما اضطر هو إلى أن ينجو بنفسه فهاجر إلى بُمگان ، وهناك أخذ يصنف الكتب والرسائل فى مذهبه ، وكان بعضها يوحى من الخليفة الفاطمى المستنصر بالله نفسه^(٢) .

وكتب ناصر كثيرة ، منها المنظوم ومنها المنثور ، ونسكتفى بأن نذكر كتبه للنشورة أو المخطوطة التى رأيناها . فالمنظومة هى الديوان وسعادت نامه وروشنائى نامه ، والمنشورة هى زاد المسافرين وخوان الإخوان والرسالة ووجه دين وسفر نامه ، وعثرنا على مخطوطة تحتوى

(١) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) خوان الإخوان ص ١١٦ نهر يحيى الحشاش (مطبعة المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة)

على جزء من كتاب كشايش ورهايش^(١) . وقد نلخص شريعته في كتاب وجه دين الذى أراد أن يقلد به « كتاب البيان » الذى وضعه غياث أحد كبار رجال الدعوة الباطنية فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، وهو يحوى شرحا باطنيا لأركان الإسلام والجهاد والإمامة^(٢) .

وظل ناصر يدعو لمذهبه فى يمغان ، ولا يزال لدى الإسماعيليين النزاريين فى شوغان كتب لناصر منها « الصحيفة » و « مرآة المحققين » ثم إنهم يعرفون « سفرنامه » ولسكنهم ينسبونوه إلى سعيد سهراب أحد أقارب ناصر خسرو الذين عاصروه^(٣) . ولا يزال قبر ناصر للآن مزارا يؤمه الإسماعيليون النزاريون - نزار بن المستنصر - من الصين وآسيا الوسطى الروسية والهند والأفغان^(٤) .

وبعد فإنى أشكر أستاذى الجليل الدكتور عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب الذى أتاح لهذا الكتاب أن ينشر باللغة العربية ، فهو الذى أشار على بترجمة الفصل الخاص بمصر من سفرنامه كملحق لبحث الماجستير سنة ١٩٣١ ، وهو الذى أشار بعد ذلك بنقل الكتاب كله إلى اللغة العربية وتفضل بمراجعته ثم عمل على أن يكون من مطبوعات كلية الآداب وأول مطبوعات معهد اللغات الشرقية بها .

بحبى الحشاب

(١) دار الكتب الملكية المصرية ، مخطوط رقم ٨٢ فارسى (ووضع خطأ تحت « موضوع التصوف ») وانظر كتابنا ناصر خسرو (بالفرنسية) من ١٣٢ - ١٤١ ، من ١٤٩ - ٢١٧ .
(٢) سياست نامه من ١٨٥ وبيان الأديان لأبى المعالى العلوى من ٣٩ (تصحيح عباس إقبال) .
(٣) Majerczak فى مجلة العالم الإسلامى سنة ١٩١٢ من ٢١٢ (Revue du Monde Musulman)
(٤) Semenow فى مجلة دراسات تاجستان ، Ivanow فى ملاحظات على « أم الكتاب » .
وناصر خسرو لبحبى الحشاب من ٢٩٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما يقول أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني^(١) المروزي تاب الله عنه . كانت صناعتي الإنشاء ، وكنت من المتصرفين في أموال السلطان وأعماله ، واشتغلت بالديوان ، وباشرت هذا العمل مدة من الزمن ، وذاع صيتي بين أقراني . وفي ربيع الآخر سنة ٤٣٧ (أكتوبر ونوفمبر ١٠٤٥) ، أيام أبي سليمان جفري بيك . داود بن ميكائيل بن سلجوق حاكم خراسان^(٢) ، ذهبت من مرو في عمل للديوان ، ونزلت في فندق ديه مرو الرود . كان ذلك يوم قران الرأس والمشتري ، ويقال إن الله تعالى وتقدس يستجيب فيه إلى ما يطلب الناس من حاجات ، فذهبت إلى زاوية وصليت ركعتين ودعوته تعالى وتبارك أن يبسر لي أمرى ، فلما عدت لأصدقائي وأصحابي وجدت أحدهم ينشد شعرًا فارسيًا ، فجال بخاطري أبيات ، فسكتبتها على ورقة لأعطيها إياها حتى ينشدها ، فإذا به ينشد ما كتبت من شعر ولما أعطه الورقة ، فتفاءلت بهذه الحال ، وقلت في نفسي إن الله تعالى وتبارك قد قضى حاجتي . ثم ذهبت إلى جزجانان فسككت بها حوالي شهر ، وظللت أشرب الخمر ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « قولوا الحق ولو على أنفسكم » ، حتى إذا كانت ذات ليلة رأيت في المنام رجلاً يقول لي : « إلى متى تشرب هذا الشراب الذي يسلب لب الرجال ، خير لك أن تصحو » . فأجبت : إن الحكماء لا يستطيعون شيئًا غير هذا يقلل هموم الدنيا » . فأجاب : « إن التمسرية عن النفس لا تنأى بفقد الشعور والعقل ، والحكيم لا يستطيع أن يقول إن الرجل المسلوب الفؤاد يصلح هاديًا للناس ، بل ينبغي عليه أن يبحث عما يزيد العقل والحكمة » . قلت : « وأنى لي هذا ؟ » . قال : « من جدَّ وجدَّ »

(١) هي مدينة وولاية على جيحون قرب ترمذ وهي مجاورة للصغانيان . معجم البلدان ج ٤ ص ١٩٦ ، مطبعة أوربا . والمروزي نسبة إلى مرو .

(٢) ولي خراسان من قبل أخيه طغرل بيك وقد توفي سنة ١٠٥٩/٤٥١ خلفه ابنه الب أرسلان الذي أصبح سلطانًا بعد موت عمه طغرل سنة ١٠٦٣/٤٥٥ .

ثم أشار إلى القبلة ولم يقل شيئا . فلما صحوت من النوم ، كانت هذه الرؤيا ماثلة بأكلها أمامي ، وقد أثرت في ، فقلت لنفسى : صحوت من نوم البارحة وينبغي أن أصحو من نوم أربعين سنة خلت ، وأمعنت الفكر فوجدتني لن أسعد ما لم أعدل عن كل سلوكي .

وفي يوم الخميس السادس من جمادى الآخر سنة ٤٣٧ (٢٠ ديسمبر ١٠٤٥) ، منتصف شهر دى^(١) من السنة الفارسية ٤١٠ من التقويم اليزدجردى ، اغتسلت وذهبت إلى الجامع فصليت ، ودعوت الله تبارك وتعالى أن يعينني على أداء الواجب ، وعلى ترك المنهيات والسيئات ، كما أمر الحق سبحانه وتعالى .

ثم توجهت من هناك إلى شيورغان ، وفي المساء كنت في قرية بارياب^(٢) ، ومنها سرت إلى مرو الرود عن طريق سنكلان وطالقان . فلما بلغت مرو طلبت إعفائي مما عهد إلى من عمل ، وقلت إنى عازم على الحج ، ثم أديت ما على من حساب ، وتركت أموالى عدا القليل الضرورى منها .

وفي الثالث والعشرين من شعبان (٦ مارس ١٠٤٦) عازمت على السفر إلى نيشاپور ، فسرت من مرو إلى سرخس ، وهى على ثلاثين فرسخا منها ، ومن سرخس إلى نيشاپور أربعون فرسخا ، وقد بلغتها يوم السبت الحادى عشر من شوال (٢٢ أبريل ١٠٤٦) . ويوم الأربعاء آخر هذا الشهر كسفت الشمس ، وكان الحاكم حينئذ طفرل بيك محمد^(٣) أخ جفرى بيك ، وكانوا يشيدون مدرسة بقرب سوق السراجين ، أمر ببنائها ، وقد ذهب

(١) الأشهر الفارسية السنية القديمة هى :

- | | |
|-------------------------------------|--------------------------------|
| ١ - فروردين (مارس - أبريل) | ٧ - مهر (سبتمبر - أكتوبر) |
| ٢ - أردى بهشت (أبريل - مايو) | ٨ - آبان (أكتوبر - نوفمبر) |
| ٣ - خرداد (مايو - يونيو) | ٩ - آذر (نوفمبر - ديسمبر) |
| ٤ - تير (يونيو - يوليو) | ١٠ - دى (ديسمبر - يناير) |
| ٥ - مرداد . آرمرداد (يوليو - أغسطس) | ١٢ - بهمن (يناير - فبراير) |
| ٦ - شهر يور (أغسطس - سبتمبر) | ١٢ - أسپندارمز (فبراير - مارس) |

وقد لاحظ Schefer (س ٤ هامش) إنه ينبغي أن تكون السنة ٤١٣ بدلا من ٤١٠ ، وهو العدد الذى ذكر خطأ فى المخطوطات المختلفة للكتاب .

(٢) ويقال لها بارياب أيضا التى منها المعلم الثانى الفارابى المتوفى ٣٣٩ (٩٥٠) .

(٣) أول السلاجقة العظام ، وقد استولى على نيشاپور سنة ٤٢٩/١٠٣٧ ، وفى ٤٤٧/١٠٥٥ دخل بغداد ومات سنة ٤٥٥/١٠٦٣ .

أثناء ولايته ، لأول مرة ، للاستيلاء على ولاية اصفهان .
وفي الثاني من ذي القعدة (١٢ مايو ١٠٤٦) غادرت نيشاپور ، في صحبة الأستاذ الموفق^(١)
الذي كان مؤدبا للسلطان ، فبلغنا قومن ، عن طريق كوان ، وزرت مشهد الشيخ بايزيد
البسطامي قدس الله روحه^(٢) .

وفي الجمعة الثامن من ذي القعدة (١٨ مايو ١٠٤٦) سرت إلى دامغان ، ثم بلغت سمنان
عن طريق آبخوري وچاشت خواران ، في غرة ذي الحجة سنة ٤٣٧ (٩ يونيو ١٠٤٦) ،
وقد مكثت هناك زمنا وتعرفت بأهل العلم . وقد دلوني على رجل اسمه على النسائي ، وهو
شاب يتكلم الفارسية بلهجة الديلمية ، كان شعر رأسه مرسلا ، وكان ، وهو يتكلم ، يقول
« إني قرأت كذا على الأستاذ أبي علي سينا رحمه الله وهكذا سمعت منه » لكي أعرف
أنه تلميذ ابن سينا . ولما ناظرته قال « إني قليل المعرفة بكل علم وأحب أن أقرأ معك قليلا
في الحساب » فخرجت متعجبا وقلت : « ماذا يعلم الآخريين وهو لا يعلم شيئا ؟ » .

وعددت من بلخ إلى الري ثلاثمائة وخمسين فرسخا ، ويقال إنه من الري إلى ساوه
ثلاثون فرسخا ، ومن ساوه إلى همدان كذلك ، ومن الري إلى اصفهان خمسون فرسخا وإلى
أمل ثلاثون . وبين الري وآمل جبل دماوند ، وهو كالقبة ويسمى لواسان ، ويقال إن
بقمته بئرا يستخرج منه النوشادر ويقال والكبريت أيضا ، فيصعد عليها رجال يحملون
جلود البقر ويملئونها بالنوشادر ، ثم يدحرجونها من قمة الجبل ، لتعذر إيجاد طريق لنقلها .
وفي الخامس من محرم سنة ٤٣٨ (١٣ يوليو ١٠٤٦) ، الموافق للعاشر من شهر مرداد
سنة ٤١٥ من تاريخ الفرس ، توجهت ناحية قزوین فبلغت قرية قوهة وكان بها قحط حتى
بيع المن من خبز الشعير بدرهمين ، وقد غادرتها في التاسع من محرم (١٧ يوليو) فبلغت

(١) كان الحوجة هبة الله الموفق كاتباً للسلطان طغرل بيك ، وهو الذي أشار عليه باختيار
أبي منصور الكندي ، الوزير المشهور ، كاتباً للرسائل العربية ، والموفق هو والد أبي سهل محمد
ابن هبة الله المعروف بابن الموفق ، الذي اختير للسير في خدمة السيدة ابنة الخليفة القائم زوجة طغرل بيك
التي أمر السلطان ألب أرسلان بعودتها إلى بغداد . (ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٢ طبعة مصر)

(٢) هو طيفور بن عيسى ، وكان جده الأعلى (سروشان) مجوسيا وأسلم . وتوفي أبو يزيد
البسطامي سنة ٨٧٤/٢٦١ . وقد أنشأ القبة التي على قبره الأمير المغولي ألبايتو سلطان محمد خود بنده
الذي اتخذ من حفيد أبي يزيد مؤدبا (الشيخ شرف الدين) ، وذلك سنة ١٣١٣/٧٠٠ .

قزوين ، وهي أهلة بالحدائق التي لا تحدها أسوار أو أشواك ، فلا يحول دون دخولها عائق .
رأيت قزوين مدينة عظيمة ، ذات حصن مكين عليه شرفات . وبها أسواق جميلة ،
إلا أن الماء بها قليل ، وهو يجري في قنوات تحت الأرض ، وكان حاكمها رجلاً من
العلويين . ويشغل معظم صناعاتها بصناعة الأحذية .

وفي الثاني عشر من محرم سنة ٤٣٨ (٢٠ يوليو ١٠٤٦) غادرت قزوين عن طريق
بيل وقبان وهما من ضواحيها ، وسرت إلى قرية تسمى خرزويل . كان معنا ، أنا وأخي
وغلام هندي كان يصحبنا زاد قليل ، فذهب أخي للقرية ليشتري شيئاً من البقال ، فقال
له أحدهم : ماذا تريد أنا البقال ؟ فقلت : « كل ما عندك يناسبنا ، فإنا غرباء وعابرو سبيل »
فقال : « ليس عندي شيء أبداً » وبعد ذلك كنت أقول « إنه بقال خرزويل » عن
كل شخص في أي مكان يقول كلاماً من هذا النوع .

بعد مغادرة هذه القرية جزناً منحدراً صعباً ، وبعد مسيرة ثلاثة فراسخ بلغنا قرية
تسمى برز الخير ، من أعمال طارم ، كان جوها حاراً ، وبها شجر كثير من الرمان والتين
ومعظمه برّي . ومن هناك اجتزنا نهراً يسمى شاه رود ، عليه قرية تسمى خندان ، تجرى
فيها المسكوس من قبل أمير الأسراء وهو من ملوك الديلم . وحين يخرج النهر منها يلتقي بنهر
آخر اسمه سپيد رود ، ثم يدخل النهران وادياً شرقي جبال جيلان ، ويمر النهر بجيلان ثم
يصب في بحر آبسكون (بحر قزوين) . ويقال إن ألفاً وأربعمائة نهر تصب في هذا البحر
الذي يقال إن محيطه ألف ومائتا فرسخ ، وإن في وسطه جزائر أهلة . بالسكان ، وقد سمعت
هذا من كثيرين .

والآن أعود إلى رحلتي وما كان فيها :

ومن خندان إلى شميران ثلاثة فراسخ من صحراء جبلية كلها . وشميران قسبة ولاية
طارم . وعلى حافة المدينة قلعة مرتفعة مشيدة على صخر صلد ، محاطة بثلاثة أسوار . وقد
حفرت في وسطها قناة تجرى حتى شاطئ النهر ، ومنها يستخرجون الماء ويحملونه إلى
القلعة ، ويقوم بها ألف رجل مختار من أبناء عظام الولاية ، وذلك حتى لا يستطيع أحد
أن يضل أو يشور . ويقال إن لهذا الأمير قلاعاً كثيرة في ولاية الديلم ، وإن العدل

والأمن مستقبان بها ، بحيث لا يستطيع أحد أن يغتصب شيئاً من غيره ، بل إن الناس هناك يدخلون مسجد الجمعة ، ويتركون أحذيتهم خارجه فلا يأخذها أحد . ويكتب اسم هذا الأمير هكذا : « مرزبان الديلم جيل جيلان أبو صالح مولى أمير المؤمنين » واسمه جستان إبراهيم^(١) ، وقد رأيت في شميران رجلاً طيباً من دربند ، اسمه أبو الفضل خليفة بن علي الفيلاسوف ، كان رجلاً فاضلاً ، أضافنا وأكرمنا ، وقد تناظرنا معاً ، واتصلت بيننا الصداقة . سألتني : علام عزمتم ؟ فقلت إني أنوي الحج ، قال : أريد أن تمر بنا في عودتك حتى أراك .

وفي السادس والعشرين من محرم (٣ أغسطس ١٠٤٦) غادرت شميران ، وفي الرابع عشر من صفر (٢١ أغسطس) بلغت مدينة سراب وغادرتها في السادس عشر ، (٢٣ أغسطس) ، ثم سررت بسعيد آباد ، وبلغت تبريز في عشرين صفر ٤٣٨ (٢٧ أغسطس ١٠٤٦) ، وكان ذلك في الخامس من شهر يور الشهر القديم ، وتبريز قسبة ولاية آذربيجان وهي مدينة عامرة وقد قست طولها وعرضها فكان كل منهما الفاوآر بمائة قدم . وكان ملك ولاية آذربيجان يذكر هكذا في الخطبة : « الأمير الأجل سيف الدولة وشرف الملة أبو منصور وهسودان بن محمد ، مولى أمير المؤمنين^(٢) » . وحكوا لي أنه في ليلة الخميس السابع عشر من ربيع الأول ٤٣٤ (٥ ديسمبر ١٠٤٢) ، في الأيام المستترقة ، بعد العشاء ، زلزلات الأرض ، تغرب جزء من المدينة ، ولم يصب الجزء الآخر بسوء ، ويقال إنه هلك فيها حينئذ أربعون ألف نسمة . ورأيت في تبريز شاعراً اسمه قطران^(٣) يقول شعراً

(١) جستان بن إبراهيم من بني سالار ، أیده طغرل بيك في سنة ١٠٣٨/٤٣٠ على ولاية الديلم وطبرستان .

(٢) آخر الأسماء المستقلين في أسرة بني سالار أو بني مسافر التي حكمت آذربيجان منذ سنة ٩٤١/٣٣٠ ، وقد سار طغرل بيك إلى تبريز سنة ١٠٤٦/٤٤٦ ، فأطاعه أميرها أبو منصور وهسودان ابن محمد الراودي ، وخطب له ، وحمل إليه ما أرضاه به وأعطاه ولده رهينة (ابن الأثير ج ٩ ص ٢٠٧ طبعة مصر) .

(٣) أبو منصور قطران الجبلي الأزدي ، وهو من بلاد الجبل في الديلم كما يدل اسمه . عاش في تبريز ، وينسب إليه « قوس نامه » ، وقد كتب أشعاراً كثيرة منها مدائح للأمير البويهبي أسد الدولة . وقد توفي قطران سنة ١٠٧٢/٤٦٥ Browne ج ٢ ص ٢٧١ حيث رجع إلى لباب الأبواب وتذكارة الشعراء ، وانظر شيفر ص ١٨ .

جميلاً ، ولسكنه لم يكن يجيد الفارسية ، وقد زارني ومعه ديوانى منجيك^(١) والدقيق^(٢) وقرأ على منهما ، وسألني عما أشكل عليه من المعاني ، فسكنت أجليه وهو يكتب ما أقول ، ثم تلى علي شيئاً من أشعاره .

في الرابع عشر من ربيع الأول (١٩ سبتمبر) غادرت تبريز عن طريق مرند ، مع جماعة من جيش الأمير وهسودان ، فسرنا حتى بلغنا خوى ، ومن هناك سرنا إلى بركرى بصحبة رسول . ومن خوى إلى بركرى ثلاثون فرسخاً ، وقد بلغناها في الثاني عشر من جمادى الأول (١٦ نوفمبر) . ومن هناك ذهبنا إلى وان ثم إلى وسطان ، وكان لحم الخنزير يباع في سوقها ، كما يباع الضأن ، ويجلس نساؤها ورجالها أمام الحوانيت ، ويشربون بغير حياء .

ومن هناك بلغنا مدينة أخلاط ، في الثامن عشر من جمادى الأول (٢٢ نوفمبر) ، وهي على الحدود ما بين بلاد المسلمين والأرمن . وبينها وبين بركرى تسعة عشر فرسخاً . وعليها أمير اسمه نصر الدولة^(٣) ، نيف على المائة ، وله أبناء كثيرون ، أعطى

(١) أبو حسن علي بن محمد منجيك ، ويقول صاحب « إحياء الملوك » إنه سمي منجيك نسبة إلى قرية تحمل هذا الاسم في ترمذ . وكان منجيك شاعراً مجيداً ولسكنه كان هجاء يخشى الناس هجاءه . ويقال إنه كان شاعراً لأمرء صفائيان كما يقال إنه كان من شعراء محمود الغزنوي ، وقد ضاع معظم شعره ، ومن القليل الذي بقي فصيحة يمدح فيها أبا المظفر أحمد الصفاري وآخرتان يمدح فيهما طاهر بن أحمد أمير سستان .

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد من شعراء العصرين الساماني والغزنوي ، في القرن الرابع الهجري ، يقول عوفي في « باب الألباب » ، (ج ٢ ص ١١ ، ١٢) إنه كان في خدمة الأمرء الجفانيين ، ويروي أبياتاً له في مدح الأمير أبي سعيد محمد بن المظفر بن محتاج الجفاني (التوفي ٣٢٩) ، وكذلك يروي من مدائمه في الأمير السيد منصور بن نوح الساماني (٣٥٠ - ٩٦١/٣٦٥ - ٩٧٥) والأمير الرضى نوح بن منصور (٣٦٥ - ٩٧٥/٣٨٧ - ٩٩٧) . ويقول صاحب « تاريخ كزبدة » (ص ٨١٨) إنه كان معاصراً للامير نوح بن منصور .

وقد ذكر أستاذنا الدكتور عزام في مدخل الشاهنامه (العربية) الآراء المختلفة في دين الدقيق ، ثم قال إن اسمه اقترن باسم الفردوسي إذ كان السابق له في نظم الشاهنامه ، فظم ألف بيت ثم حالت المنية دون أمنيته .

راجع مدخل الشاهنامه للدكتور عزام ص ٣٨ - ٣٩ وما بعدها ، وانظر في آل محتاج حوائى الغزنوي على چهار مقاله ص ١٦٣ وما بعدها .

(٣) هو نوات أبناء مروان بن روشك مؤسس الأسرة السكرديية التي تحمل اسمه والذي حكم ديار بكر والجزيرة (٢٧٣ - ٤٨٧/٩٨٣ - ١٠٩٤) . ولى العرش سنة ٤٠٢/١٠١١ بمدمون =

كلا منهم ولاية . ويتكلمون بها ثلاث لغات . العربية ، والفارسية ، والأرمنية .
وأظن أنها سميت « أخلاط » لهذا السبب ، والمعاملة هناك بالنقود النحاسية ، ورطابهم
ثلاثمائة درهم .

في العشرين من جمادى الأولى (٢٤ نوفمبر) غادرنا أخلاط ، ونزلنا في رباط
(كروان سراي) . كانت السماء تمطر ثلجاً ، والبرد قارساً . وقد غرسوا في جزء من الطريق ،
عمداً ليسير المسافرون على هديها أيام الثلج والضباب . ثم بلغنا مدينة بطايس ، وهي واقعة
في واد ، وقد اشترينا منها عسلاً ، المائة من بدينار ، حسب ما باعونا . ويقال إن بها من
يجف في السنة الواحدة ثلاثمائة وأربعمائة جرة عسل .

وخرجنا منها فرأينا قلعة تسمى « قف انظر » ، وتركناها إلى مكان به جامع ، يقال
بناه عويس القرني قدس الله روحه ^(١) . ورأيت الناس عند حدوده يطوفون بالجبل ويقطعون
أشجاراً تشبه السرو ، فسألت ماذا تعملون بها ؟ فقالوا : نضع طرفاً من الشجرة في النار
فيخرج هذا القطران من طرفها الآخر ، فنجمه في البئر ، ثم نضعه في أوعية ونحمله إلى
الأطراف . وهذه الولايات التي ذكرتها باختصار بعد أخلاط تابعة لميفارقين .

ثم سرنا إلى مدينة أرزن ، وهي مدينة عاسرة وجميلة ، فيها أنهار جارية وبساتين
وأشجار وأسواق جميلة ، ويبيع البرسيون ^(٢) هناك المائة من عنباً بدينار واحد في شهر
آذر (نوفمبر وديسمبر) ، ويسمون هذا العنب رز إرمانوش .

وانتقلنا إلى مدينة ميفارقين التي يفصلها عن أخلاط ثمانية وعشرون فرسخاً ، ومن باخ

== أخويه ، وكان في يده ولايته تابعاً للدولة البيزنطية ، فلما دخل طغرل بيك الجزيرة (١٠٥٤/٤٤٦) ،
أصبح نصر الدولة تابعاً له ، وحكم اثنتين وخمسين سنة وتوفي ٤٥٣ — ١٠٦١ .

راجع ابن الأثير الجزئين ١٠٠٩ ، وراجع شيفر ص ٢١ — ٢٢ ، وما أشار إليه من مراجع .
وانظر كتاب « خلاصة تاريخ السكرد والسكردستان » ، ل محمد أمين زكي بك (بالكردي) والذي نقله
للربية الأستاذ محمد علي عوني ص ١٤٨ .

(١) من الصحابة ، ويقال إنه قتل في صفين . ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه قتل في أرمينيا
اوسجستان ، ويذهب آخرون إلى أنه مات في الصحراء بين المدينة ودمشق ، وأن قبره في هذا البلد الأخير .
راجع ابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٢ طبعة أوروبا ، ورحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ ، وشيفر
ص ٢٣ (٢) .

(٢) البرسيون هم الفرس الذين حافظوا على دين زردشت ولم يسلموا بعد الفتح الاسلامي .

إليها ، عن الطريق الذي اجتزناه ، إثنان وخمسون وخمسمائة فرسخ . وقد دخلناها يوم الجمعة السادس والعشرين من جمادى الأولى ٤٣٨ (٢٣ نوفمبر ١٠٤٦) ، وكانت أوراق الشجر حينئذ لا تزال خضراء . وميافارقين محاطة بسور عظيم من الحجر الأبيض الذي يزن الحجر منه خمسمائة من . وعلى بعد كل خمسين ذراعاً من هذا السور برج عظيم من الحجر نفسه ، وفي أعلاه شرفات ، وهي من الدقة بحيث تقول أن يد بناء ماهر أكملتها اليوم . ولهذا المدينة باب من ناحية الغرب ، له عتبة عليها طاق حجري ، وقد ركب عليها باب من حديد لا خشب فيه . وبطول وصف مسجد الجمعة بها لو ذكرته ، ولو أن صاحب الكتاب شرح كل شيء أنتم الشرح^(١) ، وقد قال إن الميضاة التي عملت بهذا المسجد أربعين مرحاضاً ، تمر أمامها قناتان كبيرتان ، الأولى ظاهرة ليستعمل ماؤها ، والثانية وهي تحت الأرض ، لحمل الثفل وللصرف . وخارج هذه المدينة ، في الرض ، أربطة (كروان سراها) وأسواق وحمامات ومسجد جامع آخر يصلون فيه الجمعة أيضاً . وفي ناحية الشمال سور آخر به مدينة تسمى المحدثه ، بها سوق ومسجد جامع وحمامات ، وكل ما ينبغى لمدينة من مهمات . ويذكر اسم سلطان الولاية في الخطبة هكذا : الأمير الأعظم عز الإسلام سعد الدين نصر الدولة وشرف الملة أبو نصر أحمد ، وقد بلغ المائة من عمره ، ويقال إنه حي . والرطل هناك أربعمائة وثمانون درهما . وقد بنى هذا الأمير مدينة على مسافة أربعة فراسخ من ميافارقين سماها الناصرية ، ومن آمد إلى ميافارقين تسعة فراسخ .

في السادس من شهر دى القديم (٢٢ ديسمبر ١٠٤٦) بلغنا آمد التي شيدت على صخرة واحدة طولها ألفا قدم وعرضها كذلك . وهي محاطة بسور من الحجر الأسود ، كل حجر منه يزن ما بين مائة وألف من ، وأكثر هذه الحجارة ملتصق ببعضه البعض من غير طين أو جص . وارتفاع السور عشرون ذراعاً وعرضه عشر أذرع . وقد بنى على بعد كل مائة ذراع برج نصف دائرته ثمانون ذراعاً ، وشرفاته من هذا الحجر بعينه . وقد شيدت في عدة أماكن داخل المدينة ، سلام من الحجر ، ليتيسر الصعود

(١) هذه الجملة ، كما يبدو ، من وضع ناسخ الكتاب ، وهي تدل على أن هذا النسخ ، أو كتابها سواه ، قد اختصر كتاب سفرنامه . راجع تعليق الأستاذ غني زاده ص ١٠ (١٠) سفرنامه طبعه برلين .

إلى السور ، وقد بنيت قلعة على قمة كل برج . ولهذا المدينة أربعة أبواب كلها من الحديد الذى لا خشب فيه ، يطل كل منها على جهة من الجهات الأصلية . ويسمى الباب الشرقى باب دجلة ، والغربى باب الروم ، والشمالى باب الأرمن ، والجنوبى باب التل . وخارج هذا السور سور آخر ، من نفس الحجر ، ارتفاعه عشر أذرع ومن فوقه شرفات فيها ممر يتسع لحركة رجل كامل السلاح ؛ بحيث يستطيع أن يقف فيه ويحارب بسهولة . ولهذا السور الخارجى أبواب من الحديد شيدت مخالفة لأبواب السور الداخلى ، بحيث لو اجتاز (السائر) أبواب السور الأول ، وجب عليه اجتياز مسافة لبلوغ أبواب السور الثانى ، وهذه المسافة تبلغ خمس عشرة ذراعا . وفى وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر الصلب ، وهذا الماء من الغزارة بحيث يكفي لإدارة خمس طواحين ، وهو غاية فى العذوبة ولا يعرف أحد من أين ينبع . وفى المدينة أشجار وبساتين تسقى من هذا الماء ، وأمير المدينة وحاكمها هو ابن نصر الدولة الذى مر ذكره . وقد رأيت كثيراً من المدن والقلاع فى أطراف العالم ، فى بلاد العرب والعجم والهند والترك ، ولكنى لم أرقط مثل مدينة آمد ، فى أى مكان على وجه الأرض ، ولا سمعت من أحد أنه رأى مكاناً آخر مثلها^(١) . ومسجدها الجامع من الحجر الأسود ، وليس مثله متانة وإحكاما . وقد أقيم فى وسطه أكثر من مائتى عمود من الحجر ، كل عمود قطعة واحدة ، وفوق هذه الأعمدة عقود من الحجر ، وقد نصبت فوقها أعمدة أقصر من تلك . وجميع أسقف المسجد على هيئة الجملون ، وقد كملت نجارة ونقارة ونقشا ودهنا . وفى ساحته صخرة كبيرة عليها حوض كبير مستدير من الحجر ، يبلغ ارتفاعه قامة رجل ، ومحيط دائرته ذراعان . وفى وسط الحوض أنبوبة من النحاس يتفجر منها ماء صاف ، لا يظهر مدخله أو مخرجه . وبالمسجد مiazza عظيمة جميلة الصنع بحيث لا يوجد أحسن منها ، وقد بنيت عمارات آمد كلها من الحجر الأسود ، وأما ميافارقين فعماراتها من الحجر الأبيض .

(١) تؤيد رواية Procope قول ناصر خسرو عن آمد . وقد أصابح أسوارها بجستيان ، وكانت حتى سنة ١١٧٦/٥٧٢ مقاما للطريق اليمقوى . وقد بلغها الب أرسلان سنة ١٠٧٠/٤٦٣ فأعجب بمناعة سورها فملى عليه بيده ثم مسح بها وجهه تبركا . وشيد سور طرطوشه (بالأندلس) على نمط سور آمد الذى شيده مهندس روماني . وقد صوره Rey فى كتابه Monuments de l'architecture des Croisés en Syrie (باريس ١٨٧١ ص ٧٣) . ويقول على الهروى فى كتابه « الإشارات إلى الزيارات » أن فى آمد خمسة مساجد (الورقة ٥٨) . وراجع شيفر ص ٢٦ .

وبالقرب من المسجد كنيسة عظيمة غنية بالزخارف ، مبنية كلها من الحجر ، وقد فرشت أرضها بالرخام المنقوش . وقد رأيت فيها ، على الطارم ، وهو مكان العبادة عند النصارى ، بابا من الحديد المشبك لم أر مثله في أى مكان .

ومن آمد إلى حران طريقان ، أحدهما لا عمران فيه وهو أربمون فرسخاً ، والثانى به أما كن معمورة وقرى كثيرة معظم أهلها من النصارى وهو ستون فرسخاً ، وقد سرنا مع القافلة في هذا الطريق ، وكانت الصحراء غاية فى الاستواء ، إلا أن بها أحجاراً كثيرة بحيث لا تستطيع الدواب أن تخطو خطوة واحدة من غير أن تعثر بحجر تحت حوافرها . وقد بلغنا حران يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٣٨ (٢٨ ديسمبر ١٠٤٦) ، الموافق اثنين وعشرين من شهر دى القديم ، وكان هواؤها فى ذلك الوقت كهواء خراسان أيام النوروز .

وسرنا من هناك فبلغنا مدينة تسمى قزول حيث أضافنا رجل كريم فى بيته . وهناك دخل أعمرانى فى الستين من عمره فاقترب منى وقال : حفظنى القرآن فلقنته « قل أعوذ برب الناس » فكان يقرؤها معى ، فلما وصلت إلى آية « من الجنة والناس » قال : « أقول أيضاً سورة « أرأيت الناس » ، نقلت هذه السورة ليست قبل تلك فقال : « ما سورة نقالة الخطب » ، ولم يعرف أنه قيل فى سورة « تبت » جملة الخطب لا نقالة الخطب . ولم يستطع هذا الأعمرانى للمشرف على الستين ، فى تلك الليلة ، أن يحفظ سورة « قل أعوذ » ، مع تكرارى لها معه .

وفى يوم السبت الثانى من رجب سنة ٤٣٨ (٢ يناير ١٠٤٧) بلغنا مدينة سروج ، واجتازنا الفرات فى اليوم التالى ونزلنا فى منبج ، وهى أول مدن الشام ، وكان هذا أول بهمن القديم (يناير — فبراير) ، والطقس هناك معتدل جدا . ولم يكن خارج المدينة عمارات قط . وقد سرت منها إلى حلب ، ومن ميفارقين اليها (إلى حلب) مائة فرسخ .

ورأيت مدينة حلب فإذا هى جميلة ، بها سور عظيم ، قست ارتفاعه فكان خمسا وعشرين ذراعاً ، وبها قلعة عظيمة مشيدة كلها على الصخر ، ويمكن مقارنة حلب ببليخ ، وهى مدينة عامرة ، أنبئتها متلاصقة . وفيها تحصل السكوس عما يمر بها من بلاد الشام والروم وديار بكر ومصر والعراق ، ويذهب اليها التجار من جميع هذه البلاد . ولها أربعة أبواب ، باب

اليهود وباب الله وباب الجنان وباب أنطاكية . والوزن في سوقها بالرطل الظاهري وهو أربع مائة وثمانون درهما^(١) ، وتقع مدينة حما جنوبى حلب بعشرين فرسخا ، ومن بعدها حمص ، ومن حلب إلى دمشق خمسون فرسخا ، وإلى أنطاكية اثنا عشر فرسخا ، وإلى طرابلس كذلك ، ويقال إن من حلب حتى القسطنطينية مائتى فرسخ .

وفي الحادى عشر من رجب سنة ٤٣٨ (١١ يناير ١٠٤٧) خرجنا من حلب ، وعلى مسافة ثلاثة فراسخ منها قرية تسمى جند قنسرين ، وفي اليوم التالى سرنا ستة فراسخ وبلغنا مدينة سرمين ، التى لا سور لها . وبعد مسيرة ستة فراسخ أخرى بلغنا معرة النعمان ، وهى مدينة عامرة ولها سور مبنى . وقد رأيت على بابها عمودا من الحجر ، عليه كتابة غير عربية فسألت ما هذا ؟ فقيل إنه طلسم العقرب ، حتى لا يكون فى هذه المدينة عقرب أبدا ، ولا يأتى إليها ، وإذا أحضر من الخارج وأطلق بها فإنه يهرب ولا يدخلها . وقد قست هذا العمود فكان ارتفاعه عشر أذرع^(٢) . ورأيت أسواق معرة النعمان وافة العمران . وقد بنى مسجد الجمعة على مرتفع وسط المدينة بحيث يصعدون إليه من أى جانب يريدون وذلك على ثلاث عشرة درجة . وزراعة السكان كلها قمح وهو كثير ، وفيها شجر وفير من التين والزيتون والفسقى واللوز والعنب . ومياه المدينة من المطر والآبار .

وكان بهذه المدينة رجل أعمى اسمه أبو العلاء المعرى . وهو حاكمها . وكان واسع الثراء عنده كثير من العبيد ، وكان أهل البلد كله خدام له . أما هو فقد ترهد ، فلبس السكائم ، واعتكف فى البيت ، وكان قوته نصف من من خبز الشعير ، لا يأكل غيره . وقد سمعت أن باب سرايه مفتوح دائما وأن نوابه وملازميه يدبرون أمر المدينة ولا يرجعون إليه إلا فى الأمور الهامة ، وهو لا يمنع نعمته أحدا ، يصوم الدهر ويقوم الليل ولا يشغل نفسه مطلقا بأمر دنيوى . وقد سما المعرى فى الشعر والأدب إلى حد أن أفاضل الشام والمغرب والعراق يقرون بأنه لم يكن من يدانيه فى هذا العصر ولا يكون . وقد وضع كتابا سماه الفصول والغايات ، ذكر به كلمات مرموزة وأمثالا فى لفظ فصيح عجيب ، بحيث لا يتف

(١) هو الرطل الذى اعتمد فى مصر أيام الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١) - ١٠٢٠/٤٢٧ - (١٠٣٥) .

(٢) جاء ذكر هذا الطلسم فى كتاب خوان الإخوان لناصر خسرو . ص ١١٩ - ١٢٠ ، نشر بحى الحشاب . مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ١٩٤٠ .

الناس إلا على قليل منه ، ولا يفهمه إلا من يقرأه عليه . وقد اتهموه « بأنك وضعت هذا الكتاب معارضة للقرآن^(١) » . ويجلس حوله ، دائماً ، أكثر من مائتي رجل : يحضرون من الأطراف ، يقرءون عليه الأدب والشعر . وسمعت أن له أكثر من مائة ألف بيت شعر . سأله رجل : « لم تعط الناس ما أفاء الله تبارك وتعالى عليك من وافر النعم ولا تقوت نفسك ؟ » فأجاب « إني لأملك أكثر مما يقيم أودي » . وكان هذا الرجل حياً وأنا هناك .

وفي الخامس عشر من رجب سنة ٤٣٨ (١٥ يناير ١٠٤٧) سرنا إلى كويجات ، ومنها إلى حما . وهذه مدينة جميلة عاصرة على شاطئ نهر العاصي ، ويسمى هذا النهر بالعاصي لأنه يذهب إلى بلاد الروم ، فهو يخرج من بلاد الإسلام ليدخل بلاد الكفر . وقد نصبوا عليه سواقي كثيرة . ومن حما طريقان ، أحدهما بجانب الساحل وذلك غرب الشام ، والآخر في الجنوب وهو ينتهي إلى دمشق ، فسرنا عن طريق الساحل . وقد رأينا في الجبل عينا ، قيل إن ماءها يتفجر في الثلاثة أيام التالية لنصف شعبان من كل سنة ثم ينضب فلا تخرج منه قطرة واحدة حتى السنة التالية . ويذهب الكثيرون لزيارة هذه العين تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، وقد بنيت هناك عمارات وأحواض^(٢) . ولما سرنا من هناك بلغنا سهلاً كساه النرجس ثوباً أبيض . وذهبنا بعد ذلك إلى مدينة تسمى عرقة . وبعد مسيرة فرسخين منها بلغنا شاطئ البحر فتمعنا ، ناحية الجنوب ، حتى بلغنا مدينة طرابلس بعد مسيرة خمسة فراسخ .

(١) عن الباخريزي : قيل لأبي العلاء : ما هذا إلا جيد إلا أنه ليس عليه طلاوة القرآن ، فقال حتى تصقله الألسن في المحارب أربعمائة سنة ، وعند ذلك انظروا كيف يكون ؟ مجلة المستشرقين الألمانية الجزء ٢٩ ص ٦٤٠ (جولديزهر ١٨٧٦) .

(٢) يشير إلى العين التي ذكرها يوسف والتي زارها Titus في رحلته من عرقة إلى بارين ، ويقول يوسف إن العين تجمد يوم السبت ، وعند المسلمين إنها تجمد يوم الجمعة .

ويقول القس صامويل ليد في كتابه : The Ansaryeh and Ismaeleya, a visit to the secret sects of Northern Syria ص ٢٥٠ : إن هذه العين تخرج من تحت صخر ، وإنها تتفجر في فترات غير منتظمة ، ولسكنها تكثر في الصيف وتقل في الشتاء . ويتفجر الماء أحياناً بقوة عظيمة بحيث يقتلع ما في طريقه من أشجار ، والعين التي تسمى فواردة الدير لا تزال حتى اليوم مقصد الحجاج من النصارى والمسلمين .

والعمارات التي يشير إليها ناصر خسرو هي دير مار جرجس ، الذي كان يسكنه القسس الإغريق . وقد وصفها Burekrdt في رحلته إلى الشام والأراضي المقدسة . راجع شيفر ص ٣٨ .

ومن حلب إلى طرابلس أربعمائة فرسخا عن هذا الطريق . وكان بلوغنا إياها في يوم السبت الخامس من شعبان (٦ فبراير) . وحول المدينة المزارع والبساتين وكثير من قصب السكر وأشجار الفانج والترنج والموز والليمون والتمر ، وكان عسل السكر يجمع حينذاك . ومدينة طرابلس مشيدة بحيث تكون ثلاثة من جوانبها مطلة على البحر ، فإذا ماج علت أمواجه السور ، أما الجانب المطل على اليباس فيه خندق عظيم عليه باب حديدي محكم . وفي الجانب الشرقي من المدينة قلعة من الحجر المصقول عليها شرفات ومقائلات من الحجر نفسه ، وعلى قمتها عرصات لوقايتها من الروم ، فهم يخافون أن يغير هؤلاء عليها بالسفن . ومساحة المدينة ألف ذراع مربع . وأربطها أربع أو خمس طبقات ، ومنها ما هو ست طبقات أيضا . وشوارعها وأسواقها جميلة ونظيفة حتى لتظن أن كل سوق قصر مزين . وقد رأيت بطرابلس ما رأيت في بلاد العجم من الأطعمة والفواكه ، بل أحسن منه مائة مرة . وفي وسط المدينة جامع عظيم ، نظيف ، جميل النقش حصين ، وفي ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام في وسطه فؤارة من النحاس الأصفر . وفي السوق مشرعة ذات خمسة صنابير يخرج منها ماء كثير ، يأخذ منه الناس حاجتهم ويفيض بآقيه على الأرض ويصرف في البحر . ويقال إن بها عشرين ألف رجل ، ويتبعها كثير من السواد والقرى ، ويصنعون بها الورق الجميل مثل الورق السمرقندي بل أحسن منه . وهي تابعة لسلطان مصر . قيل وسبب ذلك أنه في زمن ما أغار عليها جيش الروم السكفار فخار به جند سلطان مصر وقهره ، ورفع السلطان الخراج عنها ، وأقام بها جيشا من قبله ، على رأسه قائد ، لحمايتها من العدو . وتحصل المسكوس بهذه المدينة ، فتدفع السفن الآتية من بلاد الروم والفرنج والأندلس والمغرب العشر للسلطان ، فيدفع منه أرزاق الجنود . وللسلطان بها سفن تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة . وسكان طرابلس كلهم شيعة . وقد شيد الشيعة مساجد جميلة في كل البلاد . وهناك بيوت على مثال الأربطة ، ولكن لا يسكنها أحد ، وتسمى مشاهد . ولا يوجد خارج طرابلس بيوت أبدا ، عدا مشهدين أو ثلاثة من التي مر ذكرها .

وغادرت طرابلس وسرت على شاطئ البحر ، ناحية الجنوب ، فرأيت على مسافة فرسخ واحد قلعة تسمى قلعون ، في داخلها عين ماء . وسرت من هناك إلى طرابلس ، ومن

طرابلس إليها خمسة فراسخ . ومنها بلغنا مدينة جبيل وهي مثلثة ، تطل زاوية منها على البحر . ويحيطها سور حصين شاهق الارتفاع . وحولها النخيل وغيره من أشجار المناطق الحارة ، وقد رأيت في يد غلام بها وردة حمراء وأخرى بيضاء حديثي القطف (تازة) ، وكان ذلك في اليوم الخامس من اسبندارمذ الشهر القديم (فبراير) سنة ٤١٥ من تاريخ العجم .

ومن هناك بلغنا بيروت ، فرأيت بها طاقا حجريا ، شق الطريق في وسطه ، وقد قدرت ارتفاعه بنخمسين ذراعا . وجانباه من الحجر الأبيض ، تزن كل قطعة منه أكثر من ألف من ، وعلى جانبه بناء من الطوب النبي ارتفاعه عشرون ذراعا ، وقد نصبت على قمته أعمدة من الرخام ، طول كل منها ثمانية أذرع ، وهي سميكة بحيث لا يستطيع رجلان أن يحيطها بأذرعهما إلا بصعوبة . وعلى رأس هذه العمدة عقود ، على الجانبين ، كلها من الحجر المنحوت الذي لا يفصله عن بعضه جص أو طين . وفي الوسط تماما الطاق الكبير يعلوها بنخمسين ذراعا ، وقد قست كل حجر منه فإذا به ثمانية أذرع طولاً وأربعة عرضاً ، وأظن الحجر الواحد يزن سبعة آلاف من . وقد نقشت هذه الحجارة بدقة ومهارة بحيث يقل ما يشابهها مما ينقش على الخشب . ولم يبق هناك أبنية غير هذا الطاق . وقد سألت أى مكان هذا ؟ فقيل لى : سمعنا أنه باب حديقة فرعون وهو قديم جداً . والوادي المجاور لهذه الناحية مملوء بأعمدة الرخام ، تيجانها وجدوعها ، وهي من الرخام المدور والمربع والمسدس والمثلث ، وهي من الصلابة بحيث لا يؤثر فيها الحديد ، وليس في هذه الجهة جبل حتى يقال إنهم جلبوها منه . وهناك حجارة تبدو كأنها معجونة (جرانيت^(١)) ، وهي تفل الحديد . وفي نواحي الشام أكثر من خمسمائة ألف من أعمدة وتيجان وجدوع ، ولا يعرف أحد ماذا كانت ولا من أين نقلت .

ثم توجهنا إلى مدينة صيدا ، وهي على شاطئ البحر أيضاً ، يزرع بها قصب السكر بوفرة . وبها قلعة حجرية محكمة ، ولها ثلاث بوابات . وفيها مسجد جمعة جميل يبعث في النفس هيبة تامة ، وقد فرش كله بالحصير المنقوش ، وفي صيدا سوق جميل نظيف ، وقد

(١) يسميه الكتاب العرب المسامع . شيفر ص ٤٥ .

ظننت ، حين رأيتها ، أنه زُين خاصة لمقدم السلطان أو لأن بشرى سعيدة أذيعت ، فلما سألت قيل لي هكذا عادة هذه المدينة دائماً ، وفيها حدائق وأشجار منسقة حتى اتقول إن سلطاناً هاويا غرسها وفي كل من هذه الحدائق كشك ، وأغلب شجرها مشر .

وبعد مسيرة خمسة فراسخ على شاطئ البحر بلغنا مدينة صور ، وهي ساحلية أيضاً . وقد بنيت على صخرة امتدت في الماء ، بحيث أن الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع ، والباقي في ماء البحر . والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذي سدت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلاله . وقد قدرت المدينة بألف ذراع مربع . وأربطها من خمس أو ست طبقات ، وكلها متلاصقة ، وفي كثير منها نافورات ، وأسواقها جميلة كثيرة الخيرات . وتعرف مدينة صور ، بين مدن ساحل الشام ، بالثراء ، ومعظم سكانها شيعة . والقاضي هناك رجل سني اسمه ابن أبي عقيل ، وهو رجل طيب ثري . وقد بنى على باب المدينة مشهد به كثير من السجاجيد والحصير والقناديل والثريات المذهبة والمفضضة وصور مشيدة على مرتفع ، وتأتيها المياه من الجبل . وقد شيد ، على بابها ، عقود حجرية ، يمر الماء من فوقها إلى المدينة ، وفي الجبل واد مقابل لها ، إذا سار السائر فيه ثمانية عشر فرسخاً ناحية المشرق بلغ دمشق .

بعد أن سرنا سبعة فراسخ من صور ، بلغنا عكة ، وتكتب هناك « مدينة عكة » . وهي مشيدة على مرتفع بعضه من أرض وعرة وبعضه سهل ، ولم تشيد المدينة في الوادي المنخفض مخافة غلبة ماء البحر عليها ، وخشية أمواجه التي تعيج على الساحل . ومسجد الجمعة في وسط المدينة ، وهو أعلى مبانيها ، وأعمدها كلها من الرخام . ويقع قبر صالح النبي عليه السلام خارجه ، على يمين القبلة . وساحته بعضها من الحجر وبعضها الآخر مزروع ، ويقال إن آدم عليه السلام كان يزرع هناك . ومسحت المدينة فكان طولها ألفي ذراع وعرضها خمسمائة ، ولها قلعة غاية في الإحكام ، يطل جانبها الغربي والجنوبي على البحر ، وعلى الأخير ميناء ، ومعظم مدن الساحل كذلك . والميناء اسم يطلق على الجهة التي بنيت للمحافظة على السفن ، وهي تشبه « الاسطبل » ، وظهرها ناحية المدينة ، وحائطها داخلتان في البحر ، وعلى امتدادها مدخل مفتوح طوله خمسون ذراعاً ، وقد

شدت السلاسل بين الحائطين ، فإذا أريد إدخال سفينة إلى الميناء أرخيت السلسلة حتى تقوص في الماء فتمر السفينة فوقها ، ثم تشد حتى لا يستطيع عدو أن يقصدها بسوء . وعند الباب الشرقي ، على اليد اليسرى ، عين يصلون إلى مائها بنزول ست وعشرين درجة وتسمى عين البقر . ويقال إن آدم عليه السلام هو الذي كشفها ، وكان يسقى منها بقرته ، ولذا سميت عين البقر^(١) .

وحين يذهب المسافر من عكة ناحية المشرق ، يجد جبلا به مشاهد الأنبياء عليهم السلام ، وهذا الجبل واقع على جانب الطريق المؤدى إلى الرملة . وقد عزمت على التبرك بزيارة هذه المشاهد والتقرب إلى الله تبارك وتعالى . وقد قال سكان عكة إن في الطريق أشرازا يتعرضون لمن يرون من الغرباء وينهبونهم ، فأودعت نفقتي بمسجد عكة ، وخرجت من بابها الشرقي يوم السبت الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٣٨ (٥ مارس ١٠٤٧) . وقد زرت ، في اليوم الأول ، قبر عك باني المدينة ، وهو أحد الصالحين الأولياء . وكنت حائرا إذ لم يكن معي دليل يرشدني ، ونجأة تعرفت ، في اليوم نفسه ، بفضل من الله تبارك وتعالى ، رجل من العجم أتى من آذربيجان للتبرك بزيارة المشاهد مرة أخرى ، فشكرت لله تبارك وتعالى هبته ، وصليت ركعتين ، وسجدت له شكرا على توفيقه إياي لأني بعزى . ثم بلغت قرية تسمى بروة وزرت قبر عيش وشمعون عليهما السلام . ومن هناك بلغت مغارك التي تسمى دامون فزرت المشهد المعروف بقبر ذي السكفل عليه السلام^(٢) . ثم واصلت السير إلى قرية أخرى تسمى أعلين وبها قبر هود عليه السلام فزرته وكان بحظيرته شجرة الخرتوت ، وكذلك زرت هناك قبر النبي عزيز عليه السلام . ثم يمت وجهي شطر الجنوب فبلغت قرية تسمى حظيرة ، وفي الجانب الغربي منها واد به عين ماء عذب ، تخرج من الصخر ، وقد بنى أمامها مسجد على الصخر به بيتان صخر يان فوقهما سقف من الحجر أيضا ، وعليهما باب صغير يستطيع الزائر دخوله بصعوبة ، وهناك

(١) كانت مكانا مقدسا عند المسلمين والنصارى واليهود . وقد بنى المسلمون عندها جامعا باسم علي ابن أبي طالب . وقد تكلم عنها ابن جبير ص ٣٠٧ ، وياقوت ج ٣ ص ٧٥٨ - ٧٥٩ والقزويني في عجائب المخلوقات ص ١٩٠ . وراجع شيفر ص ٥٠ .
(٢) ابن أيوب . قصص الأنبياء لابن إسحق أحمد ص ١٢٩ - ١٣٠ طبعة مصر .

قبران متجاوران أحدهما قبر شعيب عليه السلام والثاني قبر ابنته التي كانت زوج موسى عليه السلام . ويعني أهل هذه القرية بهذا المسجد عناية فائقة من تنظيف وإنارة وغير ذلك . ومن هناك بلغت قرية تسمى إربل ، في ناحية القبلة منها جبل في وسطه حظيرة بها أربعة قبور لأربعة من أبناء يعقوب ، إخوة يوسف عليهم السلام . وذهبت من هناك فرأيت تلالاً من تحتها غار فيه قبر أم موسى عليه السلام فزرتة . ثم خرجت فبدأ لي واد في آخره بحر صغير ، طوله ستة فراسخ وعرضه ثلاثة وماؤه عذب لذيد . وتقع غربيه مدينة طبرية . وتصرف في هذا البحر كل مياه الحمامات وفضلات المدينة وكذلك يشرب منه سكانها وسكان الولاية التي على شاطئه . وسمعت أن أميراً دخل هذه المدينة ذات مرة فأمر بسد قنوات القاذورات والماء الملوث حتى لا تفيض إلى البحر ، ففتن ماؤه وأصبح لا يصلح للشرب ، فأمر ثانية بفتح هذه القنوات فعاد ماء البحر عذباً . واطبرية سور حصين ، يبدأ من شاطئ البحر ويمتد حول المدينة والطرف المحدود بالبحر لا حائط له . وبها مبان كثيرة في وسط البحر فإن قاعه صخري ، وقد شيدت هناك مناظر على رؤوس أعمدة رخامية أسامها في الماء . وفي بحر طبرية سمك كثير . ومسجد الجمعة في وسط المدينة ، وعند بابه عين ماء ، بُني عند رأسها حمام ماؤه ساخن فلا يستطيع مستحم أن يصبه على جسده من غير أن يمزجه بماء بارد ، ويقال إن الذي بناه هو سليمان بن داود عليه السلام . وقد دخلته . وفي الجانب الغربي من مدينة طبرية مسجد اسمه مسجد الياسمين ، وهو مسجد جميل في وسطه ساحة كبيرة بها محاريب ، وحوها الياسمين الذي سمي به المسجد ، وفي رواق الجانب الشرقي قبر يوشع بن نون ، وتحت هذه الساحة قبور سبعين نبياً عليهم السلام ، قتلهم بنو إسرائيل . وجنوب طبرية بحر لوط وهو مالح المياه ويصب به ماء بحر طبرية . وكانت مدينة لوط تقع على شاطئه ، ولم يبق منها أثر قط . وسمعت من إنسان أن في بحر لوط شيئاً كالخجارة السوداء ، غير صلب ، يشبه البقر ، يخرج من قاعه فيأخذ السكان ويقطعونه ويحملونه إلى المدن والولايات . ويقال إنه إذا وضعت قطعة منه تحت شجرة يمتنع الدود عنها من غير أن يمس جذعها أذى منه ، فلا يتلف الشجر مما تحت الأرض من دود وحشرات ، والعهد على الراوى . وقيل كذلك إن العطارين يستخدمونه لأنه يبعد دودة تصيب البذور اسمها النقرة . وفي طبرية يصنعون الحصير ، ومنه حصير الصلاة ، وتشتري

الواحدة منها بخمسة جنبيات مغربية . وفي الجانب الغربي من المدينة جبل فيه قطعة من حجر المرمر مكتوب عليها بخط عبري أن الثريا كانت على رأس الحمل ساعة الكتابة . ويقع قبر أبي هريرة خارج المدينة ناحية القبلة ، ولكن لا يستطيع أحد زيارته ، لأن السكان هناك شيعة ، فإذا ذهب أحد للزيارة تجمع عليه الأطفال وتحرشوا به وحملوا عليه ودفنوه بالحجارة ، ولهذا لم أستطع زيارته . مرت بعد ذلك إلى قرية تسمى كفر كنه ، بجانبها تل بنيت على قبة صومعة جميلة بها قبر النبي يونس عليه السلام ، وعليها باب متين بقربه بئر ماؤها عذب .

وقد عدت إلى عكا . بعد زيارة هذا المشهد ، وبينهما مسافة أربعة فراسخ ، فسكنت بها يوماً واحداً ثم غادرتها إلى قرية تسمى حيفا ، في طريق به كثير من هذا الرمل الذي يستخدمه صياغ العجم والمسمى بالرمل المسكى . وحيفا مشيدة على البحر ، وبها نخل وأشجار كثيرة . وهناك عمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجوودي .

وسرنا بعد ذلك فبلغنا ، بعد مسيرة فرسخ واحد ، قرية أخرى تسمى كنيسة ، وعندها ينحرف الطريق عن البحر ، ويدخل الجبل ، ناحية المشرق ، حيث الصحراوات والحاجر التي تسمى وادي التماسيح ، ويعود لمحاذاة الشاطئ . بعد مسيرة فرسخين . وهناك رأينا عظام حيوانات بحرية كثيرة مختلطة بالتراب والطين ، وقد تحجرت من كثرة ما تثار عليها من الموج .

وقدنا من هناك وسرنا حتى بلغنا مدينة تسمى قيسارية ، بينها وبين عكا سبعة فراسخ . وهي مدينة جميلة بها ماء جار ونخيل وأشجار النارج والترنج ، ولها سور حصين له باب حديدى ، وبها عيون ماء جارية . ومسجدها الجامع جميل ، ويرى المصلون البحر ويتمتعون به وهم جلوس في ساحته ، وهناك زير من الرخام يشبه الخزف الصينى وهو عميق بحيث يسع مائة من ماء .

في يوم السبت آخر شعبان (١٠ مارس) قمنا من هناك ، وسرنا مقدار فرسخ ، عن طريق الرمل المسكى ، وقد رأيت في الطريق كله ، سهله وجبله ، كثيراً من شجر التين والزيتون وبعد بضعة فراسخ بلغنا مدينة تسمى كفر سابا أو كفر سلام ، ومنها حتى الرملة ثلاثة فراسخ ، في طريق كله شجر كالذى ذكرت .

وفي يوم الأحد غرة رمضان (١١ مارس) بلغنا الرملة ، ومن قيسارية إليها ثمانية فراسخ . وهي مدينة كبيرة بها سور حصين من الحجر والجص ، مرتفع ومتمين وعليه أبواب من حديد . ومن المدينة إلى شاطئ البحر ثلاثة فراسخ . والماء هناك من المطر ، ولذا فقد بنى في كل منزل حوض لجمع مياه المطر فيبقى ذخيرة دائمة . وفي وسط مسجد الجمعة أحواض تمتلئ بالماء فيأخذ منه من يشاء . ومساحة الجامع ثلاثمائة قدم في مائتين . وقد كتب أمام الصفة إنه في الخامس عشر من شهر محرم سنة ٤٢٥ (١١ ديسمبر ١٠٣٣) زلزلت الأرض بشدة هنا فخربت عمارات كثيرة ، ولم يصب أحد من السكان بسوء . وفي هذه المدينة رخام كثير . وقد زينت معظم السرايات والبيوت بالرخام المنقوش الكثير الزينة . ويقطع الرخام بمنشار لا أسنان له وبالرمل المسكى . ويعملون المنشار على أعمدة الرخام بالطول لا بالعرض فيخرجون منه ألواح الخشب . ورأيت هناك أنواعا وألوانا من الرخام ، من الممع والأخضر والأحمر والأسود والأبيض ومن كل لون . وفي الرملة صنف من التين ليس أحسن منه في أى مكان يُصدر منها إلى جميع البلاد . وتسمى مدينة الرملة في الشام والمغرب فلسطين .

في الثالث من رمضان غادرت الرملة فبلغت قرية تسمى خاتون^(١) ، وقد سرت منها إلى قرية أخرى تسمى قرية العنب . وقد رأينا في الطريق كثيرا من نبات السذاب الذي ينبت برّيا على الجبال وفي الصحراء . وقد رأيت في هذه القرية عين ماء عذب تخرج من الصخر ، وقد بنيت هناك أحواض وعمارات . وقد ذهبنا صاعدين وكنا نحسب أنا بعد صعود الجبل سنهبط إلى المدينة في الطرف الآخر ، ولكننا وجدنا أمامنا بعد أن صعدنا قليلا ، سهلا واسعاً بعضه صخري وبعضه كثير التراب ، وعلى رأس جبل فيه تقع مدينة بيت المقدس . ومن طرابلس ، التي هي على الساحل ، إليها ستة وخمسون فرسخا ، ومن بلخ إليها ستة وسبعون وثلاثمائة فرسخ .

في الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ (١٦ مارس ١٠٤٧) بلغنا بيت المقدس . وكان قد مضى على خروجنا من بلدنا سنة شمسية ، وطوال رحلتنا لم نقر في مكان قط ولا وجدنا راحة كاملة . وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس «القدس» . ويذهب إلى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات ، فيتوجه إلى

(١) قرية لطرون أو نظرون (شيفر ٦٥)

الموقف ويضحى نحية العيد كما هي العادة . ويحضر هناك لتأدية السنة ، في بعض السنين ، أكثر من عشرين ألف شخص ، في أوائل ذي الحجة ، ومعهم أبناؤهم . كذلك يأتي لزيارة بيت المقدس ، من ديار الروم ، كثير من النصارى واليهود ، وذلك لزيارة الكنيسة والسكنيش هناك . وهناك كنيسة عظيمة سيأتي وصفها في مكانه . وسواد ورساتيقي بيت المقدس جبلية كلها ، والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء ، والخيرات بها كثيرة ورخيصة وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف من زيت الزيتون ، يحفظونها في الآبار والأحواض ، ويصدرونها إلى أطراف العالم . ويقال إنه لا يحدث حط في بلاد الشام . وسمعت من ثقات أن وليا رأى النبي عليه السلام في المنام فقال له : « ساعدنا في معاشنا يا رسول الله » ، فأجابته النبي عليه السلام : « على خبز الشام وزيته » .
والآن أصف مدينة بيت المقدس .

وصف بيت المقدس :

هي مدينة مشيدة على قمة الجبل ، ليس بها ماء غير الأمطار ورساتيقيها ذات عيون وأما المدينة فليس بها عين فإنها على رأس صخر . وهي مدينة كبيرة كان بها ، في ذلك الوقت ، عشرون ألف رجل ، وبها أسواق جميلة وأبنية عالية ، وكل أرضها مبلطة بالحجارة ، وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات ، وجعلوها مسطحة . بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار . وفي المدينة صناعات كثيرة ، لكل جماعة منهم سوق خاصة ، والجامع شرقي المدينة وسوره هو سورها الشرقي . وبعد الجامع سهل كبير مستوي يسمى « الساهرة » يقال إنه سيكون ساحة القيامة والحشر ، ولهذا يحضر إليه خلق كثير من أطراف العالم ويقومون به حتى يموتوا فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد . اللهم عفوك ورحمتك بعبيدك ذلك اليوم يارب العالمين . وعلى حافة هذا السهل قرابة عظيمة ، ومقابر كثير من الصالحين ، يصل بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم فيقضى الله حاجاتهم ، اللهم تقبل حاجتنا واغفر ذنوبنا وسيئاتنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين . وبين الجامع وسهل الساهرة واد عظيم الانخفاض كأنه خندق وبه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين . ورأيت قبسة من الحجر المنحوت مقامة على بيت لم أر عجب منها ، حتى أن الناظر إليها ليسأل نفسه كيف رفعت في مكانها ؟ ويقول العامة إنها بيت فرعون . واسم هذا الوادي

« وادى جهنم » وقد سألت عن أطلق هذا اللقب عليه فقيل إن عمر رضى الله عنه أنزل جيشه أيام خلافته فى سهل الساعرة هذا ، فلما رأى الوادى قال هذا وادى جهنم ويقول العوام إن من يذهب إلى نهايته يسمع صياح أهل جهنم ، فإن الصدى يرتفع من هناك ، وقد ذهبت فلم أسمع شيئاً . وحين يسير السائر من المدينة ، جنوباً ، مسافة نصف فرسخ ، وينزل المنحدر ، يجد عين ماء تنبع من الصخر ، تسمى عين سلوان . وقد أقيمت عندها عمارات كثيرة . ويمر ماء هذه العين بقرية شيدوا فيها عمارات كثيرة وغرسوا بها البساتين . ويقال إن من يستحم من ماء هذه العين يشفى مما ألم به من الأوصاب والأمراض المزمنة . وقد وقفوا عليها مالا كثيراً . وفى بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاة العديدين العلاج والدواء وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف . وهذا المستشفى ومسجد الجمعة يقعان على حافة وادى جهنم . وحين ينظر السائر من خارج المسجد يرى الحائط المائل على هذا الوادى يرتفع مائة ذراع من الحجر الكبير الذى لا يفصله عن بعضه ملاط أو جص . والحوائط ، داخل المسجد ، ذات ارتفاع مستو . وقد بنى المسجد فى هذا المكان لوجود « الصخرة » به وهى الصخرة التى أمر الله عمر وجل موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة . فلما قضى هذا الأمر ، واتخذها موسى قبلة له ، لم يعمر كثيراً ، بل عجلت به المنية ، حتى إذا كانت أيام سليمان عليه السلام ، وكانت الصخرة قبلة بنى مسجداً حولها بحيث أصبحت فى وسطه وظلت الصخرة قبلة حتى عهد نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام فكان المصلون يولون وجوههم شطرها ، إلى أن أمرهم الله تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة وسيأتى وصف ذلك فى مكانه .

وقد أردت أن أقيس هذا المسجد ، ولكنى آثرت أن أتقن معرفة هيأته ووضعه أولاً ثم أقيسه ، فلبثت فيه زمناً آمناً النظر ، فرأيت عند الجانب الشمالى ، بجوار قبلة يعقوب عليه السلام طاقتاً مكتوباً على حجر منه إن طول هذا المسجد أربع وخمسون وسبعائة ذراع وعرضه خمس وخمسون وأربعمائة ذراع ، وذلك « بذراع الملك » ، المسمى فى خراسان « كزشايركان » ، وهو أقل قليلاً من ذراع ونصف^(١) وأرض المسجد مغطاة

(١) يقول شيفر (ص ٧٢) إن فنصل فرانساً فى القدس أرسل إليه حوالى سنة ١٨٨١ النص المكتوب على الجامع وهو :
بسم الله الرحمن الرحيم
طول المسجد سبع مائة وأربع وخمسين ذراعاً وعرضه أربع مائة وخمسين ذراعاً بذراع الملك =

بججارة موثوقة إلى بعضها بالرصاص ، والمسجد شرق المدينة والسوق ، فإذا دخله السائر من السوق فإنه يتجه شرقا ، ويرى رواقا عظيما جميلا ارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون وللرواق جناحان وواجهتاها وإوانه منقوشة كلها بالفسيفساء المثبتة بالجص على الصورة التي يريدونها وهي من الدقة بحيث تبهر النظر . ويرى على هذا الرواق كتابة منقوشة بالمينا ، وقد كتب هناك لقب سلطان مصر ، فحين تقع الشمس على هذه النقوش يكون لها من الشعاع ما يحير الأبواب . وفوق الرواق قبة كبيرة من الحجر المصقول ، وله بابان مزخرفان وواجهتاها من النحاس الدمشقي الذي يلعب حتى لتظن أنهما طليا بالذهب ، وقد طما بالذهب وحليا بالنقوش السكثيرة وطول كل منهما خمس عشرة ذراعا وعرضه ثمان ويسميان باب داود عليه السلام . وحين يجتاز السائر هذا الباب ، يجد على اليمين رواقين كبيرين في كل منهما تسعة وعشرون عمودا من الرخام ، تيجانها وقواعدها مزينة بالرخام الملون ووصلاتها مثبتة بالرصاص . وعلى تيجان الأعمدة طيقان حجرية وهي مقامة فوق بعضها بغير ملاط وجص ولا يزيد عدد حجارة الطاق منها على أربع أو خمس قطع ، وهذان الرواقان ممتدان إلى المقصورة . ثم يجد على اليسار وهو ناحية الشمال ، رواقا طويلا به أربعة وستون طاقا كلها على تيجان أعمدة من رخام ، وعلى هذا الحائط نفسه باب آخر اسمه « باب السقر » ؟ . وطول المسجد من الشمال إلى الجنوب . وهو ساحة مربعة إذا اقتطعت المقصورة منه . والقبلة في الجنوب . وعلى الجانب الشمالي بابان آخران متجاوران عرض كل منهما سبع أذرع وارتفاعه اثنتي عشرة ذراعا ، ويسميان « باب الأسباط » . فإذا اجتازه السائر ، وذهب مع عرض المسجد الذي هو جهة المشرق ، يجد رواقا عظيما كبيرا به ثلاثة أبواب متجاورة ، في حجم « باب الأسباط » ، وكلها مزينة بزخارف من الحديد والنحاس ، قل ما هو أجمل منها تسمى « باب الأبواب » لأن المواضع الأخرى بايين وله ثلاثة . وبين هذين الرواقين الواقعين على الجانب الشمالي ، في الرواق ذي الطيقان المحملة على أعمدة الرخام ،

— وهناك اختلاف بين ما جاء في النص الفارسي وبين ما ذكره القنصل . على أن النص الفارسي المطبوع في برلين والذي اتخذ نسخة شيفر الملققة بترجمته أصلا قد سقط منه سهواً كلمة جهار (جهار صد) في ذكر عرض المسجد . راجع النص الفارسي في كتاب شيفر ص ٢٢ ، ولعل الفرق بين النصين ، في طول المسجد ، نتج عن إسقاط النسخ لكلمة پنجاه ، في پنجاه و جهار ، وهذا ما نرجحه ، وصححنا الترجمة على أساسه ، وبه يرتفع الخلاف .

قبة رفعت على دعائم عالية، وزينت بالقناديل والمسارج، تسمى قبة يعقوب عليه السلام، لأنه كان يصلي هناك. وفي عرض المسجد رواق في حائطه باب خارجه صومعتان للصوفية. وهناك مصليات ومحاريب جميلة يقيم بها جماعة منهم ويصلون ولا يذهبون للجامع إلا يوم الجمعة لأنهم لا يسمعون التكبير حيث يقيمون^(١).

وعند الركن الشمالي للمسجد رواق جميل، وقبة جميلة لطيفة مكتوب عليها: « هذا محراب زكريا النبي عليه السلام »، ويقال إنه كان يصلي هناك دائماً. وعند الحائط الشرقي، وسط الجامع، رواق عظيم الزخرف من الحجر المصقول، حتى لتظن أنه نحت من قطعة واحدة، ارتفاعه خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون، عليه نقوش ونقر، وله بابان جميلان لا يفصلهما أكثر من قدم واحدة، وعليهما زخارف كثيرة من الحديد والنحاس الدمشقي وقد دق عليهما الخلق والمسامير. ويقال إن سليمان بن داود عليه السلام بنى هذا الرواق لأبيه.

وحين يدخل السائر هذا الرواق متجهاً ناحية الشرق، فالأيمن من هذين البابين هو « باب الرحمة » والأيسر « باب التوبة »، ويقال إن هذا الباب هو الذي قبل الله تعالى عنده توبة داود عليه السلام. وعلى هذا الرواق مسجد جميل كان في وقت ما دهليزاً فصيروه جامعاً وزينوه بأنواع السجاد، وله خدم مخصوصون، ويذهب إليه كثير من الناس، ويصلون فيه ويدعون الله تبارك وتعالى، فإنه في هذا المكان قبل توبة داود، وكل إنسان هناك يأمل في التوبة والرجوع عن المعاصي. ويقال إن داود عليه السلام لم يكذب قطاً عتبة هذا المسجد، حتى بشره الوحي بأن الله سبحانه وتعالى قد قبل توبته، فأتخذ هذا المكان مقاماً وانصرف إلى العبادة. وقد صليت، أنا ناصر، في هذا المقام، ودعوت الله تعالى أن يوفقني لطاعته، وأن يغفر ذنبي. الله سبحانه وتعالى يهدي عباده جميعاً لما يرضاه، ويغفر لهم ذنوبهم، بحق محمد وآله الطاهرين.

وحين يمضي السائر بحذاء الجدار الشرقي إلى أن يبلغ الزاوية الجنوبية، عند القبلة التي تقع على الضلع الجنوبي، يجد، أمام الحائط الشمالي، مسجداً بهيئة السرداب ينزل

(١) نرجح أنها: « نرسد »، أي لا يصل. راجع تعليقات غني زاده من ٣٣، (١١) طبعة برلين.

إليه بدرجات كثيرة مساحته عشرون ذراعاً في خمس عشرة ، وسقفه من الحجر مرفوع على أعمدة الرخام . وبهذا السرداب مهد عيسى عليه السلام ، وهو من الحجر ، حجمه كبير بحيث يصل على الناس ، وقد صليت هناك . وقد أحكم وضعه في الأرض حتى لا يتحرك ، وهو المهد الذي أمضى فيه عيسى طفولته وكلم الناس منه ، وهو في المسجد مكان المحراب . وفي الجانب الشرقي من هذا المسجد محراب مريم عليها السلام . وبه محراب آخر لذكريا عليه السلام . وعلى هذين المحرابين آيات القرآن التي نزلت في حق زكريا ومريم . ويقال إن عيسى عليه السلام ولد بهذا المسجد . وعلى حجر من عمده نقش إصبعين كأن شخصا أمسكه . ويقال إن مريم أمسكته بإصبعيها وهي تلد . ويعرف هذا المسجد «بمهد عيسى» عليه السلام . وبه قناديل كثيرة من النحاس والفضة ، توعد كل مساء .

حين يخرج السائر من هذا المسجد ، متبعاً الحائط الشرقي ، يجد عند ما يبلغ زاوية المسجد الكبير مسجداً آخر عظيماً جداً ، أكبر مرتين^(١) من مسجد «مهد عيسى» ، يسمى «المسجد الأقصى» وهو الذي أسرى الله عز وجل بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ، ليلة المعراج من مكة إليه ، ومنه صعد إلى السماء ، كما جاء في القرآن : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»^(٢) . وقد بنوا به أبنية غاية في الزخرف ، وفرش بالسجاد الفاخر ، ويقوم عليه خدم مخصوصون يعملون به دواما .

وحين يعود السائر إلى الحائط الجنوبي ، على مائتي ذراع من تلك الزاوية ، يجد سقفاً ، وهناك ساحة المسجد ، وأما الجزء المسقوف من المسجد الكبير ، والذي به المقصورة ، فيقع عند الحائطين الجنوبي والغربي . وطول هذا الجزء عشرون وأربعمائة ذراع وعرضه خمسون ومائة ذراع ، وبه ثمانون ومائتا عمود من الرخام ، على تيجانها طيقان من الحجارة . وقد نقشت تيجان الأعمدة وهياكلها ، وثبتت الوصلات فيها بالرصاص في منتهى الإحكام . وبين كل عمودين ست أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقائق الرصاص . والمقصورة في وسط الحائط الجنوبي ، وهي كبيرة جداً تسع لستة عشر عموداً ، وعليها قبة عظيمة جداً منقوشة بالميناء على نسق ما وصفت . وهي مفروشة بالحصير المغربي ، وبها

(١) يعتقد Schefer أنه ينبغي أن يكون النسب ده بمعنى عشرة بدلاً من دو بمعنى اثنين (ص ٧٩)

(٢) سورة الإسراء آية ١ .

قناديل ومسارج معلقة بالسلاسل ومتباعد بعضها عن بعض . وبها محراب كبير منقوش بالمينا ، وعلى جانبيه عمودان من الرخام لونهما كالعقيق الأحمر ، وإزار المقصورة كله من الرخام الملون . وعلى يمينه محراب معاوية ، وعلى يساره محراب عمر رضى الله عنه ، وسقف هذا المسجد مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف . وعلى باب المقصورة وحائطها المظلل على الساحة خمسة عشر رواقا ، عليها أبواب مزخرفة ارتفاع كل منها عشرة أذرع وعرضه ست . عشرة من هذه الأبواب تفتح على الجدار الذى طوله عشرون وأربعمائة ذراع ، وخمسة منها على الجدار الذى طوله خمسون ومائة ذراع . وقد زين باب منها غاية الزينة ، وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب ، وقد نقش بالفضة وكتب عليه اسم الخليفة المأمون ، ويقال إنه هو الذى أرسله من بغداد^(١) . وحين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى لتظن أنه ساحة مكشوفة ، أما حين تعصف الرياح وتمطر السماء وتغلق الأبواب ، فإن النور ينبعث المسجد من السكوات . وعلى الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام والعراق ، يجلس بجانبها المجاورون ، كما هو الحال في المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى .

وخارج هذا الحرم ، عند الحائط الكبير الذى مر ذكره ، رواق به اثنان وأربعون طاقا ، وكل أعمدته من الرخام الملون ، وهذا الرواق متصل بالرواق المغربى . وتحت الأرض في الحرم المسقوف حوض جعل بحيث يكون في مستوى الأرض حين يغطى . وقد بنى لتجمع فيه مياه المطر . وعلى الحائط الجنوبي باب يؤدي إلى مiazza ، يذهب إليها من يحتاج إلى الوضوء فيجده ، وذلك لأنه لا يلحق الصلاة إذا هو خرج من المسجد ليتوضأ ، إذ أن كبر المسجد يفوت عليه الصلاة ، إذا اجتازه . وكل الأسقف ملبسة بالرصاص .

وقد حفرت في أرض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة ، فإن المسجد مشيد كله

(١) يتفق هذا الوصف مع ما ذكره المقدسى (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٦٨ - ١٦٩) وهو يقول إن الذى بنى هذه الخمسة عشر رواقا هو أبو العباس عبد الله بن طاهر الذى كان يتق به المأمون وولاه مصر والشام ، وقد توفى في مرو سنة ٢٣٠/٨٤٤ . ويحبل شيفر (ص ٨١) على ابن خلسكان (وفیات ص ٣٦٩ - ٣٧١) وعلى مخطوط في مكتبته في تاريخ الخلفاء والأمراء والولادة الذين حكموا دمشق لصالح الدين خليل بن ابيك الصغدى (الورقة ٣٧) .

على صخرة ، يتجمع فيها ماء المطر ، فلا تضيع منه قطرة ، وينتفع به الناس . وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها ، وقد ثقت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب في الصهاريج ، بواسطة قنوات بينها ، غير ملوث أو عفن . وقد رأيت على ثلاثة فراسخ من المدينة صهرا يحا كبيرا تنحدر إليه المياه من الجبل وتتجمع فيه ، وقد أوصلوه بقناة إلى المسجد ، حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة . وفي المنازل كلها أحواض لجمع ماء المطر ، إذ لا يوجد غيره هناك ، ويجمع كل إنسان ما غلى سطح بيته من مياه ، فإن ماء المطر هو الذى يستعمل فى الحمامات وغيرها . والأحواض التى بالمسجد لا تحتاج إلى عمارة أبداً ، لأنها من الحجر الصلب ، فإذا حدث بها شق أو ثقب أحكم إصلاحه حتى لا تتخرب . ويقال إن سليمان عليه السلام هو الذى عمل هذه الأحواض . وقد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور ، وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شيء . وماء هذه المدينة أعذب وأنقى من أى ماء آخر . والميازيب تستمر فى قطر المياه يومين أو ثلاثة ولو كان المطر قليلا ، إلى أن يصفو الجو وتزول آثاره السيئة ، وحينئذ يبدأ المطر !

قلت إن مدينة بيت المقدس تقع على قمة جبل وإن أرضها غير مستوية . أما المسجد فأرضه مستوية ، فخارج المسجد ، حيثما تكون الأرض منخفضة يرتفع حائطه ، إذ يكون أساسه فى أرض واطئة ، وحيثما تكون الأرض مرتفعة يقصر الجدار . وفي الجهات الواطئة من أحياء المدينة فتحو فى المسجد أبواباً كأنها نقب ، تؤدى لساحته . ومن هذه الأبواب باب يسمى « باب النبي » عليه الصلاة والسلام ، وهو بجانب القبلة ، أى فى الجنوب ، وقد عمل بحيث يكون عرضه عشرة أذرع وأما ارتفاعه فيتفاوت حسب المكان ، فهو فى مكان خمس أذرع ، أى علو سقف هذا المر ، وفى مكان آخر عشرون . والجزء المسقوف من المسجد الأقصى مشيد فوق هذا المر وهو محكم بحيث يتحمل أن يقام فوقه بناء بهذه العظمة من غير أن يؤثر فيه قط . وقد استخدمت فى بنائه حجارة لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها واستخدامها ، ويقال إن سليمان بن داود عليه السلام هو الذى بناه . وقد دخل منه نبينا عليه الصلوات والسلام إلى المسجد ليلة المعراج . وهذا الباب على جانب طريق مكة .

وعلى الحائط ، بقرب هذا الباب ، نقش للمجن كبير . يقال إن حمزة بن عبد المطلب عم النبي عليه السلام كان جالساً هناك وعلى كتفه المجن وظهره مسند إلى الحائط ، وأن هذا نقش مجنه

وعند بوابة المسجد حيث هذا المعمر الذي عليه باب ذو مصراعين ، يبلغ ارتفاع الجدار من الخارج ما يقرب من خمسين ذراعاً . وقد قصد بهذا الباب أن يدخل منه سكان المحلة المجاورة لهذا الضلع من المسجد ، فلا يلجأون إلى الذهاب لمحلة أخرى حين يريدون دخوله . وعلى الحائط الذي يقع بين الباب حجر ارتفاعه خمس عشرة ذراعاً وعرضه أربع أذرع وليس في المسجد حجر أكبر منه . وفي الحائط ، على ارتفاع ثلاثين أو أربعين ذراعاً من الأرض كثير من الحجارة التي يبلغ حجمها أربع أذرع في خمس . وفي عرض المسجد باب شرقي ، يسمى « باب العين » إذا خرجوا منه نزلوا منحدراً فيه « عين سلوان » . وهناك أيضاً باب تحت الأرض ، يسمى « الحطة » يقال إنه هو الباب الذي أمر الله عز وجل بني إسرائيل أن يدخلوا منه إلى المسجد ، قوله تعالى : « وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين »^(١) . وهناك باب آخر يسمونه « باب السكينة » ، في دهليزه مسجد به محاريب كثيرة ، باب أولها مغلق حتى لا يلججه أحد . ويقال إن هناك تابوت « السكينة » الذي ذكره الله تبارك وتعالى في القرآن والذي حمله الملائكة^(٢) . وأبواب بيت المقدس ، ما تحت الأرض وما فوقها تسعة أبواب ، كما ذكرت .

(١) سورة البقرة آية ٥٨ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى « وقال لهم نبيهم إن آية ملكة أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » (البقرة ٢٤٨) « قال لهم نبيهم » لما طلبوا منه حجة على أنه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم . إن آية ملكة أن يأتيكم التابوت « أي الصندوق الذي به التوراة ، وكان من خشب الشمامسة موهبا بالذهب نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين « فيه سكينه من ربكم » أي مودع فيه ما تسكنون إليه ، وهو التوراة ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام إذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون ، وقيل سورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتش فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه ، فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر . وقيل صورة الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم السلام ؛ فكان عند آدم عليه السلام إلى أن توفي فتوارثه أولاده واحداً بعد واحد . . يضع فيه التوراة ؛ ثم تداولته أيدي بني إسرائيل ، وكانوا إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه فيحكمهم ويحكم بينهم =

وصف الدكة التي^(١) بوسط ساحة المسجد والصخرة التي كانت قبلة قبل الإسلام :
أقيمت هذه الدكة في وسط المساحة ، لأنه لم يتيسر نقل الصخرة إلى الجزء المسقوف
من المسجد لعلوها . وهي تظل مساحة من الأرض مقدارها ثلاثون وثلاثمائة ذراع في
ثلاثمائة وارتفاعها اثنتي عشرة ذراعاً . وصحنها مستو ، ومزخرف بالرخام الملبس بوصلات
الرصاص . وعلى جوانبها الأربعة ألواح الرخام ، كما يعمل في المقابر وهي مبنية بحيث
لا يستطيع أحد الصعود عليها من غير المراقي المخصصة لهذا الأمر ، ويرى من يصعد عليها
سقف الجامع . وقد حفر في أرضها ، في الوسط ، حوض يصب فيه مياه المطر بواسطة
قنوات أعدت لذلك . وماء هذا الحوض أنقى وأعذب من كل ماء في الجامع . وعلى هذه
الدكة أربع قباب ، أكبرها قبة الصخرة التي كانت القبلة .

وصف قبة الصخرة :

بني المسجد بحيث تكون الدكة في وسط الساحة ، وقبة الصخرة في وسط الدكة
والصخرة وسط القبة ، وقبة الصخرة بيت مشمن منظم ، كل ضلع من أضلاعه الثمانية
ثلاث وثلاثون ذراعاً وله أربعة أبواب ، على الجهات الأربع الأصلية ، باب شرقي وآخر
غربي وثالث شمالي ورابع جنوبي ، وبين كل باين ضلع . وجميع الحوائط من الحجر
المنحوت ، وارتفاعها عشرون ذراعاً .

ومحيط الصخرة مائة ذراع ، وهي غير منتظمة الشكل ، لاهي مدورة ولا مربعة ،
ولسكها حجر غير منتظم كحجارة الجبل . وقد بنوا على جوانب الصخرة الأربعة أربع
دعائم مربعة ، بارتفاع حائط الدكة المذكورة . وبين كل دعائمين ، على الجوانب الأربعة ،

== وكانوا إذا حضروا القتال يقدمونه بين أيديهم ويستفتحون به على عدوهم ، وكانت الملائكة تحمله فوق
العسكر . . فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم المعاقبة فغلبهم على التابوت وسلبوه . . فلما أراد الله
تعالى أن يملك طالوت سلط عليهم البلاء ، وهلك من بلادهم خمس مائة من فعل الكفار أن ذلك بسبب
استهانتهم بالتابوت ؛ فأخرجوه وجعلوه على نورين ، فأقبلوا يسيران وقد وكل الله بهما أربعة من الملائكة
يسوقونهما حتى أتوا منزل طالوت . فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت ، قال لهم النبي إن آية ملكة
أنكم تجدون التابوت في داره ، فلما وجدوه عنده أبقوا بملكه . « وبقية مما ترك آل موسى وآل
هرون » رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وهمامة هرون وآلهما .

راجع تفاسير : الطبري ج ٢ ص ٣٦٢ ، والكشاف ج ١ ص ١١٤ ، وأبي السعود ج ١ ص ٢٨٠
والبيضاوي ص ٨٧ ، والحازن ج ١ ص ٢١٦ .

(١) في النص الفارسي الدكان أو الدكة ويسمونها المقدسي الدكة فأثرنا لفظ المقدسي .

عمودان إسطوانيان من الرخام ، بنفس الارتفاع . وعلى قمة تلك الدعائم وهذه الأعمدة الاثنى عشر ، بنوا القبة التي تحتمها الصخرة ، والتي يبلغ محيطها مائة وعشرين ذراعاً .
وبين حائط هذا البناء والدعائم والأعمدة (أسمى للربعة المبنية « ستون » دعامة والمنحوتة المستديرة التي من حجر واحد « اسطوانة » عموداً) ثمان دعائم أخرى مبنية من الحجارة المنحوتة^(١) ، وبين كل اثنتين منهما ثلاثة أعمدة من الرخام الملون على أبعاد متساوية ، بحيث يكون في الصف الأول عمودان بين كل دعامتين ، ويكون هنا ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين . وعلى تاج كل دعامة أربعة عقود ، على كل عقد طاق ، وعلى كل عمود عقدان فوق كل منهما طاق . وهكذا يكون على العمود متكاً لطاقين ، وعلى الدعامة متكاً لأربعة ، فكانت هذه القبة العظيمة في ذلك الوقت مرتكزة على هذه الدعائم الاثنى عشرة المحيطة بالصخرة ، فتراها على بعد فرسخ كأنها قمة جبل . لأنها من أسامها إلى قمته ثلاثون ذراعاً ، وهي تستند إلى أعمدة ودعائم ارتفاعها عشرون ذراعاً ، وقبة الصخرة مشيدة على بيت ارتفاعه اثنتى عشرة ذراعاً ، وإذا فن ساحة المسجد إلى رأس القبة اثنتان وستون ذراعاً .

وأسقف وقباب هذه الدكة مكسوة بالنجارة . وكذلك الدعائم والعمد والحوائط وذلك بدقة قل نظيرها . والصخرة أعلى من الأرض بمقدار قامة رجل ، وقد أحيطت بسياج من الرخام حتى لا تصل يد إليها .

والصخرة حجر أزرق لونه ، لم يظأها أحد برجله أبداً ، وفي ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض ، كأن إنساناً سار عليها فبدت آثار أصابع قدميه فيها ، كما تبدو على الطين الطرى ، وقد بقيت عليها آثار سبع أقدام . وسمعت أن إبراهيم عليه السلام كان هناك ، وكان إسماعيل طفلاً فمشى عليها وهذه هي آثار أقدامه . ويقام في بيت الصخرة جماعة من المجاورين والعابدن ، وقد زينت أرضه بالسجاد الجميل من الحرير وغيره . وفي وسطه قنديل من الفضة ، معلق بسلسلة فضية فوق الصخرة . وهناك قناديل كثيرة من فضة ،

(١) في النص ست دعائم وقد صححها شيفر إلى ثمان في صفحة ٩٠ للمعونة الأولى ، مستنداً إلى

ما جاء في النص من اثنتى عشرة دعامة وإلى اللوحة ١٨ من De Vogüé : Le Temple de Jérusalem.

كتب عليها وزنها ، أمر بصنعها سلطان مصر . وقد قدرت ما هناك من الفضة بألف من .
ورأيت هناك أيضاً شمعة كبيرة جداً طولها سبع أذرع وقطرها ثلاثة أشبار ، لونها
كالكاפור الزاجي وشمعها مخلوط بالعنبر . ويقال إن سلطان مصر يرسل هناك كل سنة
كثيراً من الشمع ، منه هذه الشمعة الكبيرة ، ويكتب عليها اسمه بالذهب .

وهذا المسجد هو ثالث بيوت الله سبحانه وتعالى ، والمعروف عند العلماء أن كل
صلاة في بيت المقدس تساوي خمسة وعشرين ألف صلاة ، وكل صلاة في مدينة الرسول
عليه الصلاة والسلام تعد بخمسين ألف صلاة ، وإن صلاة مكة المعظمة شرفها الله تعالى
تساوي مائة ألف صلاة . وفق الله عز وجل عباده جميعاً لهذا الثواب .

وقد قلت إن أسقف وظهور القباب ملبسة بالرصاص ، وعلى جوانب الدكة الأربعة
أبواب كبيرة ذات مصراعين من خشب الساج وهي مغلقة دائماً ، وبعد قبة الصخرة قبة تسمى
«قبة السلسلة» ، وهي السلسلة التي علقها داود عليه السلام ، والتي لا تصل إليها إلا يد صاحب
الحق ، أما يد الظالم والغاصب فلا تبلغها . وهذا المعنى مشهور عند العلماء . وهذه القبة
محمولة على رأس ثمانية أعمدة من الرخام ، وست دعائم من الحجر . وهي مفتوحة من
جميع الجوانب عدا جانب القبلة ، فهو مسدود حتى نهايته ، وقد نصب عليه محراب جميل .
وعلى الدكة نفسها قبة أخرى مقامة على أربعة أعمدة من الرخام ، وهي مغلقة من
ناحية القبلة أيضاً حيث بنى محراب جميل . وتسمى هذه القبة «قبة جبريل» عليه
السلام . وليس فيها فرش بل إن أرضها من حجر مستو . ويقال إن هناك أعد
«البراق» ليركبه النبي عليه السلام ليلة المعراج .

وبعد «قبة جبريل» تأتي «قبة الرسول» عليه الصلاة والسلام وبينهما عشرون
ذراعاً . وهي مقامة على أربعة أعمدة من الرخام أيضاً^(١) . ويقال إن الرسول عليه الصلاة
والسلام صلى ، ليلة المعراج ، في قبة الصخرة أولاً ثم وضع يده على الصخرة ، فلما خرج
وقفت لجلالته ، فوضع الرسول عليه الصلاة والسلام يده عليها لتعود إلى مكانها وتستقر

(١) يستعمل هنا كلمة سستون مكان اسطوانة ، وهو يقصد بالأولى الدعامة ، وبالثنائية العمود ،
ص ٤٣ ملاحظات غني زاده (٧) .

وهي بعدُ نصف معلقة . وقد ذهب الرسول عليه السلام من هناك إلى القبة التي تنسب إليه وركب البراق ، وهذا سبب تعظيمها .

وتحت الصخرة غار كبير ، يضاء دائماً بالشمع . ويقال إنه حين قامت الصخرة خلا ما تحتها ، فلما استقرت بقي هذا الجزء كما كان .

وصف المراقي المزربية إلى مكة التي بسامة الجامع .

يسار إلى هذه الدكة من ستة مواضع : لسكل منها اسم ، فبجانب القبلة طريقان ، يصعد فيهما على درجات ، فإذا وقفت في وسط الدكة وجدت أحدهما على اليمين ، والثاني على اليسار . والذي على اليمين يسمى مقام النبي عليه السلام ، والذي على اليسار يسمى مقام الغوري . وسمى الأول مقام النبي لأن النبي عليه الصلاة والسلام صعد على درجاته إلى الدكة ليلة المعراج ، ودخل إلى قبة الصخرة . ويقع طريق الحجاز على هذا الجانب . وعرض درجاته عشرون ذراعاً ، وهي من الحجر المنحوت المنتظم ، وكل درجة قطعة أو قطعتان من الحجر المربع ، وهي معدة بحيث يستطيع الزائر الصعود عليها راكباً . وعلى قمة هذه الدرجات أربعة أعمدة من الرخام الأخضر الذي يشبه الزمرد ، لولا أن به نقطاً كثيرة من كل لون ، ويبلغ ارتفاع كل عمود منها عشرة أذرع ، وقطره بقدر ما يحتضن رجلان . وعلى رأس هذه الأعمدة الأربعة ثلاثة طيقتان ، أحدهما مقابل للباب والآخرا على جانبيه ، وسطح الطيقتان أفقي ، من فوقه شرفات بحيث يبدو مربعاً ، والعمد والطيقتان منقوشة كلها بالذهب والمينا ، ليس أجمل منها . ودرابزين الدكة كله من الرخام الأخضر المنقط ، حتى لتقول إن عليه روضة ورد ناضر .

وقد أعد مقام الغوري بحيث تكون ثلاثة سالم على موضع واحد ، أحدها محاذ للدكة والآخرا على جانبيها ، حتى يستطيع الصعود من ثلاثة أماكن . ومن فوق هذه السلام الثلاثة أعمدة عليها طيقتان وشرفة . والدرجات بالوصف الذي ذكرت من الحجر المنحوت ، كل درجة قطعتان أو ثلاث من الحجر المستطيل . وكتب بخط جميل بالذهب على ظهر الطاق : أمر به الأمير ليث الدولة نوشتكين الغوري . ويقال إنه كان تابعاً

لسلطان مصر، وهو الذي أنشأ هذه الطرق والمراقي^(١). وعلى الجانب الغربي للدكة سلمان في ناحيتين منها، وهناك طريق عظيم مشابه لما ذكرت. وكذلك في الجانب الشرقي طريق عظيم مماثل، عليه أعمدة فوقها طيقتان وشرفة يسمى المقام الشرقي.

وعلى الجانب الشمالي طريق أكثر علواً وكبر منها كلها، به أعمدة فوقها طيقتان، يسمى المقام الشامي. وأظن أنهم صرفوا على هذه الطرق الستة مائة ألف دينار. وفي الجانب الشمالي لساحة المسجد، لا على الدكة، ببناء كأنه مسجد صغير، يشبه الخظيرة. وهو من الحجر المنحوت، يزيد ارتفاع حوائطه على قائمة رجل ويسمى «محراب داود»، وبالقرب منه حجر غير مستو يبلغ قائمة رجل، وقته تتيح وضع حصيرة صلاة صغيرة عليها^(٢). ويقال إنه كرسي سليمان عليه السلام الذي كان يجلس عليه أثناء بناء المسجد.

هذا ما رأيت في جامع بيت المقدس. قد صورته وضممته إلى مذكراتي^(٣)، ومن النوادر التي رأيتها في بيت المقدس شجرة الحور.

بعد النزاع من زيارة بيت المقدس عزمنا على زيارة مشهد إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، في يوم الأربعاء غرة ذي القعدة سنة ٤٣٨ (٢٠ أبريل سنة ١٠٤٧)، والمسافة بينهما ستة فراسخ، عن طريق جنوبي به قرى كثيرة وزرع وحدائق وشجر برى لا يحصى من عنب وتين وزيتون وسماق. وعلى فرسخين

(١) هو الأمير أبو منصور أبو شتكين أمير الجيوش وحاكم سوريا من قبل الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، وأصله من ختان. كان عبداً لعضابط في الديلم اسمه دزير بن أوسيم. وقد خلف أبا قطاع الحمداني على دمشق سنة ٤١٩ (١٠٢٨). واضطر إلى الفرار منها على أثر ثورة في سنة ٤٣٣ (١٠٤١) وهاجر إلى حلب حيث مات بعد ثلاثة أشهر.

انظر Schefer ص ٩٧ الذي نقل عن مخطوط في مكتبته لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في تاريخ الخلفاء والأمراء والولاة الذين حكموا دمشق، الورقة ١٣٧.

(٢) هذه الجملة مضطربة: «سروى... افتد». تعليقات غني زاده ص ٤٥ (٨). ولو أننا ابتعنا تصفة ن: كه زيلاوي كويك برآن موضع افتد، لاستقام المعنى.

(٣) هذه الإشارة تفيد أن النص الذي بأيدينا ليس كاملاً، تنقصه الصور على الأقل، وعندى أنه يشير إلى مذكرات مؤقنة يكتبها أثناء رحلته. راجع تعليق غني زاده ص ٤٥.

من بيت المقدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة ، تسمى « الفراديس »
لجمال موقعها . وعلى فرسخ واحد من بيت المقدس ، مكان للنصارى يعظمونه كثيراً ،
يقيم بجانبه مجاورون ويحج إليه كثيرون ، اسمه « بيت اللحم » . وهناك يقدم النصارى
القرابين ويقصده الحجاج من بلاد الروم . وقد بلغته مساء اليوم الذى قمت فيه من
بيت المقدس .

وصف قبر الخليل صلوات الله عليه :

يسمى أهل الشام وبيت المقدس هذا المشهد « الخليل »^(١) ، ولا يذكر اسم القرية
التي هو فيها ، قرية مطلون ، وهي موقوفة عليه مع قرى كثيرة . وفي هذه القرية عين ماء
تخرج من الصخر ، يتفجر ماؤها رويداً رويداً ، وهو ينقل من مسافة بعيدة بواسطة قناة
إلى خارج القرية ، حيث بنى حوض مغطى ، يصب فيه الماء فلا يذهب هباء ، حتى يفي
بحاجة أهل القرية وغيرهم من الزائرين .

والمشهد على حافة القرية من ناحية الجنوب ، وهي في الجنوب الشرقى . والمشهد
يتكون من بناء ذى أربع حوائط من الحجر المصقول ، طوله ثمانون ذراعاً وعرضه
أربعون ، وارتفاعه عشرون ، وثمانية حوائطه ذراعان . وبه مقصورة ومحراب في عرض
البناء ، وبالمقصورة محراب جميلة بها قبران رأسهما للقبلة ، وكلاهما من الحجر المصقول
بارتفاع قامته الرجل ؛ الأيمن قبر إسحق بن إبراهيم ، والأخر قبر زوجته عليهما السلام ،

(١) الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم ،
فيه قبة قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في منارة تحت الأرض ، وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع
وضيافة لزوار ، وبالخليل سمى الموضع واسمه الأصلي حبرون أو حبرى (معجم البلدان ج ٣ ، ص ٤٢٦
طبعة الخانكي)

وروى عن كعب الأحبار أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام .
وقيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم تميم الدارى في قومه وسأله أن يقطعه حبرون فأجابته وكتب له
كتاباً شهد عليه أبو بكر بن أبي قحافة وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ، قال فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى وأصحابه ،
إني أعطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم (مرطوم ، مطلون) وبيت إبراهيم بدمتم وجميع ما فيهم
وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم بدمهم أهد الأبدن فن آدام فيه آذى الله » . (معجم ج ٣ ص ٢٠٩) .
وقد كتب هذا الخطاب على رقعة من الجلد على بن أبي طالب وظل يتوارثه آل تميم الدارى حتى القرن
السادس عشر الميلادى ، إذ أرسل الخطاب إلى القسطنطينية ليحفظ في متحف اسكى سراى . شيفر
ص ٩٩ هامش حيث أشار إلى رحلة الشيخ عبد الفتى النابلسى في فلسطين .

وبينهما عشرة أذرع . وأرض هذا المشهد وجدرانه مزينة بالسجاجيد القيمة والحصر المغربية التي تفوق الديباج حُسناً . وقد رأيت هناك حصير صلاة ، قيل أرسلها أمير الجيوش ، وهو تابع لسطان مصر . وقد اشترت من مصر بثلاثين ديناراً من الذهب المغربي ، ولو كانت من الديباج الرومي لما بلغت هذا الثمن . ولم أر مثله في مكان قط .

حين يخرج السائر من المقصورة إلى وسط ساحة المشهد ، يجسد مشهدين أمام القبلة : الأيمن به قبر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ، وهو مشهد كبير ، ومن داخله مشهد آخر لا يستطاع الطواف حوله ، ولكن له أربع نوافذ يرى منها ، فيراه الزائرون وهم يطوفون حول المشهد الكبير ، وقد كسيت أرضه وجدرانه ببسط من الديباج ، والقبر من الحجر ، ارتفاعه ثلاث أذرع ، وعلق به كثير من القناديل والمصابيح الفضية .

والمشهد الثاني الذي على يسار القبلة به قبر سارة زوج إبراهيم عليه السلام ؛ وبين القبرين ممر عليه بابهما ، وهو كالدهليز وبه كثير من القناديل والمسارج^(١) . وبعد هذين المشهدين قبران متجاوران ، الأيمن قبر النبي يعقوب عليه السلام ، والأيسر قبر زوجته .

وبعدهما المنازل التي اتخذها إبراهيم لضيافة زائريه ، وبها ستة قبور . وخارج المشهد منحدر به قبر يوسف بن يعقوب عليه السلام ، وهو من الحجر وعليه قبة جميلة . وعلى جانب الصحراء بين قبر يوسف ، ومشهد الخليل عابهما السلام ، قرافة

(١) ينقل ياقوت في معجم البلدان (ج ٣ ص ٤٦٢ طبعة الخانكي) عن الهروي في كتابه الزيارات بقول : قال الهروي دخلت القدس في سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١) واجتمعت فيه وفي مدينة الخليل بمشايخ حدثوني أن في سنة ٥١٣ هـ (١١١٩) في أيام الملك بردويل (Baudouin) أنحف موضع في مفارة الخليل فدخل إليها جماعة من الفرنج بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام وقد بليت أكتافهم وهم مستندون إلى حائط وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم مكتوفة ، فجدد الملك أكتافهم ثم سد الموضع . قال : وقرأت على السلفي أن رجلاً يقال له الأرمي قصد زيارة الخليل وأهدى لقيم الموضع هدايا جمة وسأله أن يمكنه من النزول إلى جنة إبراهيم عليه السلام ، فقال له : أما الآن فلا يمكن لكن إذا أقت إلى أن ينقطع الجمل وينقطع الزوار فعلت . فلما انقطعوا قطع بلاطة هناك وأخذ معه مصباحاً ونزلاً في نحو سبعين درجة إلى مفارة واسعة والهواء يجرى فيها ومها دكة عابها إبراهيم عليه السلام منى وعليه ثوب أخضر والهواء يلمب بشيئته . وإلى جانبه إسحق ويعقوب ، ثم أتى به إلى حائط المفارة فقال له : إن سارة خافت هذا الحائط . فهم أن ينظر إلى ما وراء الحائط فاذ بصوت يقول : إياك والحرم . قال فعادت من حيث نزلت .

كبيرة يدفن بها الموتى من جهات عديدة .
وعلى سطح المقصورة التي في المشهد ، حجرات للضيوف الوافدين ، وقد وقف عليها أوقاف
كثيرة من القرى ومستغلات بيت المقدس .

وأغلب الزراعة هناك الشعير ، والقمح قليل ، والزيتون كثير . ويعطون الضيوف
والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون . وهناك طواحين كثيرة تديرها البغال والثيران
لطحن الدقيق ، وبالمضيعة خادمت يخبزن طول اليوم . ويزن رغيفهم متاً واحداً .
ويعطى من يصل هناك رغيفاً مستديراً وطبقاً من العدس المطبوخ بالزيت وزبيباً كل يوم .
وهذه عادة بقيت من أيام خليل الرحمن عليه السلام حتى الساعة . وفي بعض الأيام يبلغ
عدد المسافرين خمسمائة ، قهياً الضيافة لهم جميعاً^(١) .

ويقال إنه لم يكن لهذا المشهد باب ، وكان دخوله مستحيلاً ، بل كان الناس يزورونه من
الايوان في الخارج . فلما جلس المهدي^(٢) على عرش مصر أمر بفتح باب فيه ، وزينه
وفرشه بالسجاجيد ، وأدخل على عمارته إصلاحاً كثيراً ، وباب المشهد وسط الحائط
الشمالي على ارتفاع أربع أذرع فوق الأرض ، وعلى جانبيه درجات من الحجر ، فيصعد
إليه من جانب ، ويكون النزول من الجانب الثاني . ووضع هناك باب صغير من الحديد .

(١) يشير إلى « سباط ابراهيم » أو « الدشيته » . ويقال إن ابراهيم عليه السلام كان يخرج كل
يوم ليأتي بالضيوف ، وقد سمي « أبو الضيفان » لسكرمه . يقول مجير الدين في كتابه تاريخ بيت المقدس
(ص ٥٩ طبعة مصر) إنهم كانوا يضرعون الطبل كل يوم بعد صلاة العصر عند باب المطبخ حين يوزع
الطعام ، وهو من أعجب ما في الدنيا ويشترك السكان مع الزوار في هذه الوجبات . ثم يذكر أن الخبز
يوزع ثلاث مرات في اليوم ، في الصباح للفقراء وغيرهم ، وفي الظهر للسكان ، وبعد العصر لهم ولمن يأتي
من الزوار . وعند الباب ، حيث يدق الطبل ، توجد المطابخ التي تحتوى على ثلاثة أفران وست طواحين ،
وعلى مسافة من هذا مخازن الغلال .

(٢) يرجع Schefer ص ١٠٥ أن ناصرًا يقصد عبيد الله المهدي مؤسس الأسرة الفاطمية ، الذي
استولى على مصر فترة قصيرة سنة ٣٠٦ (٩١٨) ولا يقصد المهدي الخليفة العباسي الذي ولي الخلافة سنة
١٥٨ (٧٧٤) . ونحن نوافق على هذا الرأي . ويزعم مجير الدين أن هذا الباب عمل في الحكم البيزنطي
وقد رسم الهيكل كله على بك العباسي في رحلته في إفريقيا وآسيا في السنوات ١٨٠٣ - ١٨٠٧ .
باريس ١٨١٤ الجزء ٣ ص ١٦٠ - ١٦٢ ، رقم ٦٣ .

وقد جمع Quatremère في نهاية الجزء الأول من كتابه Histoire des Sultans Mamlouks الذي
ترجمه عن المقرئ كل ما قيل عن حبرون وقبر الخليل في المراجع الشرقية التاريخية والجغرافية التي رآها ،
وما كتبه عنها السواح الغربيون .

ثم رجعت إلى بيت المقدس ومن هناك سرت ماشياً مع جماعة تقصد الحجاز ، وكان دليلنا رجلاً اسمه أبو بكر الهمداني ، وهو رجل جلد يقدر على المشي ، وجهه جميل . غادرت بيت المقدس في منتصف ذي القعدة سنة ٤٣٧ (أول مايو ١٠٤٧) ، وبعد ثلاثة أيام بلغت جهة تسمى « أعز القرى »^(١) ، بها ماء جار وأشجار ، ثم غادرتها إلى منزل آخر يسمى « وادي القرى » ، ومن بعده نزلنا مكاناً ثالثاً . ثم بلغنا مكة بعد عشرة أيام . لم تحضر لمكة قافلة من أي بلد في هذه السنة ، ولم يكن الطعام متوفراً . وقد نزلت في سكة العطارين أمام باب النبي عليه السلام . وفي يوم الاثنين طاعت عرفات ، وكان الناس مملوئين رعباً من العرب ، ولما عدت من عرفات لبثت بمكة يومين ، ثم رجعت إلى بيت المقدس عن طريق الشام .

بلغنا المقدس في الخامس من المحرم سنة ٤٣٩ (٧ يوليو ١٠٤٧) . ولا أذكر هنا وصف مكة والحج ، سأذكر ذلك عند الكلام على الحجة الأخيرة .

كنيسة بيعة القيامة :

وللنصارى في بيت المقدس كنيسة يسمونها « بيعة القيامة »^(٢) ، لها عندهم مكانة عظيمة . ويحج إليها كل سنة كثير من بلاد الروم ، ويذورها ملك الروم متخفياً ، حتى لا يعرفه الناس . وقد زارها أيام عزيز معمر الحاكم بأمر الله فبلغ ذلك الحاكم ، فأرسل إليه أحد حراسه — بعد أن عرفه أن رجلاً بهذه الخلية والصورة يجاس في كنيسة بيت المقدس — وقال له : « اذهب عنده وقل له : إن الحاكم أرساني إليك ويقول : لا تحسبنني أجهل أمرك ، ولكن كن آمناً فإن أقصدك بسوء » ، وقد أمر الحاكم هذا بالإغارة على الكنيسة فهدمها وخرّبها . وظلت خربة مدة من الزمان . وبعد ذلك بعث القيصصر إليه رسلاً ، وقدم كثيراً من الهدايا والخدمات وطلب الصلح والشفاعة ليؤذن له بإصلاح الكنيسة فقبل الحاكم وأعيد تعميرها^(٣) .

(١) في النص ارعز وذكرها شيفر باسم عزرا وقال إنه اسم غير واضح (ص ١٠٦) وصححها غني زاده بالرسم الذي ذكرنا (ص ٤٩) . (٢) وتسمى عند النصارى كنيسة القيامة . (٣) هدمت الكنيسة في سنة ٤٠٠ (١٠٠٩) بأمر الخليفة المصري الحاكم بأمر الله . وظلت خربة حتى سنة ٤٢٩ (١٠٣٧) حين عقد الامبراطور ميشيل Michel V le Paphlagonien هدنة مع والي بيت المقدس من قبل المستنصر بالله . وقد تمهد بتحرير خمسة آلاف أسير مسلم ومنح الحق في إعادة =

وهذه الكنيسة فسحة تسع ثمانية آلاف رجل ، وهي عظمة الزخرف ، من الرخام الملون والنقوش والصور ، وهي مزدانة من الداخل بالديباج الرومي والصور ، وزينات بطلاء من الذهب . وفي أماكن كثيرة منها صورة عيسى عليه السلام راكباً حماراً ، وصور الأنبياء الآخرين مثل : إبراهيم وإسحق ويعقوب وأبنائهم عليهم السلام . وهذه الصور مطلية بزيت السندروس^(١) . وقد غطى سطح كل صورة بلوح من الزجاج الشفاف على قدها ، بحيث لا يحجب منها شيء ، وذلك حتى لا يصل الغبار إليها . وينظف الخدم هذا الزجاج كل يوم . وهناك عدا ذلك عدة مواضع أخرى كلها مزينة ، ولو وصفتها لطالت كتابتي . وفي هذه الكنيسة لوحة مقسمة إلى قسمين عملاً لوصف الجنة والنار ، فنصف يصف الجنة وأهلها ، ونصف يصف النار وأهلها ومن يبقى فيها . وليس لهذه الكنيسة نظير في أي جهة من العالم . ويقام بها كثير من القسس والرهبان ، يقرءون الإنجيل ويصلون ويشغلون بالعبادة ليل نهار .

وصف مصر

ثم عزمنا على أن أغادر بيت المقدس إلى مصر ، بطريق البحر ، ثم أغادرها إلى مكة^(٢) . ولكن كانت الرياح معاكسة وتعذر السفر بالبحر ، فسرنا عن طريق البر ، ومررنا بالرملة ، ثم ببلغنا مدينة تسمى عسقلان^(٣) ، بها سوق وجامع جميل . رأيت بها طاقاً قديماً ، قيل إنه كان مسجداً ، وهو طاق من الحجر الكبير ، لو أرادوا هدمه للزمهم إنفاق مال كثير . وخرجت من هناك فوجدت في الطريق قرى كثيرة ، ومدناً يطول وصفها فحذفته اختصاراً . وبلغنا مكاناً يسمى طينة ، وهو مرفأ للسفن ، يذهب منه إلى تنيس ، وقد ركبت السفينة إليها .

== بناء الكنيسة ، فأرسل المهندسين والمعماريين فوراً من القسطنطينية وبليت الكنيسة من جديد . انظر Schefer ص ١٠٧ .

(١) نوع من الدهن يستخرج من صمغ بعض الأشجار . ويسميه اليونان سنثالوزي Santalozi . وقد ذكر طريقة تحضيره المخطوط البيزنطي Guide de la Peinture الذي ترجمه الدكتور Paul Durand بعنوان Manuel d'iconographie chrétienne, grecque et latine في باريس ١٨٤٥ ص ٤١ . راجع Schefer ص ١٠٨ . (٢) تفيد أنه لم يكن في نيته إطالة إقامته في مصر .

(٣) قال الهروي في كتابه الزيارات (ورقات ٢٧ ، ٢٨) أن رأس الحسين بن علي ظلت في مشهد عسقلان إلى أن استولى الفرنج على المدينة فنقلت الرأس الشريفه إلى مصر سنة ٥٤٩ (١١٥٤) (Schefer ص ١٠٩) .

تندس جزيرة ومدينة جميلة ، وهي بعيدة عن الساحل بحيث لا يرى من أسطحها .
والمدينة مزدهجة ، وبها أسواق نخمة وجامعان ، وقد يبلغ عدد الدكاكين بها عشرة آلاف
دكان ، منها مائة دكان عطار . وهناك في فصل الصيف يبيعون الكشكاب^(١) ، فإن
الجو حار وتكثر الأمراض في المدينة . وينسج بتندس القصب الملون من عمامات ووقايات
ومما يلبس النساء . ولا ينسج مثل هذا القصب في جهة ما غير تندس . والأبيض منه ينسج
في دمياط . وما ينسج منه في مصانع السلطان لا يباع ولا يعطى لأحد . وقد سمعت أن
ملك فارس أرسل رساله إلى تندس بعشرين ألف دينار ليشتري له بها حلة من كسوة
السلطان ، وقد بقي رساله هناك عدة سنين ولم يستطيعوا شراءها . وبتندس صناعات مختصون
بنسيج ملابس السلطان . وقد سمعت أن عاملا نسج عمامة السلطان ، فأمر له بخمسمائة
دينار ذهب مغربي ، وقد رأيت هذه العمامة ، ويقال إنها تساوي أربعة آلاف دينار مغربي .
وينسجون في مدينة تندس هذه البوقلمون ، الذي لا ينسج في مكان آخر من جميع
العالم . وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار . وتحمل أنوابه من تندس إلى المشرق
والمغرب . وسمعت أن سلطان الروم كان قد أوفد رسولا ليعرض على سلطان مصر أن
يعطيه مائة مدينة على أن يأخذ تندس ، فلم يقبل السلطان ، وكان قصده من هذه المدينة
القصب والبوقلمون^(٢)

(١) الكشكاب صنجان صنف منسج غير مسكر يشبه ما يسمى في تركيا إيران وهو يشرب في
إيران أيضا . يتكون من اللبن الزبادي المضروب مع الماء . وصنف آخر مسكر يتكون من « السويبا »
المخمرة مضافا إليها بعض العناصر الأخرى ويسمى هذا الصنف الفقاع ، ويقصد ناصر الصنف الأول .
رضا قولي خان في فرهنگ ناصري ، Schefer ص ١١٠ .

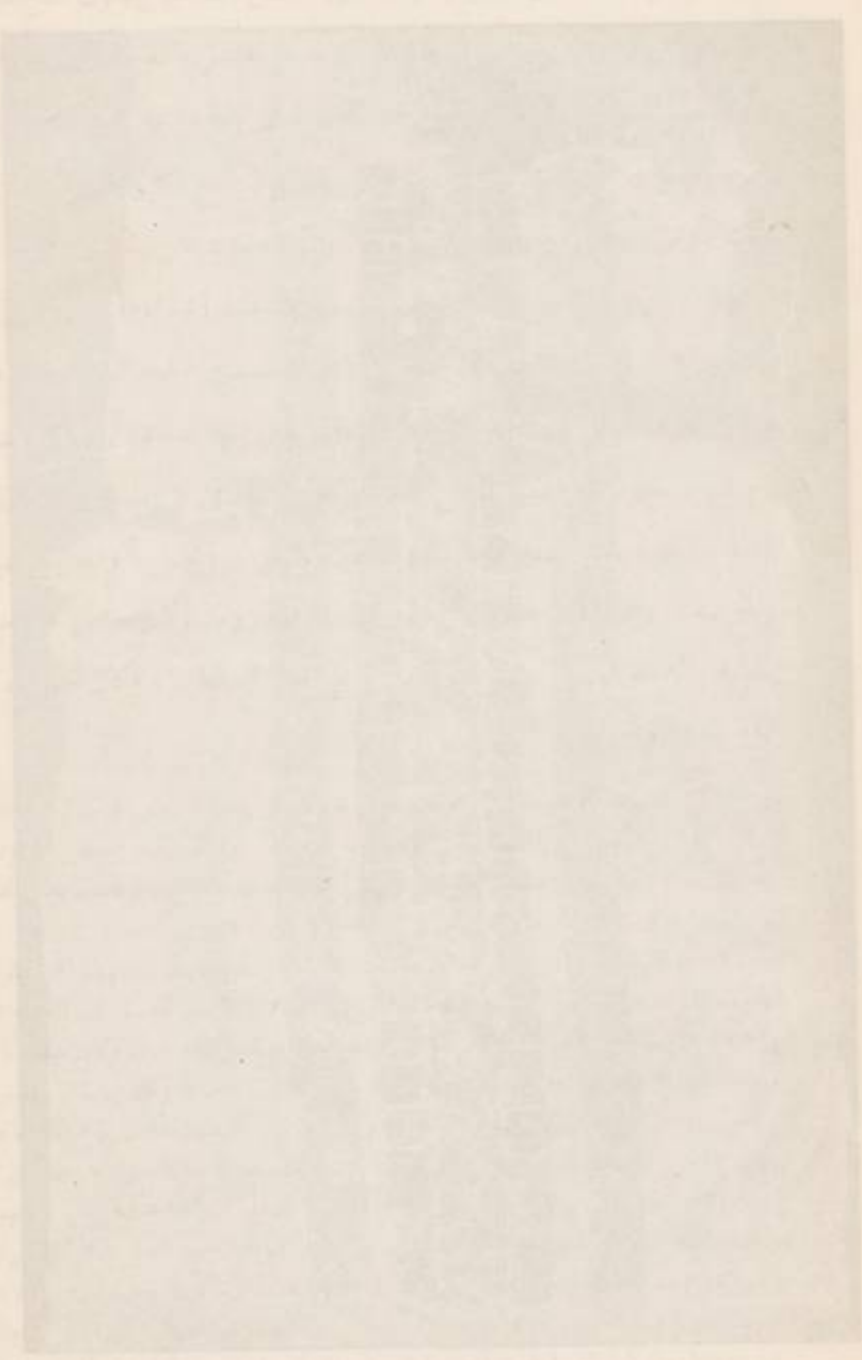
(٢) كانت تندس من أجل المدائن وكانت بالقرب من دمياط قال المسعودي كان طول مدينة تندس من
الجنوب إلى الشمال ثلاثة آلاف ذراع ومائتي ذراع وكان عرضها من المشرق إلى المغرب ثلاثة آلاف ذراع
وخمسة وعشرون ذراعا بالعمل ، وكان لها تسعة عشر بابا مصفحة بالحديد ، وكان بها عدة مساجد نحو مائة
وستين مسجدا وبكل مسجد منارة ، وكان بها ستة وثلاثون حماما ، وكان بها مائة معصرة لازيت والشعير
والقصب ، وكان بها مائة وستون طاحونا وكان بها من الحوانيت ألفان وخمسمائة حانوت برسم البضائع
وكان بها من المناسج للقماش نحو خمسة آلاف منسج يصبغونها بها الثياب الصبر التي لا يصبغ مثلها في
الدنيا وكانوا ينسجون بها أنوابا تسمى البسدة تنسج بالذهب صناعة محكمة يباع الثوب منها بمائة دينار
وكانت تحمل منها إلى بغداد ، وكان يغزل بها طرز من الكتان بغير ذهب يباع كل طراز منها بمائة دينار
وهو بغير ذهب ... ولم تزل مدينة عامرة إلى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة (١١٧٧) حتى جاء إليها
نحو أربعين مراكبا موسوقة جماعة من الفرنج فحاصروا أهلها فلما أشرفوا على أهل المدينة هرب أهلها إلى
نهر دمياط وتركوا المدينة فاستولى عليها الفرنج وملكوها ونهبوا ما فيها ثم ألغوا فيها النار فاحترقت =



جزء من قطعة من السكتان منسوج فيها بالحرير الأبيض والأخضر والأصفر ثلاثة أشربة زخرية ، الأوسط منها محصور بين سطرين متعاكسين من الكتابة الكوفية ، تقرأ في العلوى منهما : « بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولي الله » وفي السطر السفلي تقرأ « نصر من الله وفتح قريب لمبد الله ووليه محمد بن عبد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين صلوات . . » ولاحظ الأستاذ عبد العزيز مرزوق في كتابه الزخرفة المنسوجة من ١٩٥٠ أن القاب الوزير بدر الجمالي منسوجة في الجزء الثاني من هذه القطعة بدار الآثار . (كاتبيه دار الآثار العربية) .

فصل في بيان...

هذا هو...



...

حينما يزيد ماء النيل يُبعد الماء المالح من حول تينيس ، بحيث يصبح ماء البحر عذبا حتى عشرة فراسخ حولها . وقد بنوا بحيرة تينيس ومدینتها صهاريج عظيمة تحت الأرض وهي قوية البنیان وتسمى المصانع . حين يزيد ماء النيل ويطرد الماء المالح من هناك ، تملأ هذه المصانع من ماء النيل الذي يجري إليها . وماء هذه المدينة من تلك المصانع التي تمتلئ وقت زيادة النيل ، ويستعمل السكان هذا الماء حتى السنة التالية . وكل من لديه ماء فوق حاجته ، يبيع الفائض لغيره . وبتينيس مصانع كثيرة موقوفة ، يعطى ماؤها للغرياء . وسكانها خمسون ألفا . ويرابط حولها ، دائماً ، ألف سفينة ، منها ما هو للتجار وكثير منها للسلطان . ويحلب لهذه الجزيرة كل ما تحتاج إليه ، إذ ليس بها من خيرات الأرض شيء ، وتجري المعاملات فيها بالسفن ، لأنها جزيرة .

== كلها تم أخذوا ما قدروا عليه من الغنائم وتركوا المدينة خرابا ورحلوا عنها واستمرت على ذلك إلى سنة أربع وعشرين وستمائة (١٢٢٦) في دولة الملك الكامل محمد بن أيوب فأمر بهدم ما بقي من سورها وبيوتها واستمرت خرابا من يومئذ إلى الآن .

تاريخ مصر لابن إياس ج ١ مطبعة بولاق ص ٤٩ - ٥٠ .

وقال أبو الفاسم ابن حوقل النصبي في كتابه صورة الأرض طبع ليدن ١٩٣٨ ص ١٥٢ :

ومن جليل مدنها (مصر) وفاخر خواصها ما خصت به تينيس ودمياط وفيهما يتخذ ويعدل رفيع السكان وثياب العرب والديقي والمصبغات من الحبل التينيسية التي ليس في جميع ما في الأرض ما يدانها في القيمة والحسن والنعمة والترق والرقعة والدقة وربما بلغت الحسنة من ثيابها مائتي دينار إذا كان فيها ذهب وقد يبلغ مالا ذهب فيه منها مائة دينار وزائدا ونقصا . . . وإن كانت شطا ودبقوا ودميرة وتونة وما قاربهم بتلك الجزائر يعمل بها الربيع من هذه الأجناس فليس ذلك بمقارب للتينيس والدمياط والشطوي مما جعل الحبل على عهدنا يبلغ من عشرين ألف دينار إلى ثلاثين لجهاز العراق .

وراجع أيضا : ياقوت في المعجم ج ٢ ص ٤١٩ وما بعدها . والمقرئ ج ١ ص ١٧٦ وما بعدها ، مطبعة بولاق .

وأما القول بوجود مصانع تنسج ما يريده الخليفة من كسائه وما يراه به على حاشيته من ملابس ، فهذا نظام معروف منذ أيام الساسانيين . فقد كان « الطراز » ينسج في مصانع أعدت له في قصر كمرى . فلما قامت الدولة الأموية نقلت هذا النظام عن الساسانيين ثم توسع فيه العباسيون من بعدهم فسكرت هذه المصانع الملكية ، وأصبح مكانها يقوم حيث تكون المادة الأولية الأساسية في الصناعة .

وقد امتازت مصر بصنع السكان فاشتهرت به تينيس ودمياط والاسكندرية . وكانت الدولة تعرف على هذه المصانع وكان كثير من العمال من القبط الذين احتفظوا بدينهم .

راجع : تاريخ القرون الوسطى G. Marçais ، Charles Diehl ، Histoire du Moyen-Age ، (ج ٣ ص ٢٦٤) حيث رجع المؤلفان إلى دائرة المعارف الإسلامية مادة طراز (Grohmann) ، وإلى Mez في حضارة الإسلام Die Renaissance des Islam ص ٤٣١ من النسخة الألمانية ، وإلى مساجد القاهرة Les mosquées du Caire ص ٩٣ وما بعدها لمؤلفه الأستاذ فريت Wheat مدير دار الآثار العربية بالقاهرة .

ويقيم بتئيس جيش كامل السلاح ، احتياطاً ، حتى لا يستطيع أحد من الفرنج أو الروم أن يغير عليها . وسمعت من الثقات أنه يصل منها لخزانة سلطان مصر ، يومياً ، ألف دينار مغربي . ويصل ذلك المقدار مرة واحدة ، يحصله شخص واحد ، يسلمه أهل المدينة إليه في وقت معين^(١) ، وهو يسلم للخزانة ، فلا يتأخر منه شيء . ولا يجبي شيء بالعنف من أي شخص . وما ينسج للسلطان من القصب والبوقلمون يدفع ثمنه كاملاً ، بحيث يعمل الصانع برضاهم للسلطان ، لا كما في البلاد الأخرى حيث يفرض الديوان والسلطان السخرة على الصانع . وتصنع أستار هودج الجمال ولبود سروج الخيل ، الخاصة بالسلطان ، من البوقلمون . ويؤتى بالقهوة والأغذية لتئيس من قرى مصر . ويصنعون بها آلات الحديد كالمقراض والسكين وغيرها . وقد رأيت مقراضاً في مصر ، صنع في تئيس ، ثمنه خمسة دنانير مغربية ، يفتح إذا رفع مسامره ويقص إذا أنزل .

وتصيب النساء هناك ، أحياناً ، علة كالصرع ، فيصحن مرتين أو ثلاثاً ، ثم يعدن بعد ذلك إلى صوابهن . وكنت سمعت في خراسان ، عن جزيرة تموء فيها النساء كالقطط ، وذلك على النحو الذي ذكرت .

وتذهب السفينة من تئيس إلى القسطنطينية في عشرين يوماً . وقد سرنا بجانب مصر ، وحين بلغنا شاطئ البحر ، سارت السفينة في النيل . حين يقترب نهر النيل من

(١) لكي نجد القارىء صورة لما كانت تنقله مصر لولاية أذكر ما جاء في كتاب صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل النصيبي ص ١٣٥ حيث يقول :

وجدت بخط أبي النضر الوراق في أخبار أبي الحسين الحصببي ، قال حدثني أبو حازم القاضي قال قال لي أبو الحسن ابن المدير : لو عمرت مصر كلها لوفت بأعمال الدنيا . وقال : تحتاج مصر إلى ثمانية وعشرين ألف فدان وإنما يعمر منها ألفاً ألف فدان . قال وقال له إنه كان يتقلد الدواوين بالعراق يريد ديوان المشرق والمغرب ، قال ولم أبت قط لبلدة من اللبالي وعلى عمل أو بقية منه وتقلدت مصر فكنت ربما بت وقد بقى على شيء من العمل فأستتمه إذا أصبحت . قال وقال له أبو حازم القاضي :

جبا عمرو بن العاص مصر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اثني عشر ألف دينار ، فصرفه عنها عثمان لعبد الله بن أبي سرح جباها أربعة عشر ألف دينار . وقال أبو حازم ، إن هذا الذي جباه عمرو وعبد الله بن أبي سرح إنما كان من الجاجم خاصة دون الخراج وغيره .

وجاء في Mémoires géographiques sur l'Égypte ج ١ ص ٣٢٠ ، ٣٢١ أنه في زمن البطريق Denys de Telmahar كان على كل نصراني ، غنياً أو فقيراً ، أن يدفع خمس قطع ذهبية . فتوسط Denys لدى عبد الله بن طاهر ليخفف الضريبة فأمر بأن يحصل من النبي ٤٨ درهماً و ٢٤ من متوسط الحال و ١٢ من الفقير (Schefer ص ١١٣) .

البحر ، يصير فروعا تصب متفرقة فيه . ويسمى الفرع الذي سرنا فيه فرع الروم . سارت السفينة حتى بلغنا مدينة تسمى الصالحية . وهي مدينة كثيرة النعم والخيرات . وتصنع بها سفن كثيرة ، جملة كل منهما مائتا خروار^(١) ، وهي تنقل البضاعة إلى مدينة مصر حتى أبواب دكا كين البقالين ، ولو لم تكن وسائل النقل كذلك لتعذر نقل المؤن فيها على ظهور الدواب ، اسكثرة الزحام الذي بها . وقد نزلت من السفينة إلى الصالحية . ثم انفتت قرب القاهرة في تلك الليلة ، وفي يوم الأحد السابع من صفر سنة ٤٣٩ (٤ أغسطس ١٠٤٧) ، وهو يوم همرسذ من شهر يور القديم ، كنا في القاهرة .

وصف مصر ودلايتها :

يخرج ماء النيل من بين الجنوب والغرب ويمر بمصر ثم يصب في بحر الروم . ويبلغ نهر النيل ، في زيادته ضعف نهر جيحون عند ترمذ . ويمر النيل بولاية النوبة ثم يجيء إلى مصر . والنوبة ولاية جبلية . وحين يصل النيل إلى الوادي ، فهناك ولاية مصر . وأول مدينة يصل إليها ، على الحدود ، تسمى أسوان . والمسافة من مصر إليها ثلثمائة فرسخ ، وتقع المدن والولايات كلها على شاطئ النيل . وتسمى هذه الولاية ، أسوان ، بالصعيد الأعلى . ولا تستطيع السفن عبور النيل ، حين تصل لأسوان ، لأن الماء يخرج هناك من شلالات فيندفع سريعا^(٢) .

وولاية النوبة جنوبي أسوان . ولها ملك خاص . وسكانها سود البشرة ودينهم النصرانية . ويذهب إليها التجار ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون منها الرقيق . والرقيق في مصر إما نوب (أو نوبيون) وإما روم . وقد رأيت قمحا وذرة من النوبة ، كلاهما أسود . ويقال إن حقيقة منابع النيل لم تعرف . وسمعت أن سلطان مصر أرسل بعثة لتتبع شاطئ النيل ، سنة كاملة ، ودرسه . ولكن أحدا لم يعرف حقيقة منبعه . ويقال إنه يأتي من جبل في الجنوب ، يسمى جبل القمر .

(١) خروار : حمل حمار .

(٢) وبالنيل موضعان يعرفان بالجنادل ، أحدهما فوق أسوان بثلاثة أميال ، وهو جبل قطع أيضا لطريق الماء وترك ما قطع منه على غاية الوعورة فلما يتسرب منه بين أحجار عظام . ولا تقدر المراكب أن تسير فيه لو عورته ، وإذا جاءتت حملت إلى البر متاعها إلى أن تلحق بمسيل الماء المستقيم . . وكأنه ترك ردها لمن قصد بلد العدو أو ردها لمن أراد مصر من ناحية العدو . صورة الأرض من ١٤٥ .

حين تبلغ الشمس مدار السرطان يزداد النيل ، فيرتفع عشرين ذراعاً عما كان مستقراً عليه في الشتاء . وهكذا يتزايد يوماً بعد يوم . وقد أعدوا له ، في مصر ، مقاييس وعلامات ورتبوا عاملاً وظيفته ألف دينار المحافظة عليها وتسجيل الزيادة . وعند أول يوم للفيضان ، يطوف مفادون في المدينة ، مفادين بأن الله تعالى قد زاد النيل كذا أصبعا ، ويذكرون مقدار زيادته كل يوم .

وحين تبلغ الزيادة ذراعاً كاملاً ، تضرب البشائر ويفرح الناس ، حتى تبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً ، وهي الزيادة المعهودة ، يعني أنه كلما قلت الزيادة عن ذلك ، قيل إن النيل ناقص ، فتصدقوا ونذروا النذور وعلامهم الغم . فإذا زاد عن هذا القدر فرحوا وأظهروا العبطة . وما لم يصل الارتفاع إلى ثمانية عشر ذراعاً ، لا يأخذ الساطان الحراج^(١) . ويتفرع من النيل فروع كثيرة تسير في الأطراف ، كما يتفرع منها فرع صغيرة . وعليها تقع الولايات والقرى . وأقيمت بمصر سواق كثيرة يصعب حصرها أو قياسها . وشيدت قرى مصر كلها على المرتفعات والتل ، وذلك حتى لا تغرق ، فإن الماء يغمر البلاد كلها وقت الفيضان ،

(١) ولمصر عادة وسنة لم تزل منذ عهد فراعنتها في استخراج خراجها وجباية أموالها واحتلاب قوايتها ، وذلك لأنه لا يتم استيقاء الحراج من أهلها إلا عند تمام الماء واقتراشه على سائر أراضيها وتطبيقها ويقع إتمامه في شهر توت .

وبطوبى يطالب الناس بافتتاح الحراج ومحاسبة المنقبين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود ، وبأمشير يؤخذ الناس فيه بإتمام ربع الحراج من السجلات . وببهمات يطالب الناس فيه بالربع الثاني والثمن من الحراج . وببرمودة تقع المساحة على أهل الأعمال ، وبطالب الناس بإغلاق نصف الحراج عن سجلاتهم ويحصد بدرى الزرع . وببشنس تقرر المساحة وبطالب الناس بما يضاف إلى المساحة من أبواب وجوه المال كالصرف والجهنزة وحق المراعى والقرط والسكتان على رسوم كل ناحية ويستخرج فيه لإتمام الربع . وبأبيب يستم فيه ثلثة أرباع الحراج وهو أصل زيادة ماء النيل . وفي مسرى ينلق الحراج وفيه جمهور زيادة النيل . صورة الأرض لابن حوقل ١٣٦ — ١٣٧ .

وقال المفريزى (ج ١ ص ٩٧ — ٩٨) ومن أحسن السياسات في أمر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق في سيرة المعز لدين الله قال وفي هذا الشهر يعنى شوال سنة ٣٦٢ (٩٧٢) منع المعز لدين الله النداء بزيادة النيل وإن لا يكتب بذلك إلا إليه وإلى القائله جوهر فلما تم أيام النداء يعنى لما تم ست عشرة ذراعاً وكسر الخليج . فتأمل ما أبدع هذه السياسة فإن الناس دائماً إذا توقف النيل في أيام زيادته أو زاد قليلاً يقلقون ويحدثون أنفسهم بمدم طلوع النيل فيقبضون أيديهم على الغلال ويتنعمون من بيعها رجاء ارتفاع السعر ويجهد من عنده مال في خزن الغلة إما لطالب السعر أو لطالب ادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء فإن زاد الماء انحل السعر وإلا كان الجذب والفقط ، ففى كتابان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة .

وحينئذ يسيرون من قرية لأخرى بالزوارق^(١). وقد أنشأوا على الشاطىء ، من أول الولاية لآخرها ، جسراً من الطين ، يسير عليه الناس . وتصرف خزينة السلطان ، كل سنة ، للعامل المعتمد ، عشرة آلاف دينار مغربي ، لتجديد عمارته . ويجهز أهل هذه الولاية حاجاتهم الضرورية كلها لهذه الأشهر الأربعة التي تكون بلادهم أثناءها مغمورة بالماء ، ويخبز كل شخص في الريف ما يكفيه من الخبز هذه المدة ويقده حتى لا يتعفن . ونظام الفيضان هو الآتي :

يتزايد الماء أربعين يوماً من بدء الفيضان ، إلى أن يبلغ ثمانية عشر ذراعاً ، ويبقى على هذا أربعين يوماً ، لا يزيد ولا ينقص . ثم يتدرج نحو النقصان مدة أربعين يوماً أخرى حتى يصل إلى الحد الذي كان عليه في الشتاء . وحينما يبدأ الماء في التناقص يتبعه الزراع ، فكلما جفت بقعة زرعوها الزرع الذي يريدون ، وعلى هذا النحو زرعههم الصيفي والشتوي^(٢) . فلا يتطلب ماء آخر قط .

تقع مصر بين النيل والبحر ، والنيل يأتي من الجنوب ، ويتجه شمالاً ، ويصب في البحر . والمسافة من مصر إلى الإسكندرية ثلاثون فرسخاً .

وتقع الإسكندرية على شاطىء بحر الروم وشاطىء النيل . وتصدر منها بالسفن فاكهة كثيرة لمصر . وفي الإسكندرية منارة ، كانت قائمة وأنا هناك . وقد كان فوقها امرأة محرقة ، فكلما جاءت سفينة رومية من القسطنطينية ، أصابها نار من هذه الحارقة فأحرقتها . وقد بذل الروم كثيراً من الجهد والحيلة فبعثوا شخصاً فكسر المرأة^(٣) . وفي عهد الحاكم ،

(١) وأكثر ما يصل أهل مصر بعضهم إلى بعض عند زيادة النيل في المراكب لأن الماء يحجب بإحاطته أكثر مدنها وضياعها ويستولى عليها في جميع أراضيها ، فطرقات بعضهم إلى بعض في الماء بالمراكب أو من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها إذا عملت كما ينبغي ربع الخراج .

صورة الأرض ص ١٣٧ وانظر المقرئ ج ١ ص ٩٨ .

(٢) يقول المقرئ ج ١ ص ٩٨ « فإذا تكامل رى ناحية من النواحي قطع أهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد ومشايخها في أوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما تشهد به قوانين كل ناحية من النواحي فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء الخنص ولولا إنقاذ ما هناك من الجسور وحفر الترع والخلاج لقل الانتفاع بماء النيل . . . وقد حكى أنه كان يرصد اعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة ثلث الخراج » .

(٣) كثرت الأقوال في منارة الإسكندرية ، وقد عدد المقرئ ج ١ ص ٢٥١ وما بعدها كثيراً من الروايات الخاصة بها ، ويقال إنها قديمة جداً ، كانت مشيدة قبل الإسكندر ، وكان عليها =

سلطان مصر ، جاءه شخص وعرض عليه أن يعيدها كما كانت ، فقال الحاكم لا حاجة إلى ذلك ، فإن الروم يرسلون إلينا الآن الذهب والمال كل سنة ، وهم راضون بأن يذهب جيشنا إليهم . ونحن معهم في سلام تام . وماء الشرب في الإسكندرية من المطر ، وصحراؤها مملوءة بهذه الأعمدة المبعثرة التي قدمت وصفها^(١) .

ويمتد بحر الإسكندرية حتى القيروان ، التي يفصلها عن مصر مسافة مائة وخمسين فرسخاً . والقيروان ولاية ، مدينتها الكبرى سجلماسة ، التي تقع على بعد أربعة فراسخ من البحر وهي مدينة كبيرة في الصحراء وبها حصن محكم . وبجانبها للمهدية التي بناها المهدي ، أحد أبناء أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ، بعد استيلائه على المغرب والأندلس ، وهي في هذه الأيام تابعة لسلطان مصر . ويسقط البرد في القيروان ، لسكنه لا يمكن على أرضها . ويتجه البحر شمالاً ويسير ناحية اليمن إلى الأندلس .

== امرأة من أخلاط شتى قطرها خمسة أشبار . . فكانوا إذا قصدوا قاصد من الأمم التي حولهم عملوا لتلك المرأة عملاً فألقت شمعاً على سفن المسدود فأحرقتها . ولما جاء الإسكندر ، وكانت المنارة قد خربت ، أعادها ووضع فوقها امرأة ليرى منها من يقصده من أعدائه ، وكانت من زجاج مدبر . وكانت مشقة بحيث تشاهد منها مراكب البحر على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها . ويروي القزويني ، مؤيداً رواية ناصر ، يقول إن ملك الروم أيام الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ / ٨٦ - ٧١٥ / ٩٦) أخذ خادماً من خواس خدمه ذا رأي ودعاء ، جاء مستأجراً إلى بعض الثغور . . . فجاء إلى الوليد فأخبره أنه من خواس الملك وأنه أراد قتله لوجوده ، وأنه رغب في الإسلام فأسلم على يد الوليد وتقرّب من قلبه وتصح إليه في دفائن استخراجها له من بلاد دمشق وغيرها . . . بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن ، فلما سارت إلى الوليد تلك الأموال والجواهر شرهت نفسه واستحك طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين إن ها هنا أموالاً وجواهر ودفائن الملوك ، سأله الوليد عن الخبر فقال : تحت منارة الإسكندرية أموال ملوك الأرض . وذلك أن الإسكندر احتوى على الأموال التي كانت لشداد بن عاد وملوك مصر فبنى لها أزجاً تحت الأرض ، وقنطر لها الأقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر من العيون والورق والجواهر ، وبنى فوق ذلك هذه المنارة — وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرأة في علوه والبدابة جالوس حولها فإذا نظروا إلى العدو في البحر في ضوء تلك المرأة صوتوا لمن قرب منهم وانصروا أعلاماً فيراها من بعد منهم فيحترز الناس وتندّر البلد ، فلا يكون للعدو عليهم سبيل — قبعت الوليد مع الخادم بجيش من ثقافته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزيلت المرأة ، فضج الناس من هذا وعلّموا أنها مكيدة . . . فلما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سيئ إلى الوليد وأنه قد بلغ ما يحتاج إليه حرب .

(١) يقول عبداللطيف البغدادي في رحلته بمصر (ص ٤١ طبع المحلّة الجديدة) : ورأيت بالإسكندرية عمود السواري . ثم أتت رأيت يشاطر البحر ، مما يلي سور المدينة ، أكثر من أربعين عموداً مكسرة أنصافاً وأمثالاً ، حجرها من جنس حجر عمود السواري ، ويظن البغدادي أن هذه الأعمدة كانت تسند سقفاً كان من تحته الرواق الذي كانت تلقى فيه دروس الفلاسفة كما كانت فيه خزنة السكتب التي يقال إن عمرو بن العاص أحرقها (ص ٤٢) .

وبين الأندلس ومصر ألف فرسخ . وسكانها جميعاً مسلمون . وهي ولاية كبيرة جبلية ينزل فيها البرد ويتجمد ، سكانها بيض وشعرهم أحمر وأكثرهم كالعقابلة عيونهم كعيون الفسط . وتقع الأندلس في نهاية بحر الروم ، فالبحر شرقي بالنسبة لأهلها . وإذا ذهب (السائر) من الأندلس ، شمالاً جهة اليمن ، متقبلاً الشاطئ ، فإنه يبلغ بلاد الروم . وأكثر ما يغزون الروم من الأندلس .

ومن الممكن أن يركب المسافر البحر إلى القسطنطينية إذا أراد ، ولكن لا بد من اجتياز خلجان كثيرة ، عرض كل منها مائتا فرسخ أو ثمانمائة فرسخ ، لا تجتازها إلا سفن خاصة .

وقد سمعت من ثقة أن محيط هذا البحر أربعة آلاف فرسخ ، وأن فرعاً منه يدخل بلاد الظلمات ، كما يقال ، وأن نهاية هذا الفرع متجمدة دائماً لأن الشمس لا تبلغه . ومن جزائر هذا البحر صقلية ، وتبلغها السفينة من مصر في عشرين يوماً . وهناك جزر كثيرة غيرها . ويقال إن صقلية ثمانون فرسخاً في ثمانين . وهي ملك سلطان مصر . وتغادرها ، كل سنة ، سفينة تحمل المال إلى مصر . ويجلبون منها كتاناً رقيقاً وثياباً منقوشة ، يساوي الثوب منها ، في مصر ، عشرة دنانير مغربية .

وإذا سار السائر من مصر شرقاً يبلغ بحر القلزم . والقلزم مدينة على شاطئ البحر بينها وبين مصر ثلاثون فرسخاً . وهذا البحر فرع من المحيط ، يتفرع عند عدن ويتجه نحو الشمال ، فإذا بلغ القلزم انقطع ، ويقال إن عرضه مائتا فرسخ . ويفصله عن مصر جبال وسحراء لا ماء فيها ولا نبات .

ومن يريد الذهاب إلى مكة ، من مصر ، يلزمه الاتجاه نحو الشرق ، فإذا بلغ القلزم وجد طريقين ، أحدهما برى والآخر بحرى . وهو يبلغ مكة عن الطريق الأول في خمسة عشر يوماً ، في صحراء طولها ثلاثمائة فرسخ ، وتذهب عن هذا الطريق معظم التوائف الآتية من مصر . فإذا سار عن طريق البحر يبلغ الجار في عشرين يوماً ، وهي مدينة صغيرة من الحجاز تقع على شاطئ البحر . ومنها إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام . ومن المدينة إلى مكة مائة فرسخ .

فإذا جاوز الجار ، وواصل السير في البحر ، بلغ ساحل اليمن ، ومن هناك إلى ساحل عدن . فإذا جاوزه انتهى إلى الهند وهكذا حتى الصين . وإذا سار من عدن إلى الجنوب ، مائلاً نحو الغرب فإنه يذهب إلى زنجبار والحبشة وسأشرح ذلك في مكانه^(١) .

وإذا سار من مصر إلى الجنوب ، وجاوز ولاية النوبة ، بلغ ولاية المصامدة ، وهي أرض ذات مراعي واسعة وفيها دواب كثيرة ، وسكانها سود ، كبار العظام ، غلاظ ، أقوياء البنية . ويكثر الجند منهم في مصر . وهم قباح الصورة ، ضخام الجثة ، يسمون المصامدة ، يحاربون راجلين بالسيف والحرية ، ولا يستطيعون استعمال غيرها من الآلات .

وصف مدينة القاهرة :

أول مدينة يصل إليها المسافر من الشام إلى مصر هي القاهرة . وتقع مدينة مصر جنوبها . وتسمى القاهرة « المعزية » ، ويقال للمعسكر « القسطنطين » . يروى أن أحد أبناء أمير المؤمنين الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو المعز لدين الله استولى على بلاد المغرب حتى الأندلس ، ثم سير جيشاً نحو مصر . وكان لا بد لهذا الجيش أن يعبر النيل ، وهذا أمر غير مستطاع ، أولاً لأن النيل عظيم الاتساع ، وثانياً لأنه مملوء بالتماسيح التي تجذب إلى قاعه في الحال كل من يعبر . ويقال إنه في الطريق قرب مدينة مصر طاسم يحمي الإنسان والدواب من هذا الشر . ولما كان أثره يبطل على مسافة رمية سهم من المدينة فلا يجرؤ أحد أن يقترب من النيل^(٢) . قيل إن المعز أرسل جيشه ، فنزل حيث القاهرة اليوم . وقد أمر جنوده قائلاً « حين تصلون إلى النيل ينزل الماء أمامكم كلب أسود فيعبر النهر ، فاتبعوه واعبروا آمنين^(٣) » . قيل وقد بلغ هذا المسكان ثلاثون ألف

(١) هذه الجملة معناها أن الكتاب الذي بأيدينا مختصر عن نس أطول ، لأنه لم يرد فيه وصف لزنجبار أو الحبشة . أو أن المؤلف أراد أن يكتب عنها ثم لم يكتب .

(٢) وفي نيل مصر مواضع لا يضر فيها التمساح كعدوة بوضير والقسطنطين . سورة الأرض لأبي القاسم ابن حوقل النصيبي . ليدن ١٩٣٨ . ص ١٦٠ .

(٣) يذكر التفريردي في كتابه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » (ج ٤ ص ٣٠ . طبع دار السكتب المصرية) أن جوهرأ أخذ محاضرة منيصة شلفان (شرقي القناطر الخيرية مركز قليوب) ، فوصل إليه طائفة من العسكر في مراك فقال جوهر للأمر جعفر بن فلاح (من قواد المعز المشهورين ، ظل والياً على دمشق إلى سنة ٣٦ إذ قتله الحسن بن أحمد القرمطي ، المعروف بالأعصم - راجع في

فارس ، كلهم خدم المعز . وقد انطلق السكاب سابحا أمامهم ، وساروا على أثره ، وعبروا من غير حادث . ولم يقل أحد قط أن فارسا عبر نهر النيل راكباً . وكانت هذه الحادثة سنة ثلاث وستين وثلثمائة (٩٧٣) . وقد حضر السلطان إلى مصر عن طريق البحر ، فأفرغت السفن التي حضر بها ، قرب القاهرة ، وأخرجت من الماء ، وتركت كأنها أشياء لا غناء فيها . وقد رأى راوى هذه القصة (ناصر خسرو) تلك السفن وهي سبع ، طول الواحدة مائة وخمسون ذراعاً وعرضها سبعون . وقد مضى عليها هناك ثمانون سنة . وكان ذلك سنة إحدى وأربعين وأربعمائة (١٠٤٦) . حين بلغ الراوى هذا المكان .

وحين دخل المعز لدين الله مصر ، تقدم له بالطاعة قائد الجيش ، الذى ولاء خليفة بغداد . ونزل المعز بالجيش فى هذا الموضع الذى هو القاهرة اليوم . وقد سمى المعسكر بالقاهرة ، لأن ذلك الجيش كان قاهراً^(١) . وقد أمر المعز بأن لا يتجول أحد من جيشه فى المدينة أو يدخل بيت أحد . ثم أمر أن تبنى مصر فى هذه الصحراء وأن يشيد كل من أفراد حاشيته بيتاً ، وهكذا بنيت المدينة التى قل نظيرها^(٢) .

== ترجمته تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ١٥٨ طبع بولاق — : « لهذا اليوم أراذك المعز لدين الله ، فعبر عرباناً فى سراويل وهو فى موكب ومعه الرجال خوضاً ، والتقى مع المصريين ، ووقع القتال بينهم ، وثبت كل من الفريقين ، وقتل كثير من الإخشيدية وانهمزم الباقون بعد قتال شديد .

(١) اختلفت الروايات فى سبب هذه التسمية ، وقد ذكر الثغر بردى فى النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٤١) بعض هذه الروايات . والرواية التى يرجحها هى ما قيل من أن جوهرًا حين دخل مصر بعسكر عظيم ، وملكها ، وجدها لا تنسج للجند والناس ، فاختط سور القاهرة وبنى بها القصور ، وسمّاها المنصورية ، وذلك فى سنة ٩٦٨/٣٥٨ . فلما قدم المعز العبيدى من الفيوان (٩٧٢/٣٦٢) غير اسمها وسمّاها القاهرة . قال والسبب فى ذلك أن جوهرًا لما قصد إقامة السور وبناء القاهرة جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الأساس ، وطالما لم يجرى حجارته ، فحملوا بدائر السور قوائم من خشب ، وبين القائمة والقائمة جبل فيه أجراس ، وأتهموا البنائين ساعة تحريك الأجراس أن يرموا ما فى أيديهم من المون والحجارة ، ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع ، فانفق وقوف غراب على خشبة من تلك الخشب ، فتمركت الأجراس ، وطن الموكلون بالبناء أن المنجمين حرّكوها ، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة فى الأساس ، فصاح المنجمون : لا ، لا . القاهر فى الطالع ! ... وكان غرض جدهم أن يختاروا للبناء طالعا لا يخرج البلد عن نسلهم أبداً ، فوقع أن المرنج كان فى الطالع ، وهو يسمى عند المنجمين القاهر .. فلما قدم المعز إليها وأخبر بهذه القصة ، وكان له خبرة بالنجامة ، وافقهم على ذلك ؛ فعبر اسمها وسمّاها القاهرة .

وقبل أيضاً لأن سبب هذه التسمية وجود قبة فى قصر بالمدينة تسمى القاهرة ، سميت بها .

وقد رجح الثغر بردى إلى كتابى الميرزى : انماظ الحنقا والحطط .

(٢) ولما نزل جوهر القائد اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها ، فزويلة بنت البابين المعروفين بباني ==

وقدرت أن في القاهرة ما لا يقل عن عشرين ألف دكان ، كلها ملك للسلطان ، وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير مغربية في الشهر ، وليس بينها ما تقل أجرته عن دينارين . والأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كثيرة لا يحدها الحصر ، وكلها ملك السلطان ، إذ ليس لأحد أن يملك عقاراً أو بيتاً غير المنازل وما يكون قد بناه الفرد لنفسه ، وسمعت أن للسلطان ثمانية ألف بيت في القاهرة ومصر ، وأنه يؤجرها ويحصل أجرتها كل شهر ، يؤجرونها للناس برغبتهم ثم يتقاضون الأجر فلا يجبر شخص على شيء .

ويقع قصر السلطان في وسط القاهرة ، وهو طلق من جميع الجهات ، ولا يتصل به أى بناء . وقد مسح المهندسون فوجدوه مساوياً لمدينة ميفارقين^(١) ، وكل ما حوله فضاء ، ويحرسه كل ليلة ألف رجل ، خمسمائة راجل وخمسمائة فارس . وهم ينفخون البوق ويدقون الطبل والكوس من وقت صلاة المغرب ويدورن حول القصر حتى الصباح . ويبدو هذا القصر ، من خارج المدينة ، كأنه جبل ، لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة . وهو لا يرى من داخل المدينة ، لارتفاع أسواره . وقيل إن به إثني عشر ألف خادم مأجور ، ومن يعرف عدد من فيه من النساء والجواري ؟ إلا أنه يقال إن به ثلاثين ألف آدمي^(٢) . وهذا القصر يتكون من إثني عشر بناء . وله عشرة أبواب فوق الأرض . فضلاً عن أبواب أخرى تحتها ، وأسماء أبوابها الظاهرة هي : باب الذهب ، باب البحر ، باب السريح ، باب الزهومة ، باب السلام ، باب الزبرجد ، باب العيد ، باب الفتوح ،

== زويلة ، وما الببان اللذان عند مسجد ابن البناء وعند الحجارين ، وما بابا القاهرة ، وهكذا . . .
النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٧

(١) قصر السلطان يطلق على مجموعة من القصور منها القصر الصغير الغربي ، والقصر اليافعي ، وقصر الذهب ، وقصر الأقبال ، وقصر الظفر ، وقصر الشجرة ، وقصر الشوك ، وقصر الزمرد ، وقصر الحرير ، وقصر البحر (المحول) ، وهي كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير الشرقي ، ويقال لها القصور الزاهرة . كان هذا القصر في الجهة الشرقية من القاهرة ، وقد أمر ببنائه المنز لدين الله (٣٤١ - ٩٥٢/٣٦٥ - ٩٧٥) ونفذ الأمر قائده جوهر الصقلي ، ولذا فإنه يسمى القصر المعزى ، وكان ابتداء بنائه مع وضع أساس سور القاهرة سنة ٩٦٨/٣٥٨ وفي سنة ٩٦٩/٣٥٩ ركب عليه بابين وفي سنة ٩٧٠/٣٦٠ أدار عليه سوراً محيطاً به . وهذا القصر كان دار الخلافة وبه سكن الخلفاء الفاطميون إلى آخر أيامهم (المقرئ ج ٢ ص ٢١٤) .

(٢) عند ما استولى صلاح الدين الأيوبي على هذا القصر ، أخرج من كانوا فيه ، فبلغ عددهم اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم نخل إلا الخليفة وأهله وأولاده ، (المقرئ ج ٢ ص ٢١٥) .

باب الزلاقة ، باب السرية^(١) ، وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكباً ، وهذا الباب على سرداب يؤدي إلى قصر آخر خارج المدينة . ولهذا السرداب الذي يصل بين القصرين سقف محكم ، وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة ، تقول إنها قُدت من صخر واحد . ويتألف القصر من المناظر والإيوانات العالية . وفي داخله دهليز به ذلك .

وأركان الدولة ، والخدم ، من العبيد السود أو الروم . والوزير رجل يمتاز عن الجميع بالزهد والورع والأمانة والصدق والعقل .

ولم يكن شرب الخمر مباحاً ، أعنى أيام الحاكم الذي حرم على النساء الخروج من بيوتهن . وما كان أحد يجفف العنب في بيته لجواز غسل السيكي (نوع من الشراب) منه . ولم يكن أحدهم يجزؤ على شرب الخمر ، ولا كانوا يشربون الفقاع ، فقد قيل إنه مسكر ، فهو محرم .

وللقاهرة خمسة أبواب : باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب القنطرة ، وباب الزويلة ، وباب الخليج ، وليس المدينة قلعة ، ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعاً من القاهرة ، وكل قصر حصن . ومعظم العمارات تتألف من خمس أو ست طبقات .

ويجلب ماء الشرب من النيل ، ينقله السقاءون على الجمال . والآبار القريبة من النيل عذب ماؤها ، وأما البعيدة عنه فمائها ملح . ويقال إن في القاهرة ومصر اثنين وخمسين ألف جمل يحمل عليها السقاءون الروايا ، وهؤلاء عدا من يحمل الماء على ظهوره في الجرار النحاسية أو القرب ، وذلك في الحارات الضيقة التي لا تسير فيها الجمال .

(١) ذكر المقرئى والتغريدى بعض هذه الأسماء ، مع اختلاف ، وقد صحح ناشر التغريدى (ج ٤ ص ٣٦ ملحوظة ٤) باب السرية بباب التربة ، وقال إنه يعرف بباب تربة الزعفران كما جاء في خطط المقرئى ، وعندى أن تسمية ناصر ، لسكونه أقدم ، أقرب إلى الصحة . وأما باب السريج فليس مذكورياً في الكتابين المذكورين ، وذكر ناشر النجوم الزاهرة في ملحوظاته (ص ٤٦ ج ٤) أن الباب التاسع للقصر يسمى باب الريج الذي كان يقع مكان البناء رقم ٢٥ من شارع التبكشية بجوار جامع جمال الدين (الجامع المعلق) قرب الصاغة ، وأرجح أن تكون كلمة السريج تحريفاً لكلمة الريج ، فهو باب الريج لا السريج .

وقد ذكر التغريدى (ج ٤ ص ٣٥ - ٤٦) أن من أبواب القصر : باب العيد ، باب الزورد ، باب الذهب ، باب الزهومة ، باب قصر الشوك .

وفي المدينة بساتين وأشجار بين القصور آسقى من ماء الآبار . وفي قصر الساطان
بساتين لا نظير لها ، وقد نصبت السواقى لريها . وغرست الأشجار فوق الأسطح
فصارت متنزهات .

وحين كنت هناك أجز منزل مساحته عشرون ذراعاً في إثني عشر ذراعاً بخمسة عشر
ديفاراً مغربياً في الشهر . والمنزل الذي أقت فيه ، كان أربعة أدوار ، ثلاثة منها
مسكونة ، والرابع خال ، وقد عرض على صاحبه خمسة دنانير مغربية كأجرة شهرية ،
فرفض معتذراً بأنه يلزمه أن يقيم به أحياناً ، ولو أنه لم يحضر مرتين في السنة التي
أقتها هناك .

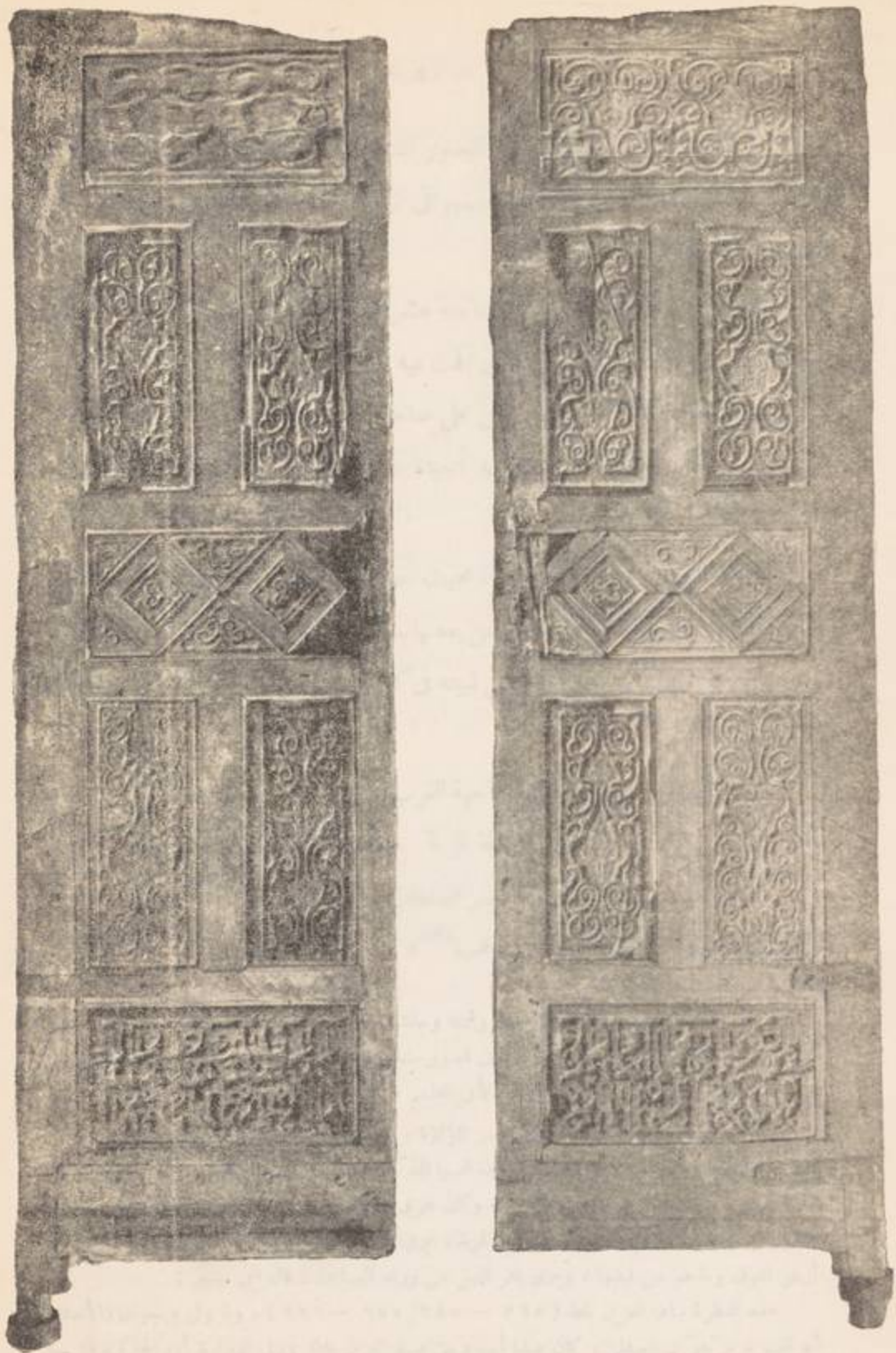
وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من
الخص والآجر والحجارة . وهي بعيدة عن بعضها ، فلا تنمو أشجار بيت على سور بيت آخر
ويستطيع كل مالك أن يعمل ما ينبغى لبيته في كل وقت ، من هدم أو إصلاح ، دون أن
يضايق جاره^(١)

ويرى السائر ، خارج المدينة ، ناحية الغرب ، ترعة كبيرة تسمى «الخليج» حفرها
والد السلطان . وله على شاطئها ثلاثمائة قرية . وبتدئ «فم الخليج» من مدينة مصر
ويمر بالقاهرة ويدور بها ماراً أمام قصر السلطان . وقد شيد على رأسه قصران ، أولهما
«قصر اللؤلؤة» ، وثانيهما «قصر الجوهرة»^(٢) .

(١) والقاهرة استحدثها جوهر لحيته وشمله وحاشيته وقد ضمت من المحال والأسواق وجوت من
أسباب الفنية والارتفاع بالحمامات والقنادق إلى قصور مشيدة ونعم عتيبة وقد أحرق بها سور رفيع يزيد
على ثلاثة أضعاف ما بنى بها . صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل التصبي . ليدن ١٩٣٨ ص ١٤٧

(٢) منظرة اللؤلؤة وتعرف أيضاً بقصر اللؤلؤة ، تقع قرب باب القنطرة وكان قصراً من أحسن
القصور وأعظمها زخرفة ، وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة ، فإنه كان يشرف من شرقه على البستان
السكافوري ، ويطل من غربيه على الخليج ، وكان غربي الخليج إذ ذاك ليس فيه من المباني شيء ، وإنما
كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة ، فيرى الجالس في قصر اللؤلؤة جميع أرض الطبالة وسائر
أرض اللوق وما هو من قريبا ، ويرى بحر النيل من وراء البساتين . قال ابن ميسر :

هذه المنظرة بناها العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٥ / ٩٧٥ - ٩٩٦) ، ولما ولي برجوان (الأستاذ
أبو الفتوح برجوان الصقلي ، كان عبداً أسود من عبيد العزيز بالله وولى الوزارة أيام الحاكم وظل بها
إلى أن قتل سنة ٣٩٠ / ٩٩٩) وزارة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ / ٩٩٦ - ١٠٢٠) سكن =



باب جامع الحاكم — مكتوب عليه :
 مولانا أمير المؤمنين الامام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه
 وعندما أصلح هذا الباب ركب خطأ نجاة ضافته اليمنى مكان اليسرى ، (كاشيه دار الآثار العربية) .

وفي القاهرة أربعة جوامع (مساجد جمعة)، الأزهر وجامع النور وجامع الحاكم وجامع المعز . والأخير خارج القاهرة على شاطئ النيل .
ويتوجه المصريون نحو مطلع الحمل حين يولون وجوههم شطر القبلة .
وبين مدينتي مصر والقاهرة أقل من ميل ، والأولى في الجنوب والثانية في الشمال . ويمر النيل بهما ، وبساتينهما وبيوتهما متصلة وتغمر المياه الوادي بأجمعه في الصيف كأنه بحر ، عدا حديقة السلطان لأنها على مرتفع .

وصف فنح الخليج :

حين يبلغ النيل الوفاء ، أي من العاشر شهر يور (أغسطس وسبتمبر) إلى العشرين من آبان (أكتوبر ونوفمبر) ، ويبلغ ارتفاع الماء عشرين ذراعا عن مستواه في الشتاء ، وتكون أفواه الترغ والجداول مسدودة في البلاد كلها ، يحضر السلطان راكبا ليفتح هذا النهر الذي يسمى «الخليج» ، والذي يبدأ قبل مدينة مصر ثم يمر بالقاهرة .

== بمنظرة اللؤلؤة إلى أن قتل ، وفي سنة ٤٠٢ / ١٠١١ أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها وبيع ما فيها . وفي أيام الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧ / ١٠٢٠ - ١٠٣٦) أعيد بناء اللؤلؤة ، وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل . وقد أقام بهذا القصر نجم الدين والد صلاح الدين بعد وفاة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين (٥٥٥ - ٥٦٧ / ١١٦٠ - ١١٧١) ، وقد اجتمع بهذا القصر في ذلك الوقت ، الشاعران الفقيه نجم الدين عمارة الجي وأبو سالم يحيى بن حصيبة فأشيد الأخير نجم الدين قائلا :

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفا	منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد جعل الله هذى الدار تسكنها	وقد أعيد لك الجنات والغرفا
تصرفت بك عن كان يسكنها	فلبس بها العز وتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدفا والدار لؤلؤة	وأنت لؤلؤة صارت لها صدفا

فغضب الفقيه نجم الدين مما في هذا الشعر من عدم الوفاء وقال :

أمت يا من هجا السادات والخلفا	وقلت ما قلت في ثلبهم سخفا
جعلتهم صدفا حلوا بلؤلؤة	والعرف ما زال سكنى اللؤلؤة الصدفا
وإنما هي دار حل جوهرم	فيها وشف فأستأناها الذي وصفا
فقال لؤلؤة عجبا بهيجتها	وكونها حوت الأشراف والشرفا
فهم بسكنانم الآيات إذ سكنوا	فيها ومن قبلهم قد أسكنوا الصخفا
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه	من البرية إلا كل من عرفه

وقد قتل هذا الشاعر الوفي بعد ذلك ، لأنه أبى أن يغير عقيدته عندما تغيرت الدول . (المفرزي

طبع الميحيى ج ٢ ، ص ٣٤٨ والنجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٤٦) .

وهو ملك خاص للسلطان . وفي ذلك اليوم (يوم ركوب السلطان لفتح الخليج) تفتح الحاجان والترع الأخرى في الولايات كلها .

وهذا اليوم من أعظم الأعياد في مصر ، ويسمى « عيد ركوب فتح الخليج » .

حينما يقترب هذا الموسم ، يُنصب للسلطان على رأس الخليج سرادق عظيم التكالب من الديباج الرومي ، وموشى كله بالذهب ، ومكالم بالجواهر ، ومعد أعظم إعداد ؛ وهو من الكبر بحيث يتسع ظله لمائة فارس . وأمام هذا السرادق خيمة من البوقلمون وسرادق آخر كبير .

وقبل الاحتفال بثلاثة أيام يدقون الطبل وينفخون البوق ويضربون الكوس في الاصطبل ، لتألف الخيل هذه الأصوات .

ويسير في ركاب السلطان عشرة آلاف فارس ، على خيولهم سروج مذهبة ، وأطواق وألجة مرصعة ، وجميع لبد السروج من الديباج الرومي والبوقلمون ، نسجت لهذا الغرض خاصة ، فلم تفصل ولم تُخط ، وطرزت حواشيها باسم سلطان مصر ، وعلى كل حصان درع أو جوشن . وعلى قمة السرج خوذة وجميع أنواع الأسلحة الأخرى . وكذلك تسير جمال كثيرة عليها هودج مزينة ، وبغال عمارياتها (هودجها) كلها مرصعة بالذهب والجواهر ، وموشاة باللؤلؤ ، وإن الكلام ليطول إذا ذكرت كل ما يكون في يوم فتح الخليج .

في ذلك اليوم ، يخرج جيش السلطان كله ، فرقة فرقة ، وفوجا فوجا ، ولكل جماعة اسم وكنية .

فرقة تسمى « الكتامين » . وهم من القيروان ، أتوا في خدمة العزيز بالله . وقيل إنهم عشرون ألف فارس .

وفرقة تسمى « الباطليين » . وهم رجال من المغرب ، دخلوا مصر قبل مجيء السلطان إليها . وقيل إنهم خمسة عشر ألف فارس .

وفرقة تسمى « المصامدة » . وهم سود من بلاد المصامدة ، قيل إنهم عشرون ألف رجل . وفرقة تسمى « المشاركة » . وهم ترك وعجم . وسبب هذه التسمية أن أصلهم ليس عربياً ،

ولو أن معظمهم ولد في مصر ، وقد اشتق اسمهم من الأصل ، قيل إنهم عشرة آلاف رجل ، وهم ضخام الجثة .

وفرقه تسمى « عبيد الشراء » . وهم عبيد مشترون ، قيل إنهم ثلاثون ألف رجل .
وفرقه تسمى « البدو » . وهم من أهل الحجاز ، وكلهم يجيدون حرب الرماح ، قيل إنهم خمسون ألف فارس .

وفرقه تسمى « الأستازين » . كلهم خدم بيض وسود ، اشتروا للخدمة ، وهم ثلاثون ألف فارس .

وفرقه تسمى « السرائيين » . وهم مشاة جاءوا من كل ولاية ، ولهم قائد خاص ، يتولى رعايتهم ، وكل منهم يستعمل سلاح ولايته ، وعدددهم عشرة آلاف رجل .

وفرقه تسمى « الزوج » يحاربون بالسيف وحده . قيل إنهم ثلاثون ألف رجل .

ونفقة هذا الجيش كله من مال السلطان ، ولكل جندي منه مرتب شهري على قدر درجته ، ولا يجبر على دفع دينار منها أحد الرعايا أو العمال . ولكن هؤلاء يسلمون للخزانة أموال ولايتهم سنة فسنة ، وتصرف أرزاق الجنود من الخزانة في وقت معين ، بحيث لا يرهق وال أو واحد من الرعية بمطالبة الجنود^(١) .

وهناك فرقة من أبناء الملوك والأمراء الذين جاءوا لمصر من أطراف العالم ، ولا يعدون من الجيش . ومن بين هؤلاء أولاد خسرو دهلي ، وقد أتت أمهم معهم ، وأولاد ملوك الكرج (جورجيا) ، وأبناء ملوك الديلم ، وأبناء خاقان تركستان^(٢) .

وكذلك وجد في يوم فتح الخليج طبقات أخرى من الرجال من ذوى الفضل والأدباء والشعراء والفقهاء ولكل منهم أرزاق معينة . ولا يقل رزق الواحد من أبناء الأمراء عن

(١) يقول القلقشندي في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤٧٨) في كلامه عن طوائف الأجناد : « وكانوا عدة كثيرة ، تنسب كل طائفة منهم إلى من بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم ، كالحافظية والأميرية من بقايا الحافظ والأمير ، أو إلى من بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجيشية والأفضالية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالي وولده الأفضل ، أو إلى من هي منتسبة إليه في الوقت الحاضر كالوزيرية ، أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والفرز والديلم والمصامدة ، أو من المستصين كالروم والفرنج والصفالية ، أو من السودان من عبيد القراء ، أو العتقاء وغيرهم من الطوائف ، ولكل طائفة منهم قواد ومقدمون يحكمون عليهم » .

(٢) من هذا ندين البعثات التي كانت تفد على مصر لتوسع في معرفة المذهب الفاطمي .

خمسائة دينار وقد يبلغ الألفين ، وليس لهم عمل إلا أن يذهبوا لیسلموا على الوزير حين يركب ثم يعودون .

والآن نعود إلى حديث فتح الخليج .

في اليوم الذي ذهب السلطان في صباحه لفتح الخليج ، استأجروا عشرة آلاف رجل أمسك كل واحد منهم إحدى الجنائب التي ذكرتها ، وساروا مائة مائة ، وأمامهم الموسيقيون ينفخون البوق ويضربون الطبل والمزمار . وسار خلفهم فوج من الجيش . مشى هؤلاء من قصر السلطان حتى رأس الخليج ، ثم رجعوا . وقد أعطى كل أجير قاذ جنيبة ثلاثة دراهم . وبعد الخيول ، أتت الجمال وعليها اليهود والمرائد ، ومن بعدها البغال وعليها العاريات .

وقد ابتعد السلطان عن الجيش والجنائب ، وهو شاب كامل الجسم ، طاهر الصورة من أبناء أمير المؤمنين حسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما . كان حليق شعر الرأس ، يركب على بغل ليس في سرجه أو لجامه حلية ، فليس عليه ذهب أو فضة . وقد ارتدى قميصاً أبيض ، عليه « فوطة » فضفاضة ، كالتي تلبس في بلاد المغرب^(١) ، والتي تسمى في بلاد العجم « دراعة » ، وقيل إن اسم هذا القميص « الديبقي^(٢) » ، وإنه يساوي عشرة آلاف دينار . وكان على رأسه عمامة من لونه ، ويمسك بيده سوطاً ثميناً . وأمامه ثلثمائة راجل ديلي ، عليهم ثياب رومية مذهبة . وقد حزموا خصورهم ، وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر . ومعهم الناشيب والسهم ، وقد عصبوا سيقاتهم .

ويسير مع السلطان حامل المظلة ، راكباً حصاناً ، وعلى رأسه عمامة مذهبة مرصعة ، وعليه حلة قيمتها عشرة آلاف دينار ذهبي مغربي . والمظلة التي بيده ثمينة جدا ، وهي مرصعة ومكحلة . وليس مع السلطان فارس غير حامل المظلة^(٣) . وقد سار أمامه الديالمة ،

(١) يقصد ما يلبس في بلاد المغرب ويسمى الحرام ، والنس الفارسي يقول « العرب » وهو خطأ مطبعي ظاهر .

(٢) لعله يقصد « الديبقي » وهو نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التي كانت تصنع في ديبق ، وهي بلدة بمصر قديمه وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس وموضعها اليوم تل ديبق في الشمال الشرقي لقربة سان الحجر . تعليقات النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٨١ .

(٣) والمظلة التي تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه هي قبة على هيئة خيمة على رأس عمود كالمظلة =

وعلى يمينه ويساره جماعة من الخدم ، يحملون المجامر ويحرقون العنبر والعود
والعادة في مصر أن يسجد الرجال للسلطان وأن يدعوا له كلما قرب منهم .
وجاء بعد السلطان الوزير مع قاضي القضاة وفوج كبير من أهل السلم وأركان
الدولة . وقد ذهب السلطان إلى حيث ضرب الشمراع على رأس سد الخليج أى فم النهر .
وظل ممتطيا البغل تحت السراوق مدة ساعة ، وبعد ذلك سلوه مزارقا ليضرب به السد .
ثم عجل الرجال بهدمه بالمعاول والفؤوس والخراف ، فانساب الماء ، وقد كان مرتفعاً ،
وجرى دفعة واحدة في الخليج .

وفي هذا اليوم يخرج جميع سكان مصر والقاهرة للتفرج على فتح الخليج ، وتجري
فيه أنواع الألعاب العجيبة .

وكان في أول سفينة نزلت الخليج جماعة من الخرس يسمون بالفارسية «كك»
ولال» ، لعلمهم يتفألون بنزولهم . ويجرى السلطان عليهم صدقاته في هذا اليوم
وكان للسلطان إحدى وعشرون سفينة ، وقد عمل لها حوض خاص قرب القصر ،
في اتساع ميدانين أو ثلاثين ، وطول كل سفينة منها خمسون ذراعاً وعرضها عشرون ذراعاً ،
وكلها مزينة بالذهب والفضة والجواهر والديباج ، ولو وصفتها لسطرت أوراقاً كثيرة . وهذه
السفن كلها مربوطة في الحوض ، معظم الوقت ، كالبغال في الاصطبل .

والسلطان حديقة تسمى «حديقة عين شمس» ، على فرسخين من القاهرة . وهناك
عين ماء عذبة تسمى البستان بها . ويقال إن هذه الحديقة كانت لفرعون . وقد رأيت
قربها بقايا قديمة بها أربع قطع من الحجارة الكبيرة ، كل قطعة مثل المنارة ، وطول

التي يركب بها السلطان الآن ، وكانت اثني عشر شوزكا عرض سفلى كل شوزك شبر ، وطوله ثلاثة أذرع
وثلاث ، وآخره من أعلاه دقيق للغاية ، بحيث يجتمع الإثنا عشر شوزكا في رأس عمود بدائرة وعمودها
قنطارية من الزان ملبسة بأنايب الذهب ، وفي آخر أنبوبة ثاني رأس العمود فأسكة بارزة مقدار عرض
لإبهام تشد آخر الشواذك في حلقة من ذهب ، وتنزل رأس الرمح . ولها عندم مكانة جليقة لملوها رأس
الحليقة ، وحاملها من أكبر الأمراء ، وله عندم التقدّم والرفعة ، لمل ما يعلو رأس الحليقة .
صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٩ ، ٤٧٩ ؛ طبعة دار السكتب المسكبة

كل منها ثلاثون ذراعا ، وكان الماء يقطر من رؤوسها ، ولا يدرى أحد ما هي ^(١) ؟ وفي الحديقة شجرة البلسان ^(٢) ، يقال إن آباء هذا السلطان أتوا ببذرتها من بلاد المغرب وزرعوها في الحديقة ولا يوجد غيرها في جميع الآفاق . وهي غير معروفة في بلاد المغرب . ومع أن لهذه الشجرة حبا إلا أنه لا ينبت حينما زرع ، وإذا نبت فلا يخرج الزيت منه ، وهذه الشجرة مثل شجرة الآس ، يشذبون غصونها بالفصل حينما تكبر ، ويربطون زجاجة عند موضع كل قطع فيخرج منه الدهن كالصمغ ، وحين يتفقد ما فيها من دهن تجف . ويحمل البستانيون غصونها إلى المدينة ويبيعونها ، ولحاؤها نخين ، وطعمه كاللوز حين يتقشر . وينبت في جزعها أغصان في السنة التالية فيعملون بها كما فعلوا في السنة الغابرة .

(١) يقول عبد اللطيف البغدادي في رحلته بمصر (٤١ طبع المجلة الجديدة) : وفي عين شمس السلطان المشهورتان وتسميان مسلتي فرعون . ورأيت إحدى المسلتين وقد خرت وانصدت من نصفها لعظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها (فقد كان على رأس كل مسلة قلسوة نحاس إلى ثلاثة أذرع منها كالصمغ) ثم إن حولها من المسال شيئا كثيرا .

(٢) « وبين شمس إلى ناحية القسوطا نبت يزرع كالفصيان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الأرض إلا هناك ويؤكل لحاء هذه الفصيان فيكون له طعم صالح وفيه حرارة وحروقة لتبذرة » . كتاب صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل التنصبي طبع ليدن سنة ١٩٣٨ ص ١٦٠ - ١٦١

وذكر عبد اللطيف البغدادي في كتابه ص ٢٢ إن البلسان من مصر « وإنه لا يوجد اليوم إلا بها ، وبين شمس ، في موضع محاط عليه ، محتفظ به ، مساحته نحو سبعة أقدنة وارتفاع شجرته نحو ذراع وأكثر من ذلك ، وعليها قشران الأعلى أحمر خفيف والأسفل أخضر نخين وإذا مضغ ظهر في الفم منه دهنية ورائحة عطرية وورقه شبيه بورق السنداب ، ويحتمى دهنه عند طلوع الشعري بأن تشدخ السوق بعسد ما تحت عنها جميع ورقها . وشدخها يكون بحجر يتخذ محادا ، ويفتقر شدخها إلى صناعة ، بحيث يقطع القشر الأعلى ويشق الأسفل ، شقا لا يتخذ إلى الحشب ، فإن نفذ إلى الحشب لم يخرج منه شيء ، فإذا شدخه كما وصفنا أمهله ريثما يسيل لثاه على العود فيجمعه بأصبعه مسحا إلى قرن فإذا امتلأ صبه في قناني زجاج ، ولا يزال كذلك حتى ينتهي جناه وينقطع لثاه ، وكلما أكثر الندى في الجو كان لثاه أكثر وأعزر ، وفي الجذب وقلة الندى يكون اللثا أترز . ومقدار ما أخرج منه في سنة ١١٧٣/٥٩٦ وهي عام حجاب نيف وعشرون رطلا . ثم تؤخذ القناني فتدفن إلى القبط ، وحمارة الحر ، وتخرج من الدفن ، وتجعل في الشمس ، ثم تنفقد كل يوم ، فيوجد الدهن وقد طفا فوق رطوبة مائية وأنقال أرضية ، فيقطع الدهن ، ثم يعاد إلى الشمس ، ولا يزال كذلك يشمسها ويقطف دهنها حتى لا يبقى فيها دهن ، فيؤخذ ذلك الدهن ويطبخه قومه في الحنية لا يطعم على طبخه أحدا ثم يرقعه إلى خزانة الملك . . . ورأيت جالينوس يقول إن أجود دهن البلسان ما كان بأرض فلسطين وأضعفه ما كان بمصر . ولا نجد اليوم منه بفلسطين شيئا البتة » .

ومدينة القاهرة عشر محلات وهم يسمون المحلة حارة وهي حارات : برجوان^(١)
وزويلة^(٢) والجودرية^(٣) والأمراء^(٤) والديلمة^(٥) والروم^(٦) والباطنية^(٧) وقصر الشوق^(٨)
وعبيد الشرا^(٩) والمصاعدة^(١٠).

- (١) تنسب إلى الخادم بئر جوان ، من خدم القصر أيام العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦ / ٩٧٥ = ٩٩٦) وكان لبرجوان هذا شأن في أيام الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ / ٩٦٦ - ١٠٢٠) ولقب بالواسطة وعمدبر الدولة . وكان يتولى أمور مصر والشام والحجاز والمغرب . وأمر الحاكم أبا الفضل ريدان بأن يقتله فقتله سنة ٣٩٠ / ١٠٠٠ . وتقع هذه الحارة اليوم في قسم الجمالية .
- راجع النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤٨ وشيفر ص ١٤٤ .
- (٢) زويلة اسم صاحبة في الفيوان كما أنه اسم بلدة صغيرة بجوار المهديّة التي بناها عبد الله المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ / ٩٠٩ - ٩٣٣) وقد سمي السكان باسم القبيلة التي سكنته . وقد سكن أفراد هذه القبيلة حارة سميت باسمهم - زويلة - في مصر ، كانت أكبر حاراتها . وتعرف اليوم باسم حارة اليهود (شارع الموسى) . النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٥٢ .
- (٣) تنسب إلى جماعة ينسبون إلى جودر خادم المهدي ، كان عددهم ٤٠٠ ، وتقع في دائرة قسم الدرب الأحمر . النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٥١ .
- (٤) غير اسمها أيام صلاح الدين ، حين سكنها الملك المعظم توران شاه ، بعد مجيئه من الشام ، وسميت درب شمس الدولة ، نسبة إليه . وتقع بين شارع السكة الجديدة وشارع الحزاوي الصغير . النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٥٢ . وشيفر ص ١٤٤ .
- (٥) تنسب إلى ساكنيها من الديلم الذين سجدوا لفتحهم للمعزى غلام معز الدولة البويهى (٣٤٤ - ٣٦٥ / ٩٥٥ - ٩٧٥) حين قدم أولاده إلى القاهرة . وكانت كبيرة ، تشمل ثلاث حارات ، حارة السكحكيين ، ودرب الأتراك ، وخوش قدم ، حيث يوجد الآن زقاق مشهور بيمين الديلم . وكذلك سكن حارة الديلم جماعة من الأمراء والأعيان فأطلق عليها اسم حارة الأمراء . النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٤٣ ورجع الناشر إلى الحطاط التوفيقية ج ٢ ص ٢٧ - ٢٨ .
- (٦) وهي حارتان ، حارة الروم المشهورة اليوم والتي تقع في قسم الدرب الأحمر ، وحارة الروم الجوانية تنسب للأشراف الجوانيين ، وهي تقع في قسم الجمالية والوراثون يكتبون حارة الروم السفلى ، وحارة الروم العليا . وعند ما غضب الحاكم بأمر الله على الروم أمر بنهب الحارتين وهدمهما (١٧ ذى الحجة ٣٩٩ / ١٠ أغسطس ١٠٠٩) ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٤٢ وشيفر ص ١٤٥ .
- (٧) تقع في الجنوب المرقى للجامع الأزهر ، وبدل على موضعها شارع الباطنية . قال التفريردى (النجوم ج ٤ ص ٤٦) إن المعز لدين الله العبيدى لما قسم العطاء في الناس ، جاءت إليه طائفة فسألت العطاء فقيل : فرغ المال . فقالوا : رحنا نحن بالباطل ، فسماوا الباطلية وعرفت الحارة بهم .
- (٨) يعرف بهذا الاسم شارع قرب أم الغلام بسيدنا الحسين . وهو في الأصل قصر بناه الفاطميون في تلك الجهة .
- (٩) يظهر أن هذه كانت إحدى حارات حي الحسينية ، نسبة إلى الأشراف الحسينيين ، وهي حارة حامد والمنشية السكرى والمنشية الصغرى والحارة الكبيرة والحارة الوسطى التي كانت هي لعبيد الشراء والوزيرية والسوق الكبير وبين الحارتين . وعبيد الشراء فرقة في الجيش . النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤٥ - ٤٦ .
- (١٠) المصاعدة فرقة مهمة في الجيش المصرى أيام الفاطميين ، قال ناصر إن عددهم كان عشرين ألف رجل . وقد سكنوا حارة سميت باسمهم قرب بركة القيل . شيفر ص ١٤٥ .

وصف مدينة مصر :

شيدت مصر على ربوة . وجانبها الشرقى جبلى يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال . وفي طرف المدينة جامع ابن طولون . وهو مشيد على ربوة وله جدران محكمان ، ولم أر أعظم منهما غير جدار آمد وميافارقين . وقد بناه أمير من أمراء العباسيين كان حاكماً على مصر . وفي أيام الحاكم بأمر الله ، جد هذا السلطان (المستنصر) باعه أحفاد ابن طولون بثلاثين ألف دينار مغربى . وبعد مدة شرعوا فى هدم المئذنة بحجة أنها لم تبع . فأرسل لهم الحاكم قائلاً : « لقد بعتمونى هذا المسجد فكيف تهدمونه ؟ » فأجابوا : « نحن لم نبيع المئذنة » . فأعطاهم خمسة آلاف دينار ثمناً لها . وكان السلطان يصلى فى هذا المسجد طوال شهر رمضان ، وأيام الجمع من بقية الشهور .

ومدينة مصر مشيدة على ربوة ، خشية فيضان الماء عليها ، وهذه الربوة كانت مغطاة ، فى وقت ما ، بأحجار كبيرة جداً ، فكسرت وسويت . ويقال الآن الأماكن التى لم تسوّ « عقبة » . وتبدو مصر كأنها جبل ، حين ينظر إليها من بعيد .

وبمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات^(١) . وسمعت من ثقات أن شخصاً غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار ، وحمل إليها مجلاً رباه فيها حتى كبر ، ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها ويرفع الماء إلى الحديقة من البئر . وزرع على هذا السطح شجر النارج والموز وغيرها . وقد أثمرت كلها ، كما زرع فيها الورد والريحان وأنواع الزهور الأخرى .

وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دوراً كثيرة فيها حجرات الاستغلال أى للإيجار ، ومساحتها ثلاثون ذراعاً فى ثلاثين ، وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصاً . وهناك أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائماً ، لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ، ، ويسير فيها الناس .

(١) والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والحصب والطيبة واللذة ، ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام ، ومتاجر فخام وممالك جسام ، إلى ظاهر أتيق وهواء دقيق وبساتين نضرة ومتنزّهات على مر الأيام خضرة . والدار يكون بها طبقات سبعة وستة وخمس طبقات وربما سكن فى الدار المائتان من الناس . صورة الأرض من ١٤٦ .

وفي مصر سبعة جوامع ، غير جوامع القاهرة . والمدينتان متصلتان . وفيهما معاً خمسة عشر جامعاً (مسجد الجمعة) . وذلك لتلقى خطبة الجمعة والصلاة في كل حى منهما .
وفي وسط سوق مصر جامع يسمى « باب الجوامع » . شيده عمرو بن العاص ، أيام إمارته على مصر من قبل عمر بن الخطاب^(١) . وهذا المسجد قائم على أربعمائة عمود من الرخام . والجدار الذي عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الأبيض التي كتب القرآن عليها بخط جميل . ويحيط بالمسجد ، من جهاته الأربع ، الأسواق ، وعلماها تفتح أبوابه .
ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون . وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه ، في أى وقت ، عن خمسة آلاف ، من طلاب العلم والغرباء والكتّاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها . وقد اشترى الحاكم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو بن العاص ، وكانوا قد ذهبوا إليه وقالوا : « نحن فقراء معوزون وقد بنى جدنا هذا المسجد فإذا أذن السلطان نهدمه ونبيع أحجاره ولبناته » فاشتراه الحاكم بمائة ألف دينار وأشهد على ذلك كل أهل مصر ، ثم أدخل عليه عمارات كثيرة وعجيبة منها ترويضها ستة عشر جانباً ، كل جانب منها ذراع ، ونصف دائرتها أربع وعشرون ذراعاً .
ويوقدون في ليالى المواسم أكثر من سبعمائة قنديل . ويقال إن وزن هذه الثريا خمسة وعشرون قنطاراً فضة ، كل قنطار مائة رطل وكل رطل أربعة وأربعون ومائة درهم .
ويقال إنه حين تم صنعها لم يتسع لها باب من أبواب المسجد لكبرها ، فخلعوا باباً وأدخلوها منه ثم ردوا الباب مكانه . ويفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصى الجميل الملون بعضها فوق بعض ، ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل .

وفي هذا المسجد مجلس قاضى القضاة .

وعلى الجانب الشمالى للمسجد سوق يسمى « سوق القناديل » لا يعرف سوق مثله في أى بلد ، وفيه كل ما في العالم من طرائف . ورأيت هناك الأدوات التي تصنع من الذهب كالأوعى والأمشاط ومقايض السكاكين وغيرها . ورأيت كذلك مائة مبرة ينحتون

(١) قال في النص معاوية وهو خطأ ظاهر من النسخ . وقد صحح شيفر (١٤٧) كلمة باب الجوامع بتاج الجوامع وهو الجامع العتيق الذي أنشأه عمرو بن العاص سنة ٦٤٢/٢١ . وقد ذكر المقرئى ما أجراه الحاكم من إصلاحات فيه (ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٥٦) .

بلوراً غاية في الجمال ، وهم يحضرونه من المغرب . وقيل إنه ظهر حديثاً ، عند بحر القلزم ، بلور الطف وأكثرت شفافية من بلور المغرب . ورأيت أنياب القليل ، أحضرت من زنجبار ، وكان وزن كثير منها يزيد على مائتي من . كما أحضر جلد بقر من الحبشة ، يشبه جلد النمر ، ويعملون منه النعال . وقد جلبوا من الحبشة طائراً أليفاً كبيراً ، به نقط بيضاء وعلى رأسه تاج مثل الطاووس .

وتنتج مصر عسلاً وسكراً كثيراً .

وفي اليوم الثالث من شهر ذي القديم (ديسمبر - يناير) من السنة الفارسية ست عشرة وأربعمائة رأيت في يوم واحد هذه الفواكه والرياحين : الورد الأحمر والنيلوفر والزرجس والترنج والنارج واللييون والمركب والتفاح والياسمين والريحان الملصكي والسفرجل والمان والكثري والبطيخ والعطر والموز والزيتون والبلياج (الإهلياج) والرطب والعمب وقصب السكر والبادنجان والقرع واللفت والكرنب والبقول الأخضر والخيار والقثاء والبصل والثوم والجزر والبنجر .

وكل من يفكر كيف تجتمع هذه الأشياء التي بعضها خريفى وبعضها ربيعى ، وبعضها صيفى وبعضها شتوى ، لا يصدق هذا . ولكن ليس لي قصد فيما ذكرت ، ولم أكتب إلا ما رأيت ، وأما ما سمعته ثم كتبت ، فليست عهدته على . وولاية مصر عظيمة الاتساع ، بها كل أنواع الجو من البارد والحر . وتجلب كل الحاجيات لمدينة مصر من جميع البلاد ويباع بعضها في الأسواق .

ويصنعون بمصر الفخار من كل نوع ، وهو لطيف وشفاف بحيث إذا وضعت يدك عايه من الخارج ظهرت من الداخل ، وتصنع منه الكؤوس والأقداح والأطباق وغيرها ، وهم يلونونها بحيث تشبه البوقلمون فتظهر بلون مختلف في كل جهة تكون بها ، ويصنعون بمصر قوارير كالزبرجد في الصفاء والنظافة ويبيعونها بالوزن .

وسمعت من بزاز ثقة أن وزن الدرهم الواحد من الخيط يشتري بثلاثة دنانير مغربية وهي تساوي ثلاثة دنانير ونصف نيشاپورية . وقد سألت في نيشاپور ، بكم يشترون أجود الخيط ، فقالوا إن الخيط الذي لا نظير له يشتري الدرهم منه بخمسة دراهم .

ومدينة مصر ممتدة على شاطئ النيل الذي عليه القصور والمناظر الكثيرة ، بحيث



طباقان وقدر ، تزين مدي تقدم صناعة
الحرق ايام الفاطميين . (كليتيه دار الآثار
العربية) .



هو الذي اوردنا في هذا الكتاب
من الكتب والاشعار
والقصص التي هي في
العلم والادب والاعمال
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب



في هذا الكتاب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب

والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب

والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب
والتي هي في العلم والادب



قنينة من أيام الفاطميين . (كاشيه دار الآثار العربية)

إذا احتاجوا إلى الماء رفعوه بالحبال من النيل . أما ماء المدينة فيحضره السقاةون من النيل أيضا . يحملة بعضهم على الإبل وبعضهم على كتفه . ورأيت قدورا من النحاس الدمشقي ، كل واحد منها يسع ثلاثين مئنا ، وكانت من الطلاوة بحيث تظنها من ذهب . وقد حكوا لي أن امرأة تملك خمسة آلاف قدر ، وأنها تؤجر الواحد منها بدرهم في الشهر ، وينبغي أن يردها المستأجر سليمة .

وأمام مصر جزيرة ، وسط النيل ، كان عليها مدينة في وقت ما ، والجزيرة غربي المدينة ، وبها مسجد جمعة وحدائق . وهي صخرة وسط النهر ، تقسمه قسمين ، كل منهما في اتساع جيحون ، ولكن أكثر هدوءا وبطأ في جريانه . وثبتت بين الجزيرة والمدينة جسر من ست وثلاثين سفينة^(١) .

ويقع جزء من مدينة مصر على جانب النيل الآخر ، ويسمونه الجزيرة ، وبها مسجد لصلاة الجمعة . ولكن ليس بها جسر ، ولذا يعبر الناس بالزوارق أو بالمعابر ، وهي كثيرة في مصر ، أكثر مما في بغداد أو البصرة .

وتجار مصر يصدقون في كل ما يبيعون ، وإذا كذب أحدهم على مشتر ، فإنه يوضع على حمل ، ويعطى جرسا بيده ، ويُطَوَّفُ به في المدينة ، وهو يدق الجرس ، وينادي قائلا : « قد كذبت وها أنا أعاقب وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب » .

ويعطى التجار في مصر ، من بقالين وعطارين وبائعي خردوات الأوعية اللازمة لما يبيعون ، من زجاج أو خزف أو ورق ، حتى لا يحتاج المشتري أن يحمل معه وعاء .

ويستخرجون من بذور الفجل واللفت زيتا المصايبيح يسمونه « الزيت الحار » . والسهم هناك قليل وزيته عزيز ، وزيت الزيتون رخيص . والفتق أغلى من اللوز ، ولا تزيد العشرة أمان من اللوز المقشور على دينار واحد .

ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحرامسرجة في ذهابهم وإيابهم من البيوت

(١) والقساط على شمال النيل وهي مدينة حسنة ينقسم النيل لديها قسمين ، فيعدي من القساط إلى عدوة أولى فيها أبنية حسنة ومساكن جلييلة تعرف بالجزيرة ويعبر إليها بجسر فيه نحو ثلاثين سفينة ويعبر من هذه الجزيرة على جسر آخر إلى القسم الثاني كالجسر الأول إلى أبنية جلييلة ومساكن على الشط الثالث تعرف بالجزيرة . صورة الأرض ص ١٤٦

إلى السوق . وفي كل حى على رأس الشوارع ، حجر كثيرة عليها براذع مزينة ، يركبها من يريد ، نظير أجر زهيد . وقيل إنه يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة تزين كل يوم وتسكرى . ولا يركب الخيل إلا الجنود والعسكر ، فلا يركبها التجار أو القرويون أو أصحاب الحرف ، ويركبها العلماء . ورأيت كثيرا من الحجر البلق كالحليل بل أجمل . وكان أهل مدينة مصر في غنى عظيم حين كنت هناك . وفي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة (١٠٤٧) ولد للسلطان ولد ، فأمر الناس بإقامة الأفراح ، فزينت المدينة والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد بعض الناس صحة ما أقول ، ولما صدقوني . فقد كانت دكاكين البزازين والصرافين وغيرهم مملوءة بالذهب والجواهر ، والنقد والأمتعة المختلفة ، والملابس المذهبة والمقشورة ، بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس .

وكان الناس جميعاً يثقون بالسلطان ، فلا يخشون الجواسيس ولا الغمازين ، معتادين على أن السلطان لا يظلم أحداً ولا يطعم في مال أحد . ورأيت أموالاً يملكها بعض المصريين لو ذكرتها أو وصفتها لما صدقني الناس في فارس ، فإني لا أستطيع أن أحدد أموالهم أو أحصرها . أما الأمن الذي رأيتُه هناك فإني لم أره في بلد من بلد .

وقد رأيت هناك نصرانياً من سرارة مصر ، قيل إن مراكبه وأمواله وأملاكه لا يمكن أن تعد . وحدث في سنة ما أن كان النيل ناقصاً ، وكانت الغلة عزيزة فأرسل الوزير إلى هذا النصراني وقال : « ليست السنة رخاء والساطان مشفق على الرعية ، فاعط ما استطعت من الغلة ، إما نقداً وإما قرضاً » ، قال النصراني : « أسعد الله الساطان والوزير ، إن لدى من الغلة ما يمكنني من إطعام أهل مصر الخبز ست سنوات ^(١) . ولا شك أن سكان مصر ، في ذلك الوقت ، كانوا كثيرين ، فإن سكان نيشابور خمسهم ، مع الإصراف في التقدير . وكل من يستطيع الحكم يدرك كم ينبغي أن يكون لهذا الثرى لتبلغ غلته هذا المقدار وأي سلام كانت فيه الرعية ، وأي عدل كان للسلطان ، بحيث يكون شعور الناس وأموالهم بهذا القدر . لم يكن السلطان يظلم أو يجور على أحد ، ولا كان أحد من الرعية يخفي أو يفكر شيئاً مما يملك .

(١) يقصد مدينة مصر .

ورأيت هناك رباطا يسمى « دار الوزير » لا يباع فيه سوى القصب . وفي الدور الأسفل منه يجلس الخياطون ، وفي الأعلى الرقاؤون . وسألت التميم عن أجره هذا الرباط الكبير . فقال : كانت كل سنة عشرين ألف دينار مغربي ، ولكن جانبا منه قد تحرب وهو يعمر الآن ، فيحصل منه كل شهر ألف دينار ، يعني إثني عشر ألف دينار في السنة . وقيل إن في هذه المدينة مائتي رباط أكبر منه أو مثله .

وصف مأتمة السلطان :

يقيم السلطان مأتمة في كل من العيدين . ويأذن بالاستقبال في قصره للخوادم والعوام . وتنصب مأتمة الخوادم في حضرته ومأتمة العوام في سرايات أخرى . وقد سمعت كثيرا عن هذه المآتم فرغبت في رؤيتها ، رأي العين ، فذهبت عند أحد كتّاب السلطان ، وكنت قد صاحبتة فتوطدت الصداقة بيننا ، وقلت له : « رأيت مجالس ملوك وسلاطين العجم مثل السلطان محمود الغزنوي وابنه السلطان مسعود ، وقد كانا ملكين عظيمين ذوي نعمة وجلال ، وأريد أن أرى مجالس أمير المؤمنين » . فنقل رغبتى إلى الموكل بالستار ، المسمى « صاحب الستار »^(١) . وقد تفضل هذا فسمح لي بالذهاب ، في آخر رمضان سنة أربعين وأربعمائة (٧ مارس ١٠٤٩) ، وكان المجلس قد أُعد لليوم الثاني وهو يوم العيد ، حيث يحضر السلطان بعد الصلاة فيجلس في صدر المأتمة .

حين دخلت من باب السراي رأيت عمارات وصفف وإوانات إن أصفها يطول الكتاب . كان هناك اثني عشر جناحا ، أبنيتها مربعة ، وكلها متصلة بعضها ببعض . وكلما دخلت جناحا منها وجدته أحسن من سابقه ، ومساحة كل واحد منها مائة ذراع في مائة ، عدا واحدا منها كانت مساحته ستين ذراعا في ستين . كان بهذا الأخير تحت يشغل عرضه بتمامه وعلوه أربع أذرع ، وهو مغطى بالذهب من جهاته الثلاث ، وعليه صور المصطاد

(١) لعله يريد صاحب الباب ، وهي ثاني رتبة الوزارة . قال ابن الطوير : وكان يقال لها الوزارة الصغرى ، وصاحبها في المعنى يقرب من النائب السكافل في زماننا ، وهو الذي ينظر في المظالم إذا لم يكن وزير صاحب سيف ، فإن كان ثم وزير صاحب سيف ، كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه ، وصاحب الباب من جملة من يقف في خدمته . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٩

والميدان وغيرها ، كما أن عليه كتابة جميلة . وكل ما في هذا الحرم من الفرش والطرح من الديباج الرومي والبوقلمون ، نسجت على قدر كل موضع تشغله . وحول التخت درازين من الذهب المشبك ، يفوق حد الوصف ومن خلف التخت ، بجانب الحائط ، درجات من الفضة . وبلغ هذا التخت من العظمة أنى لو قصرت هذا الكتاب كله على وصفه ما استوفيت الكلام ، وما كفى .

وقيل إن راتب السكر ، في ذلك اليوم الذي تنصب فيه مأددة السلطان ، خمسون ألف من . وقد رأيت على المائدة شجرة ، أعدت للزينة ، أشبه شجرة الترنج ، كل غصونها وأوراقها وأثمارها مصنوعة من السكر . ومن تحتها ألف صورة وتمثال مصنوعة كلها من السكر أيضاً .

ومطبخ السلطان خارج القصر ، ويعمل فيه دواماً خمسون غلاماً . ويصل القصر بالمطبخ طريق تحت الأرض . وجرت العادة ، في مصر ، أن يحمل إلى دار الشراب السلطانية (شرابخانة) ، كل يوم ، أربعة عشر حملاً من الثلج . وكان لمعظم الأمراء والخواص راتب يومي من هذا الثلج . ويصرف منه لمن يطلبه من مرضى المدينة . وكذلك كل من يطلب من أهلها مشروباً أو دواء من الحرم السلطاني فإنه يعطاه . كما أن هناك زيتوناً أخرى كزيت البلسان وغيره كان للناس كافة أن يطلبوها فلا تمنع عنهم .

سيرة سلطان مصر :

بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى حد أن البزازين وتجار الجواهر والسيارة لا يعلقون أبواب دكاكينهم ، بل يسدلون عليها الستائر . ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده إلى شيء منها . يحكى أنه كان بمصر يهودى وافر الثراء يتجر بالجواهر ، وكان مقرباً من السلطان الذي كان يعتمد عليه في شراء ما يريد من الجواهر الكريمة ، فاعتدى عليه الجنود وقتلوه . فلما ارتكبوا هذا الجرم خشوا بطش السلطان ، فركب عشرون ألف فارس منهم وخرجوا إلى الميدان . وهكذا خرج الجيش إلى الصحراء وخاف أهل المدينة مقبة هذه المظاهرة إذ ظل الجيش في الصحراء حتى منتصف النهار . فخرج إليهم خادم القصر ووقف بباب المرآى وقال : « إن السلطان يسأل إذا كنتم مطيعين

أم لا ؟ » . فصاحوا صيحة واحدة : « نحن عبيد مطيعون ولكننا أذنبنا » ، فقال الخادم :
« يأمركم السلطان بأن تعودوا » . فعادوا في الحال .

واسم هذا اليهودى المقتول أبو سعيد ، وكان له ابن وأخ . وقيل إنه لا يعرف مدى
غنائه إلا الله ، فقد كان على سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة زرع في كل منها شجرة ،
كأنها حديقة ، وكلها أشجار مثمرة . وقد كتب أخوه ، لما ملكه من الفزع ، رسالة
للسلطان يقول فيها : « إني أقدم للخزانة مائتي ألف دينار مغربي حالا » . فأمر السلطان
بعرض الرسالة على الناس وتمزيقها على الملأ ، وقال : « كونوا آمنين ، وعودوا إلى بيوتكم ،
فليس لأحد شأن بكم ، ولسنا بحاجة لمال أحد » واستألم إليه ^(١) .

وكان لسلك مسجد في جميع المدن والقرى التي نزلت بها ، من الشام إلى القيروان ،
نفقات يقدمها وكيل السلطان من زيت السرج والحصير والبوريا وسجاجيد الصلاة ورواتب
القوام والفراشين والمؤذنين وغيرهم . وكتب والى الشام في بعض السنين إلى السلطان بأن
الزيت قليل ثم استأذن في أن يصرف المساجد الزيت الحار ، المستخرج من بذور الفجل
واللفت . فأجيب « إنك مأمور لا وزير ، وليس من الجائز أن تغير أو تبدل في شيء
يتعلق ببيت الله » .

ويتقاضى قاضي القضاة ألفي دينار مغربي في الشهر ، ومرتب كل قاض على قدر
مرتبته ، وذلك حتى لا يطمع القضاة في أموال الناس أو يظلمونهم .

والعادة في مصر أن يقرأ مرسوم السلطان في المساجد في منتصف رجب ، وهو :
« يا معشر المسامين ، حل موسم الحج ، وسيجهز ركب السلطان كالمعتاد ، وسيكون
معه الجنود والحيل والجمال والزاد » . وينادي بذلك في شهر رمضان أيضاً . ويبدأ الناس
في السفر ابتداء من أول ذي القعدة ، وينزلون في موضع معين ، ثم يسرون في منتصف
هذا الشهر . ويبلغ خرج الجيش الذي يرافق السلطان ألف دينار مغربي في اليوم ، هذا

(١) قال كمن Mann في كتابه اليهود في مصر "The Jews in Egypt" إن الخليفة أعطى أخوى
اليهودى المقتول أماناً ولكنه لم يستمر إلا بضع ساعات ، ثم قتل الأخوان بعد ذلك في نفس اليوم .
وعندى أن نس ناصر خسرو يخالف ما استنتجه Mann الذى اندفع بعدد تضحيات اليهود في مصر .
راجع الجزء الأول ص ٨٧ وما بعدها . وراجع كتابي عن ناصر خسرو (بالفرنسية) ص ٩٩ .
(٥ - سفرنامه)

عدا عشرين ديناراً مرتبة لكل رجل فيه . وبلغون مكة في خمسة وعشرين يوماً
ويمكثون بها عشرة أيام ، ثم يعودون إلى مصر في خمسة وعشرين يوماً . ونفقاتهم في
الشهرين ستون ألف دينار مغربي ، عدا التعمدات والصلوات والمشاهرات وثمان الجمل التي
تَنفُق في الطريق .

وقد قرئ على الناس ، سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، المرسوم التالي من سجل السلطان :
« يقول أمير المؤمنين إنه ليس من الخير أن يسافر الحجاج للحجاج هذا العام فإن
به خطأ وضيقاً وقد هلك به خلق كثير ونإني أقول هذا شفقة بالمسلمين » فلم يسافر
الحجاج . وكان السلطان يرسل الكسوة للكعبة كالمعتاد ، لأنه يرسلها مرتين كل سنة ،
فلما سافرت الكسوة مع وفد السلطان ، عن طريق القلزم ، سافرت معهم^(١) فخرجت
من مصر أول ذى القعدة ، وبلغت القلزم في الثامن منه ، ومن هناك أفلعت السفينة ،
فبلغنا بعد خمسة عشر يوماً مدينة تسمى الجار ، في الثاني والعشرين من ذى القعدة ، وقتنا
من هناك فبلغنا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أربعة أيام .

المدينة :

والمدينة بلد على حافة الصحراء أرضها رطبة وملحة ، يجري بها ماء قليل وهي كثيرة
الفخل . والقبلة هناك ناحية الجنوب . ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قدر المسجد
الحرام ، ومقامه عليه الصلاة والسلام بجانب المنبر ، يسار الصلبيين وهم متوجهون ناحية القبلة .
فحين يذكر الخطيب ، وهو فوق المنبر ، النبي عليه السلام ويصلي عليه ، يلتفت ناحية
اليمن ويشير إلى المقام الشريف . وهذا المقام خمس ترتفع حوائطه من بين أعمدة المسجد ،
ويحيط به خمسة أعمدة ، وكان في آخره حظيرة أحيطت بسياج حتى لا يدخلها أحد ،
وأسدل على الجزء المكشوف منها شبكة حتى لا تدخلها الطيور . وبين قبر الرسول والمنبر
مسافة من الرخام ، تشبه الساحة وتسمى « الروضة » ، ويقال إنها روضة من رياض الجنة ،
كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » .
ويقول الشيعة إن هناك قبر فاطمة الزهراء عليها السلام . والمسجد باب واحد .

(١) هذا النص يبين أن لناصر صفة خاصة في ذهابه .

وخارج المدينة ناحية الجنوب ، صحراء بها مقبرة فيها قبر (أمير المؤمنين) حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه^(١) ، يسمونها « قبور الشهداء » .

وقد أقفنا يومين بالمدينة ، ثم غادرناها لضيق الوقت فسرنا شرقا . وعلى منزلين منها جبل ومضيق يشبه الوادى يسمى الجحفة . وهناك « ميقات » حجاج المغرب والشام ومصر . والميقات هو الموضع الذى يحرم منه الحجاج . ويقال إن الحجاج نزلوا هناك فى سنة ما ، وكانوا كثيرين ، فنزل عليهم السيل فجأة ، فأهلكهم . لذلك سمى هذا المكان الجحفة^(٢) . وبين مكة والمدينة مائة فرسخ من الصخر ، قطعناها فى ثمانية أيام .

وقد بلغنا مكة فى يوم الأحد السادس من ذى الحجة ، ونزلنا عند باب الصفا ، وكان بمكة قحط ، فكانت الأربعة أمنان من الخبز بدينار نيسابورى ، وقد هاجر منها المجاورون ولم يقد عليها حاج من أى بلد . وقد أدينا فريضة الحج لله الحق سبحانه وتعالى يوم الأربعاء فى عرفات ، ولبثنا بمكة يومين . وقد خرج من الحجاز خلق كثير مما أصابهم من الجوع والفقر ، وتفرقوا فى البلاد .

ولا أذكر مناسك الحج ووصف مكة الآن . سأذكر ذلك عند ذكر آخر نوبة للحج ، حين بقيت ستة أشهر بمكة مجاوراً ، وسأشرح ما رأيت .

ثم توجهنا ناحية مصر فبلغناها بعد خمسة وسبعين يوماً . وقد هاجر إليها من الحجاج ، فى هذا العام ، خمسة وثلاثون ألف آدمى ، فكساهم السلطان وأجرى عليهم الرزق سنة كاملة . وقد كانوا جميعاً جائعين عرايا . ولما أمطرت السماء فى بلادهم وكثر فيها الطعام ، كساهم السلطان ، صغيرهم وكبيرهم ، وأغدق عليهم الصلوات ثم رحاهم إلى الحجاز . وفى شهر رجب سنة أربعين وأربعمائة (ديسمبر سنة ١٠٤٨) قرأوا على الناس مرة أخرى ، مثالا للسلطان بأن فى الحجاز قحطاً ، وليس من الخير أن يسافر الحجاج ، فلينفقوا المال على أنفسهم وليفعلوا ما أمر الله به . وفى هذه السنة أيضاً لم يسافر الحجاج . ولكن السلطان لم يقصر البتة فى إرسال ما كان يرسله كل سنة من الكسوة وأجور الخدم والحاشية ، وأمره

(١) لاحظ غنى زاده أن فى هذا السطر خطأً فان إطلاق كلمة أمير المؤمنين على حمزة خطأ ظاهر .

س ٨٤ (٤) ، ولعلها من زيادات النسخ .

(٢) راجع حوادث سنة ٨٠ هجرية أيام عبد الملك بن مروان .

مكة والمدينة وصلة أمير مكة وقد كانت ثلاثة آلاف دينار في الشهر ، وكانت ترسل إليه الخيول والخلع مرتين في السنة^(١) . وعهد بهذا ، في هذه السنة ، إلى رجل اسمه القاضي عبد الله ، من قضاة الشام . وقد ذهبت معه عن طريق القلزم^(٢) . وقد بلغت السفينة الجار في الخامس والعشرين من ذي القعدة ، وكان موعد الحج قد قرب كثيراً ، وكان الجمل يؤجر بخمسة دنانير فذهبنا مسرعين .

بلغت مكة في الثامن من ذي الحجة ، وأديت فريضة الحج لله سبحانه وتعالى . وقد حدث أن قافلة عظيمة أتت للحج من بلاد المغرب ، وفي أثناء عودة حجاجها ، عند باب المدينة المنورة ، طلب العرب « الخفارة » منهم فقامت الحرب بينهم . وقتل من المغاربة أكثر من ألفي رجل ، ولم يعد كثير منهم إلى المغرب . وفي هذه الحجة أيضاً ، قام جماعة من أهل خراسان ، عن طريق الشام ومصر ، فبلغوا المدينة في سفينة ، وقد بقي عليهم أن يقطعوا مائة فرسخ وأربعة حتى عرفات وهم في السادس من ذي الحجة . فقالوا : إن كلا منا يدفع أربعين ديناراً لمن يرحلنا إلى مكة في هذه الأيام الثلاثة الباقية لناحق الحج ، فجاء الأعراب وأصلوهم إلى عرفات في يومين ونصف يوم ، وأخذوا أجورهم ذهباً ، وكانوا قد شدوهم إلى جمال سريعة ، وأتوا بهم من المدينة إلى عرفات . وقد هلك اثنان منهم ، وكانوا موثقين على الجمل ، وكان أربعة منهم نصف أموات ، وقد بانوا عرفات ونحن هناك ساعة صلاة العصر ، وكانوا لا يستطيعون الوقوف أو الكلام ، قالوا إنا توصلنا كثيراً في الطريق أن يأخذ هؤلاء الأعراب الذهب الذي اشترطنا وأن يتركونا ، فإنه لا طاقة لنا على مواصلة السفر ، ولكنهم لم يسمعوا لنا وساقونا على هذا النحو . ومهما يكن فقد حج هؤلاء الأربعة وعادوا عن طريق الشام .

وبعد أن أكملت الحج ، توجهت نحو مصر ، فقد كانت لي بها كتب ، ولم يكن في نيتي أن أعود إليها . وقد صحبت أمير مكة في طريقه إلى مصر ، فقد كان له رسم على السلطان يعطاه كل سنة لقرابته من أبناء الحسين بن علي صلوات الله عليهما . فركبت

(١) وهو الشريف تاج المعالي شكر .

(٢) ناصر يسافر مرة أخرى مع مبعوث السلطان .

السفينة معه حتى مدينة القلزم ، ومن هناك سرنا إلى مصر^(١) .

في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة (١٠٤٩) ، وأنا بمصر ، جاء الخبر أن ملك حلب قد شق عصا الطاعة على السلطان ، وكان تابعاً له ، وكان آباؤه ملوكاً على حلب . وكان للسلطان خادم اسمه عمدة الدولة ، هو أمير المطالبين ، وكان عظيم الجاه والمال . ويسمى مطالباً من يبحث في تلال مصر عن السكنوز والدفائن ، ويأتي لهذا الأمر رجال من المغرب وديار مصر والشام ، ويتحمل كل منهم المشاق وينفق المال الكثير في تلال مصر ومحاجرها ، وكثيراً ما يجدون الدفائن والسكنوز ، وكثيراً ما ينفقون المال ولا يهتمون إلى شيء منها ، فإنهم يقولون إن أموال فرعون مدفونة في هذه المواضع ، يأخذ السلطان خمس ما يكشفه المطالب والباقي له . تصارى القول أن السلطان بعث هذا الخادم إلى حلب ، وأمدّه بقوة ليشد أزره ، وأعطاه كل ما ينبغي للملوك من الخيام وغيرها . فلما بلغ حلب وقا تل قتل . وكانت أمواله من الكثرة بحيث استغرق نقلها من خزائنه إلى خزائن السلطان شهرين . وكان من جهتها ثلاثمائة جارية أكثرهن كالبسودور ، وبعضهن سراريه . وقد أمر السلطان بأن يكنّ مخبرات ، فمن رغب في الزواج منهن زوجن ، ومن لم يردن أعدن إلى بيوتهن وصرفت إليهن أموالهن كاملة ، فلم تجبر واحدة منهن على شيء .

ولما قتل عمدة الدولة خاف ملك حلب أن يرسل له السلطان جيشاً ، فبادر بإرسال ابنه وهو في السابعة من عمره مع زوجته ، ومعهما كثير من التحف والهدايا للسلطان ، وذلك ليعتذرا عما فعل . فلما جاء مكثا ما يقرب من شهرين خارج مصر ، ولم يؤذن لهما بالدخول ، ولم تقبل تحفهما إلى أن شفع لهما الأئمة والقضاة عند السلطان ، وتوسلوا إليه أن يقابلهما ، ففعل ثم رجعا بالشريف والخلع^(٢) .

(١) هذه الجملة تبين أن ناصراً بنوه قصداً بأن ليس في نيته إطالة إقامته في مصر ، وصحبته لأمير مكة تبين مدى احترامه في الرحلة .

(٢) هذه الأميرة هي ابنة مطاب بن سابق الحميري ، سيد حران . واسمها السيدة علوية . وكان يصحبها في زيارتها لمصر شيخ الدولة علي بن أحمد بن الأيسر الذي كان مبعوثاً من قبل معز الدولة سنة ١٠٥١/٤٤٣ ليدفع الجزية المفروضة على هذا الأمير لإمبراطور الروم في القسطنطينية . وقد ذكر كامل الدين أبو حفص عمر في كتابه « زبدة الحلب في تاريخ حلب » تفاصيل استقبال هذه الأميرة في مصر . وهو مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس (٧٢٨) ورقات ٧٢-٧٣ . وقد أعطت المستنصر ، =

ومن جملة ما رأيت في مصر أنه إذا أراد أحدهم غرس حديقة ، يستطيع ذلك في أى فصل من فصول السنة . فإنه يحصل دائماً على الشجر الذى يريد فيزرعه مثمرأ ، أو بغير ثمر . وهناك تجار لذلك ، يقدمون كل ما يطلب منهم ، فقد زرعوا الأشجار فى أصص ووضعوها فوق الأسطح . وكثير من سقوف بيوتهم حدائق أكثرها مثمر ، من النارج والترنج والمان والتفاح والسفرجل والورد والريحان والزهر . فإذا اشترى أحدهم شجراً حمل الحمالون الأصص بالشجر بعد شدّها على لوح من خشب ونقلوها إلى حيث يشاء ، ثم يحفر الزراع الأرض لغرس الشجر إما بالأصص أو بعد نزعها منها ، من غير أن يضار الشجر بهذا . ولم أر هذا النظام فى أى مكان آخر ، كما أنى لم أسمع به . والحق أنه نظام جميل جدا .

العودة الى حضارنا عن طريق الصعيد الأعلى وبهادر العرب والعراق :

والآن أعود إلى وطنى ، من مصر عن طريق مكة ، حرسها الله تعالى من الآفات . أديت صلاة العيد فى القاهرة ، وغادرت مصر فى سفينة يوم الثلاثاء الرابع عشر من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة (١٠ أبريل ١٠٥٠) ، واتجهنا نحو الصعيد الأعلى ، وهو ولاية مصرية فى الجنوب ، يأتى منها ماء النيل إلى مصر . وأكثر رغداً منه . وهناك على ضفتى النيل ، كثير من المدن والقرى يطول وصفها .

وقد بلغنا مدينة تسمى أسيوط ، يزرع فيها الأفيون ، وهو الخشخاش وحبه أسود . حين تنمو الشجرة تكسر ويربط كيس فى موضع الكسر فيخرج منه عصير يشبه اللبن ، فيجمعونه ويحفظونه ، وهو الأفيون^(١) . وبذور هذا الخشخاش صغيرة مثل الكمون . وينسجون فى أسيوط عمائم من صوف الخراف لا مثيل لها فى العالم ، والصوف الدقيق الذى يصدر إلى بلاد العجم والمسمى الصوف المصرى ، كله من الصعيد الأعلى ، لأنهم

علاوة على الهدايا والتحف ، مبلغ أربعين ألف دينار . وقد أمر بأن تكتب لها إجازة ، أمّلتها هى ، بتبنيّت معز الدولة على إمارة حلب وما يتبعها . كما أرسل معها خلعا لهذا الأمير وأقربائه . تعليقات شيفر ص ١٧١ - ١٧٢ .

(١) ومما تختص به مصر الأفيون . وهو يجتنى من الخشخاش الأسود بالصعيد . رحلة عبد الطائف البغدادي فى مصر . ص ٢٨ .

لا ينتجون الصوف بمدينة مصر نفسها ، وقد رأيت في أسبوط فوطه من صوف الغنم لم أر مثلاً في لهاور أو ملتان ، وهي من الرقة بحيث تحسبها حريراً .

ومن هناك بلغنا مدينة تسمى قوص ، رأيت فيها أبنية عظيمة من الحجارة تبعث على العجب ، وهي مدينة قديمة محاطة بسور من الحجر ، وأكثر أبنيتها من الحجارة الكبيرة التي يزن الواحد منها عشرين أو ثلاثين ألف من . والعجيب أنه ليس على مسافة عشرة أو خمسة عشر فرسخاً منها جبل أو محجر ، فمن أين وكيف نقلوا هذه الحجارة ؟

ومن قوص بلغت مدينة تسمى إخميم ، وهي مدينة واسعة عامرة رجالها أشداء ، لها سور حصين وبها نخل وبساتين كثيرة . وقد أقت بها عشرين يوماً^(١) . وفي هذه الجهة طريقان . أحدهما صحراوي لا ماء فيه ، والثاني طريق النيل ؛ وقد ترددنا أي الطريقين نسلك ، وأخيراً سرنا في طريق النيل وبلغنا مدينة أسوان .

عند الجانب الجنوبي من أسوان جبل يخرج من وسطه النيل . ويقال إن السفن لا تستطيع المضي في النيل وراء هذا الجبل ، لأن الماء هناك ينحدر من شلالات عظيمة . وعلى مسافة أربعة فراسخ من هذه المدينة طريق ولاية النوبة ، وهي ولاية أهلها جميعاً نصارى . ويرسل ملوكها ، من قديم ، الهدايا لسلطان مصر . وبين البلدين عهد ومواثيق ، فلا يذهب جيش السلطان هناك ، ولا يؤذى أهلها . ومدينة أسوان محصنة جداً بحيث لا يستطيع أحد أن يقصدها من النوبة ، وبها جيش دائم للمحافظة عليها . ويقابل المدينة جزيرة^(٢) وسط النيل كأنها حديقة ، فيها نخيل وزيتون وأشجار أخرى وزرع كثير ، ويروى زرعها بالسواقي . وقد لبثت بها واحداً وعشرين يوماً . وكان أمامنا حتى شاطئ البحر صحراء فسيحة طولها أكثر من مائتي فرسخ^(٣) . وكان حينذاك الموسم الذي يعود فيه الحجاج على الجمال فانتظرناهم لنستأجرها ونذهب بها وهي راجعة . وكنت عرفت وأنا في أسوان رجلاً تقياً صالحاً يعرف شيئاً من علم المنطق . وقد عاونني في اكتراء الجمال واختيار الرفيق وغير ذلك . وقد استأجرت جملاً بدينار ونصف دينار ، ورحلت عن هذا البلد في

(١) وفي إخميم جهاز من السكان العمول شقة ومناديل . صورة الأرض . ص ١٥٦ .

(٢) جزيرة فيله .

(٣) راجع تعليقات غني زاده ص ٩١ (١١) حيث صحح النص بزيادة كلمة أكثر (زيادي) .

الخامس من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٢٩ يوليو ١٠٥٠) وكان الطريق يتجه نحو الجنوب الشرقي .

بعد ثمانية فراسخ من رحلتنا بلغنا جهة تسمى ضيقة ، وهي واد في الصحراء ، على جانبيه حائطان من الجبال ، وسعته مائة ذراع ، وقد حفر فيه بئر يخرج منه ماء كثير ، ولكنه ليس عذبا . وبعد أن تركنا ضيقة ، سرنا خمسة أيام في صحراء لا ماء فيها ، وكان مع كل منا قربة ماء . ثم بلغنا منزلا يسمى الحوض ، وهو جبل حجرى فيه عينان يتفجر منهما ماء عذب يستقر في حفرة ، ولم يكن بد من أن يذهب رجل إلى حيث العينان ليحضّر الماء لشرب الإبل ، التي مضى عليها سبعة أيام لم تشرب فيها ولم تأكل ، إذ أن علفها قد نفذ كله . وكانت تستريح مرة في الأربع وعشرين ساعة ، وذلك من الوقت الذى تشتد فيه حرارة الشمس حتى صلاة العصر ، وتسير بقية الوقت . والمنازل التي ينزلون بها معلومة ، فليس ممكناً النزول في أى مكان ، لتعذر وجود ما توقد به النار . أما في هذه المنازل فإنهم يجدون بعر الإبل ، فيتخذونه وقوداً يطبخون عليه ما تيسر ، وكان الإبل تعلم أنها إن أبطأت ماتت عطشاً ، فهي تسير غير محتاجة لأن يسوقها أحد ، متجهة من تلقاء نفسها ناحية المشرق في هذه الصحارى حيث لا أثر أو علامة تدل على الطريق . وهناك أمكنة يقل فيها الماء مسافة خمسة عشر فرسخاً ويكون ملحاً ، وأمكنة لا يوجد فيها ماء قط ، مسافة ثلاثين أو أربعين فرسخاً .

وفي العشرين^(١) من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٢ أغسطس ١٠٥٠) بلغنا مدينة عيذاب ، ومن أسوان حتى عيذاب التي بلغناها بعد خمسة عشر يوماً مائتا فرسخ بالتحديد . ومدينة عيذاب هذه تقع على شاطئ البحر وبها مسجد جمعة ، وسكانها خمسمائة وهي تابعة لسلطان مصر . وفيها تحصل المسكوس على ما في السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن . ومنها تنقل البضائع على الإبل إلى أسوان في هذه الصحراء التي اجتزناها ، ومن هناك تنقل بالسفن إلى مصر في النيل . وعلى يمين عيذاب ناحية القبلة ، جبل من خلفه صحراء عظيمة بها مراعى واسعة وخلق كثيرون يسمون البجة وهم قوم

(١) راجع تعليقات غنى زاده ص ٩٣ (٤) .

لا دين لهم ولا ملة ، لا يؤمنون بنبي أو إمام ، وذلك لبعدهم عن العمران . وهم يسكنون صحراء طولها أكثر من ألف فرسخ وعرضها ثلاثمائة فرسخ ، وليس في هذه المسافة الشاسعة سوى مدينتين صغيرتين تسمى الأولى بحر النعام ، والثانية عيذاب . وتمتد هذه الصحراء من مصر إلى الحبشة وذلك من الشمال إلى الجنوب ، وعرضها من بلاد النوبة حتى بحر القلزم وذلك من الغرب إلى الشرق . ويقبم بها البجة ، وهم ليسوا أشمرا ، وهم لا يسرقون ولا يغيرون ، بل يشتغلون بتربية ماشيتهم^(١) . ويسرق المسلمون وغيرهم أبناءهم ، ويحملونهم إلى المدن الإسلامية ليبيعهم فيها .

وبحر القلزم هذا خليج يتفرع من المحيط عند ولاية عدن ويسير شمالا حتى مدينة القلزم الصغيرة ويسمى هذا البحر بكل مدينة تقع عليه ، فمرة يسمى القلزم ومرة عيذاب ومرة بحر النعام . وقيل إن به أكثر من ثلاثمائة جزيرة ، تأتي السفن منها محملة بالزيت والكشكش ، وقيل إن هناك بقرأ وخرافا كثيرة . والناس هناك مسلمون ، بعضهم تابع لمصر وبعضهم لليمن . وليس في مدينة عيذاب الصغيرة غير ماء المطر ، فلا يثر فيها ولا عين . فإذا لم تمطر السماء أحضر البجة الماء وباعوه . وقد بقينا هناك ثلاثة أشهر وكنا نشترى قربة الماء بدرهم أو بدرهمين . وسبب بقائنا هذه المدة أن السفينة لم تقاع إذ كانت الريح شمالية ، وكان ينبغي لرحلتنا ريح الجنوب . وحينما رأى الناس طلبوا إلى أن أكون خطيبهم فلم أردهم ، وخطبت لهم تلك المدة حتى أتى اللوسم . ثم سارت السفينة شمالا إلى أن بلغنا جدة . ويقال إن الجمال النجيبية لا توجد في مكان آخر غير هذه الصحراء ، وهي تنقل منها إلى مصر والحجاز .

وقد حكى لي رجل أعتمد على قوله من مدينة عيذاب قال : « كنت في سفينة محملة بالجمال لأمير مكة ، فمات جمل منها فرموه في البحر فابتاعته سمكة في الحال ، ولم يبق خارج فيها غير رجله ، فماتت سمكة أخرى وابتلعت هذه السمكة بالجل ، ولم يظهر غيرها أي أثر من ذلك » . ويسمى هذا السمك بالقرش .

ورأيت في هذه المدينة جلد سمك يسمونه في خراسان الشفق ، ويظنون أنه نوع من

(١) وبصعيد مصر ، من جنوب النيل ، معدن الزبرجد في برية منقطعة عن العمارة ويكون من حد جزائر بني حدان إلى نواحي عيذاب وهي ناحية للبجة وقوم من العرب من ربيعة وليس بجميع الأرض معدن للزمرد غيره . صورة الأرض ص ١٥٠ .

الضب ، والسكنى رأيت في عيذاب أنه سمك وله كل ما للسمك من زعانف .
حينما كنت في أسوان كان لي صديق ذكرت اسمه قبلا وهو أبو عبد الله محمد بن
فليج ، فلما ذهبت من هناك إلى عيذاب كتب ، من إخلاصه لي ، لو كيله بها كتابا يقول
فيه : إعط ناصرأ ما تريد ، وهو يعطيك صكًا للحساب . فلما بقيت بها ثلاثة أشهر ،
وأنفقت ما معي ، اضطررت أن أعطى هذه الورقة لوكيل فأكرمني ، وقال : إن له والله
لدى أشياء كثيرة ، وإني معطيك ما تريد واعطني صكًا به . فتمجبت من حسن صنع
هذا الرجل محمد بن فليج الذي أظهر كل هذه الطيبة بغير سابقة مني إليه . ولو كنت
رجلا دينيًا واستحلت لنفسى أن آخذ لأخذت بهذه الورقة أشياء كثيرة . وقد أخذت
منه مائة من من الدقيق ، وهو مقدار كبير هناك وأعطيته صكًا به أرسله إلى أسوان .
وقبل رحيلي من عيذاب ورد خطاب من محمد فليج لو كيله يقول فيه : أعط ناصرأ كل
ما يريد مهما تكن قيمته مما لي عندك ؛ وإذا أراد فأعطه من مالك وأنا أعطيك عوضاً
عنه فقد قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله عليه : « المؤمن لا يكون محتشماً
ولا مفتنًا » . وقد كتبت هذا الخبر حتى يعرف القارىء أن الرجل يعتمد على الرجل ،
وأن الكرم في كل مكان ، وأن أهله كانوا وسيكونون دائماً .

وصف بلاد العرب

جدة :

وجدة مدينة كبيرة لها سور حصين ، تقع على شاطئ البحر ، وبها خمسة آلاف
رجل ، وهي شمال البحر (الأحمر) ، وفيها أسواق جميلة . وقبلة مسجدها الجامع ناحية
المشرق ، وليس بخارجها عمارات أبداً ، عدا المسجد المعروف بمسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم . ولها بوابتان إحداهما شرقية تؤدي إلى مكة ، والثانية غربية تؤدي إلى البحر .
ويبلغ السائر من جدة جنوباً على شاطئ البحر ، اليمن ومدينة صعدة ، والمسافة إلى هناك
خمسون فرسخاً . وإذا سار شمالاً بلغ الجار وهي تابعة للحجاز . وليس في جدة شجر ولا
زرع ، وكل ما يلزمها يحضرونه إليها من القرى . وبينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً .
وأمير جدة تابع لأمير مكة تاج الممالى بن أبي الفتوح الذي هو أمير المدينة أيضاً^(١) . وقد

(١) هو تاج الممالى شكر بن أبي الفتوح حسن بن جعفر العلوي ، من بني موسى العلويين الذين =

ذهبت إلى أمير جدة فأكرم وفادتي وأعفاني مما كان يجب علي من المكس ولم يطلبه . وهكذا خرجت من البوابة في سلام . وقد كتب إلى مكة يقول عنى : هذا رجل عالم فلا يجوز أن يؤخذ شيء منه . وفى يوم الجمعة بعد صلاة العصر قمت من جدة فبلغت باب مكة يوم الأحد سلخ جمادى الثانى . وكان قد حضر إلى مكة للعمرة خلق كثيرون من نواحي الحجاز واليمن فى أول رجب وهو موسم عظيم مثل عيد رمضان ، وهم يحضرون وقت الحج . ولأن طريقهم قريب وسهل يأتون إلى مكة ثلاث مرات كل سنة .

وصف مكة :

تقع مكة بين جبال عالية ، ولا ترى من بعيد ، من أى جانب يقصدها السائر ، وأقرب جبل منها هو جبل أبى قبيس ، وهو مستدير كالقبة ، لورمى سهم من أسفله لبلغ قمته . وهو شرقى مكة ، فترى الشمس من داخل المسجد الحرام ، وهى تشرق من فوقه فى شهر دى (ديسمبر) . وقد نصب على قمته برج من الحجر يقال إن إبراهيم عليه السلام رفعه عليه .

وتشغل هذه المدينة الوادى الذى بين الجبال والذى لا تزيد مساحته عن رمية سهمين فى مثلها ، والمسجد الحرام وسط هذا الوادى ؛ ومن حوله مكة والشوارع والأسواق . وحيثما وجدت ثغرة بين الجبال سدت بسور قوى وضعت عليه بوابة ، وليس بمكة شجر أبدا إلا عند الباب الغربى للمسجد الحرام المسمى باب إبراهيم ، حيث يوجد كثير من الشجر الكبير الذى يرتفع على حافة بئر .

وعند الجانب الشرقى للمسجد سوق تمتد من الجنوب إلى الشمال ، وفى أولها ناحية الجنوب جبل أبى قبيس الذى تقع الصفا على سفحه وتبدو على هذا السفح درجات كبيرة من الحجارة المستوية التى يصعد الحجاج عليها ويدعون ربهم . والمرورة فى نهاية السوق ، شمالى الجبل ، وهى أقل ارتفاعا فى وسط مكة ، وقد شيدت عليها منازل

= حكموا مكة والمدينة منذ سنة ٣٥٠/٩٦١ . وكان أبو المعالى آخرهم ، وقد كان شاعرا ومجبا للأدباء ويذكر له ابن الأثير (ج ١٠ ص ١٢) قوله :

قوض خيامك عن أرض تضام بها وجانب الذل إن الذل مجتنب
وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة فالندل الرطب فى أوطانه حطب

كثيرة . وما يسمى السمي بين الصفا والمروة هو السمي في هذه السوق من أولها لآخرها .
ويجد من يرغب العمرة وهو آت من بعيد ، أبراجا ومساجد على مسافة نصف فرسخ حول
مكة فيحرم منها للعمرة . والإحرام هو نزع الملابس الخفيفة من على الجسد ، وشد الحرم
وسطه بإزار ، ولف جسده بإزار أو وشاح آخر ، وصياحه بصوت عال أن « لبيك
اللهم لبيك » ، ثم يسير نحو مكة . فإذا أراد حاج أن يعتمر وهو بمكة ، فإنه يذهب إلى تلك
الأبراج ويرتدى ثوب الإحرام ويهتف لبيك ويدخل مكة بنية العمرة . فحين يبلغ مكة
يدخل المسجد الحرام ، ويسير نحو الكعبة ثم يطوف ناحية اليمين بحيث تكون هذه
على يساره ، ويتوجه إلى الركن الذي به الحجر الأسود فيقبله ، ثم يمضي ويستمر في
الطواف حتى يعود إلى الحجر الأسود مرة أخرى فيقبله ، وهذا يكون قد أتم طوفة واحدة .
وعلى هذا النحو يطوف سبع مرات ، ثلاثا منها بسرعة وأربعاً على مهل . وبعد تمام
الطواف يتوجه نحو مقام إبراهيم عليه السلام ، وهو أمام الكعبة ، فيقف خلفه ، بحيث
يكون المقام بينه وبين الكعبة ، وهناك يصلي ركعتين ، هما صلاة الطواف . ثم يذهب
إلى حيث بئر زمزم ، فيشرب من مائها أو يمسح بها وجهه ، ثم يخرج من المسجد الحرام ،
من باب الصفا الذي سمي كذلك لأن جبل الصفا يقع خارجه ، فيصعد على عتبات الصفا
مولياً وجهه شطر الكعبة ويدعو بالدعاء المعلوم ، ثم ينزل ويتجه ناحية المروة ماراً بالسوق
التي يسير فيها من الجنوب إلى الشمال ، وعليه أن ينظر إلى أبواب المسجد الحرام حين يمر
بها ، وأن يحث الخطى في المسافة التي سعاها الرسول عليه الصلاة والسلام ، والتي
أمر الناس باجتيازها مسرعين ، وهي خمسون خطوة . وعلى طرفي هذا الوضع (الذي يسار
فيه بسرعة) أربع منارات ، على الجانبين . فإذا بلغ الحاج الآتي من الصفا ما بين المنارتين
الأوليين أسرع حتى يصل إلى ما بين المنارتين الثانيةين ، ثم يسير الهويني ، حتى يبلغ المروة
فيصعد عتباتها ، ويدعو ذلك الدعاء المعلوم . وهكذا يكرر هذا السمي في السوق ، بحيث
يسمى من الصفا إلى المروة أربع مرات ، ومن المروة إلى الصفا ثلاث مرات . فيكون قد
سمي في هذه السوق سبع مرات .

وعندما ينزل الحاج من جبل المروة يجد سوقاً بها عشرون دكاناً متقابلة ، يشغلها جميعاً
حجامون لخلق شعر الرأس . وحين يتم الحاج شعائر العمرة ويخرج من المسجد الحرام ،

يدخل السوق الكبيرة التي تقع ناحية الشرق والمسماة سوق العطارين ، وهي سوق جميلة
البنائيات وكلها عطارون .

وبمكة حمامان بلاطهما من الحجر الأخضر السنان . وقد رت أن سكانها ، القاطنين
بها ، لا يزيدون على ألفين ، والباقي ويقربون من الخمسة ، من الغرباء والمجاورين .
وفي ذلك الوقت كان بمكة قحط ، فكان الستة عشر من القمح بدينار مغربي ، وقد
هاجر منها كثيرون .

وقد كان لأهالي كل مدينة من خراسان وما وراء النهر والعراق وغيرها منازل بمكة ،
ولكن أغلبها كان خراباً وقتذاك . وقد بنى بها خلفاء بغداد عمارات كثيرة وأبنية جميلة ،
وكان بعضها ، وأنا هناك ، خراباً والبعض الآخر اشتراه الناس (أصبح ملكاً خاصاً) . وماء
آبار مكة مالح وُمر لا يستاغ شربه . ولكن بها كثيراً من الأحواض والمصانع
الكبيرة ، بلغت تكاليف الواحد منها أكثر من عشرة آلاف دينار . وهي تملأ من ماء
الأمطار الذي يتدفق من الأودية . وكانت فارغة ونحن هناك .

وقد أنشأ ابن شاذل أحد أمراء عدن مجرى للماء تحت الأرض ، وأنفق عليه أموالاً
كثيرة ، يسقى منه ما على حافته من شجر في عرفات ، وقد حبس هذا الماء هناك حيث
غمرست الحدائق ، فلا يصل (قرب) مكة منه إلا القليل ، لأن القناة لا تبلغها . وهذا
القليل يجمع في حوض خارج مكة ، فيأخذ منه السقاءون ، ويذهبون به إليها ويبيعونه^(١)
وعلى مسافة نصف فرسخ من طريق بركة بئر يسمى بئر الزاهد ، عنده مسجد جميل .
وماء هذا البئر عذب ، ويحمله السقاءون إلى مكة لبيعه . وجو مكة حار جداً ، وفي
آخرهم القديم (يناير - فبراير) ، رأيت بها الخيار والأترنج والبادنجان . وكانت
كلها طازجة .

هذه هي المرة الرابعة التي أزور فيها مكة ، وقد مكثت بها مجاوراً من غرة رجب ٤٤٢
(١٠ نوفمبر ١٠٥٠) إلى العشرين من ذي الحجة (٣ مايو ١٠٥١) . وقد أثمر بها
العنب في الخامس عشر من فروردين (مارس - أبريل) فأحضر من السواد إلى مكة

(١) أنشأته زبيدة زوج هرون الرشيد ، وذلك لإيصال ماء عين النعمان إلى مكة . وقد أصلحه
كثير من الخلفاء وأمراء المسلمين . (شيفر ص ١٨٩) .

و يبيع في السوق . وكان البطيخ كثيرا في أول اردبهشت (أبريل - مايو) . وكانت الفاكهة متوفرة طول الشتاء فلم تنقطع قط .

وصف بلاد العرب واليمن :

وحين يسير المسافر مرحلة واحدة جنوبي مكة يبلغ ولاية اليمن التي تمتد حتى شاطئ البحر . والحجاز واليمن متجاوران ولغتهما العربية . وفي الاصطلاح يقال لليمن حمير ولاحجاز العرب . ويحيط البحر البلدين من ثلاث جهات ، فهما شبه جزيرة ، يحدها شرقا بحر البصرة وغربا بحر القلزم الذي تقدم أنه خليج وجنوبا البحر المحيط . وطول شبه الجزيرة هذه ، التي هي اليمن والحجاز من الكوفة إلى عدن أي من الشمال إلى الجنوب خمسمائة فرسخ ، وعرضها من عمان إلى الجار ، أي من الشرق إلى الغرب ، أربعمائة فرسخ . وبلاد العرب من الكوفة إلى مكة . وبلاد اليمن من مكة إلى عدن .

وببلاد العرب قليلة الخصب ، ويسكن أهلها الصحراء ويملكون الدواب والمواشي وقيمون في الخيام .

وببلاد حمير (اليمن) ثلاثة أقسام ، قسم منها يسمى تهامة وهو على الساحل الشرقي لبحر القلزم وبه كثير من المدن والخصب ، مثل صعدة وزبيد وصنعاء وغيرها . وهذه المدن مشيدة في الصحراء وأمير هذا القسم عبد حبشي من أبناء شاددل . والقسم الثاني من حمير جبلي يسمى نجدا ، وبه أماكن مقفرة وأخرى شديدة البرد كما أن به أودية ضيقة وقلاع محكمة .

والقسم الثالث ناحية المشرق وبه مدن كثيرة منها نجران وعثر وبيشة وغيرها . وبهذا القسم طوائف كثيرة لكل منها ملك أو رئيس ، فليس له حاكم واحد ، فإن سكانه عتاة وأغلبهم لصوص وسفاكو دماء وهم كثيرون ومن كل جنس . ومساحة هذا القسم مائتا فرسخ في مائة وخمسين .

وفي اليمن قصر غمدان^(١) ، بمدينة اسمها صنعاء ، وقد بقي منه ما يشبه التل في وسطها

(١) يذكر ياقوت قصر غمدان (ج ٦ ص ٣٠١ طبعة مصر) ويقول إن الذي بناه هو يشرح بن محصب ، ولأنه بنى على أربعة أوجه ، وجه أبيض ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر ، وبنى =

ويقال ، هناك ، إن رب هذا القصر كان ملصكا على العالم كله . كما يقال إن بهذا التل كنوزا ودقائق كثيرة ، ولكن أحدا لا يجرؤ على مد يده إليها ، سلطانا كان أو من الرعية . ويصنعون بصنعاء العقيق ، وهو حجارة تقطع من الجبل وتسوى على النار في بواتق محاطة بالرمل ، ثم تعرض هكذا — وسط الرمل — لحرارة الشمس وبعد هذا يصقلونها بعجلة . وقد رأيت في مصر سيفا أحضر للسلطان من اليمن ، مقبضه قطعة واحدة من العقيق الأحمر كأنه ياقوت^(١) .

وصف المسجد الحرام والكعبة :

قلنا إن الكعبة تقوم وسط المسجد الحرام ، وإن المسجد الحرام يقوم وسط مكة ، والمسجد ممتد طولاً من الشرق إلى الغرب ، وعرضاً من الشمال إلى الجنوب . وسوره ليس قائم الزوايا ، بل أركانه مقوسة ، تميل إلى الاستدارة ، وذلك حتى تكون وجوه جميع المصلين شطر الكعبة ، في أي جهة كانوا يصلون بالمسجد . وأقصى طول المسجد من باب إبراهيم إلى باب بنى هاشم ، أربع وعشرون وأربعمائة ذراع ، وعرضه من باب الندوة ، وهو جهة الشمال ، حتى باب الصفا ، وهو جهة الجنوب ، وأقصى اتساعه أربع وثلاثمائة ذراع . وبسبب استدارته ، تبدو ساحة المسجد أضيق في جهة وأوسع في جهة أخرى . وحوله ثلاثة أروقة رفعت أسقفها على أعمدة من الرخام . ووسط هذه الأروقة مربع . وعلى طول السقف من ناحية ساحة المسجد خمسة وأربعون طاقا ، وعلى عرضه ثلاثة وعشرون . وعدد الأعمدة الرخامية التي فيه أربعة وثمانون وأربعمائة عمود ، قيل إنها كلها ، أرسلت

القصر على سبعة سفوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعا ، وجعل في أعلاه مجلسا بناه بالرخام الملون وجعل سقفه رخامة واحدة وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد وكانت الريح إذا هبت إلى ناحية دخلت من شقوق فيه ثم خرجت فيسمع له زئير كزئير السباع (كما هو الحال في تمثال ممنون في مصر . انظر دائرة المعارف البريطانية الرابعة عشرة مادة Memnon ، وكالذي يذكر المسعودي في كلامه عن أديرة الصابئة) . وينسب بعض الكتاب هذا القصر إلى سايمان بن داود ، الذي أمر الشياطين ببنائه لبليقيس ، ويقال إنه هدم أيام عثمان بن عفان .

وقد أشار شيفر (١٩٣) إلى كتاب « بهجة الزمن في أخبار اليمن » لضياء الدين عبدالله بن عبدالحجيد . وراجع المسعودي ج ١ ص ٢٨٤ عند كلامه عن وفد العرب إلى معد يكرب وهو بقصر نهمدان . (١) ذكر أحمد النيفسي في كتابه عن الأحجار الكريمة باليمن الأنواع المختلفة للعقيق الذي يستخرج من هذا البلد . ولكنه لم يصر إلى كيفية صقله . (Schefer ص ١٩٤ (٢)) .

من الشام عن طريق البحر ، بأمر خلفاء بغداد . وقيل إنه حين بلغت هذه العمدة مكة ، بلغ ثمن الحبال التي شئت بها إلى السفن والعجلات ، والتي قطعت قطعاً ، ستين ألف دينار مغربي . ومن هذه العمدة عمود من الرخام الأحمر وضع عند باب الندوة ، قيل إنه اشترى بوزنه ذهباً ، ويقدر وزنه بثلاثة آلاف من . والمسجد الحرام ثمانية عشر باباً ، عليها طيقتان مقامة على عمد من الرخام ، وضعت بحيث لا تعوق فتحة الأبواب . وعلى الجانب الشرقي أربعة أبواب هي من الركن الشمالي : باب النبي وبه ثلاثة طيقتان مقفلة . وعلى هذا الجانب نفسه عند الطرف الجنوبي (للباب الأول) باب آخر يسمى باب النبي أيضاً ، وبين هذين البابين أكثر من مائة ذراع^(١) . ولهذا الباب طاقان . وفي خارجه سوق العطارين . وقد كان منزل النبي عليه السلام في هذه السوق ، وكان يدخل من هذا الباب للصلاة في المسجد . فإذا جاوز السائر هذا الباب ، وجد على السور الشرقي أيضاً ، باب على عليه السلام ، وهو الباب الذي كان يدخل منه أمير المؤمنين علي عليه السلام ، للصلاة بالمسجد ، وله ثلاثة طيقتان . فإذا جاوزه يجد عن ركن المسجد منارة أخرى يبدأ منها السعي ، وهي غير المنارة التي بباب بني هاشم ، ومن عندها ينبغي الإبراع في السعي ، وهي إحدى المنارات الأربع المذكورة (المنارات الأربع في طريق السعي)^(٢) .

وعلى الحائط الجنوبي الذي هو طول المسجد ، سبعة أبواب : أولها على الركن المقوس ، واسمها باب الدقاقين ، وله طاقان . وغربيه بقليل باب آخر ذو طاقين ، يقال له باب الفسانين (؟) وبعده بقليل باب الصفا ، وله خمسة طيقتان ، أكبرها الطاق الأوسط ، وعلى كل من جانبيه طاقان صغيران . وكان رسول الله عليه السلام يخرج من هذا الباب ويذهب إلى الصفا ويدعو . وعتبة الطاق الأوسط مكونة من حجر أبيض كبير ، وكان بها حجر أسود وطئه الرسول عليه السلام بقدمه ، فارتسم نقش القدم المبارك عليه ، وقد نزع هذا الجزء من الحجر الأسود وركب في الحجر الأبيض بحيث تكون أطراف أصابع القدم داخل

(١) يسمى هذان البابان الآن ، باب السلام وباب الجنائز . Schefer . من ١٩٥ . وراجع غني زاده من ١٠٤ (١١) حيث نسر « گوشه جنوبي » بأن المقصود أن الباب الثاني في الطرف الجنوبي للباب الأول . والطاق هو المقعد .

(٢) في هذه الجملة نقص واضطراب . غني زاده من ١٠٥ (٣) .

المسجد ، ويضع بعض الحجاج وجوههم على هذا الحجر وبعضهم يضعون أقدامهم تبركا ، وأعرف أن الأفضل أن أضع وجهي . وبعد هذا الباب بقليل ، ناحية المغرب ، باب السطوي^(١) وله طاقان . ثم من بعده بقليل باب التمارين وله طاقان ، ثم باب المعامل وله طاقان . ويقابله بيت أبي جهل وهو الآن مراحض .

وعلى الحائط الغربي ، وهي عرض المسجد ، ثلاثة أبواب . الأول عند الركن الجنوبي واسمه باب عمروة^(٢) وله طاقان . وفي الوسط باب إبراهيم وله ثلاثة طيقان .

وعلى الحائط الشمالي وهي طول المسجد أربعة أبواب . ففي الركن الغربي باب الوسيط وله طاق واحد . ومن بعده ، ناحية المشرق ، باب العجلة وله طاق واحد . ومن بعده ، في الوسط ، باب الندوة وله طاقان . ثم باب المشاورة وله طاق واحد . وعند زاوية المسجد ، في الشمال الشرقي ، باب يسمى باب بنى شيبه^(٣) .

والكعبة في وسط ساحة المسجد ، وهي مستطيل طوله من الشمال إلى الجنوب ثلاثون ذراعا وعرضه من المشرق إلى المغرب ست عشرة ذراعا . وبأها شرقي ، بحيث يكون الركن العراقي على يمين الداخل ، وركن الحجر الأسود على يساره . ويسمى ركنها الجنوبي الغربي بالركن اليماني ، وركنها الشمالي الغربي بالركن الشامي . والحجر الأسود مركب على زاوية الحائط في حجر كبير ، بحيث إذا وقف رجل طويل القامة يكون مقابلا لصدرة . وطول هذا الحجر شبر وأربعة أصابع ، وعرضه ثمانية أصابع ، وهو مستدير الشكل^(٤) . وبينه وبين باب الكعبة أربع أذرع ويسمى ما بينهما للتمزم .

(١) كان يسمى باب الأجياد ويسمى الآن الباب الشريف . شيفر ١٩٦ .
(٢) صححه شيفر بأنه باب العمرة ثم قال إن الباب الثالث الذي يفتح في الحائط الغربي هو باب الوداع وقد لقيه ناصر خسرو أو ناسخ النص . شيفر من ١٩٧ .
(٣) لاحظ غني زاده من ١٠٦ (١٨) أن النص الفارسي أشار إلى سبعة عشر بابا مع أنه قال إن أبواب المسجد الحرام ثمانية عشر . وقد ذكرنا اسم الباب الناقص وهو باب الوداع .
ويلاحظ أن الرحالة المسلمين ، المقدسي وابن جبير والأزرقي وقطب الدين وغيرهم ، قد لاحظوا أن أسماء أبواب المسجد الحرام كانت تختلف باختلاف العصور . ولوقوف على هذه الأسماء المختلفة يراجع الجدول الذي عمله Burckardt في الجزء الأول من ٢٠٤ - ٢٠٥ من رحلته في الحجاز (ترجمة فرنسية ، Eyriés : Voyage en Arabie contenant la description des parties du Hedjaz regardées comme sacrées par les Musulmans . وراجع Schefer من ١٩٧) .

(٤) عندما احترقت الكعبة أثناء حرب عبدالله بن الزبير أذابت النار الحجر وشقته إلى ثلاث قطع .

ويرتفع باب السكبة عن الأرض أربع أذرع ، بحيث إذا وقف رجل مديد القامة على الأرض يصل إلى عتبه . وقد صنّع سلم من الخشب ، يضعونه وقت الحاجة أمام الباب ، فيصعد عليه الناس ويدخلون السكبة ، ويسع عرض هذا السلم عشرة رجال ، يصعدون وينزلون بعضهم بجانب بعض . وأرض السكبة عالية بهذا المقدار .

وصف باب السكبة :

هو باب من خشب الساج ، له مصراعان . ارتفاعه ست أذرع ونصف ذراع وعرض كل من مصراعيه ذراع وثلاثة أرباع الذراع ، فعرضهما معاً ثلاث أذرع ونصف . وعلى صدر الباب وأعلى كتابته ، كما أن عليه دوائر زخرفية من فضة ، وكتابات منقوشة بالذهب والفضة ، وقد كتبت عليه هذه الآية حتى آخرها : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة (مباركا وهدى للعالمين) ^(١) » . وله حلقتان كبيرتان من الفضة ، أرسلتا من غزيرين ، وقد ركبتا في مصراعيه بحيث لا تصل إليهما يد إنسان . ومن تحتهما حلقتان أخريان من الفضة ، أصغر حجما ، وموضوعتان بحيث تصل اليد إليهما . وفيهما قفل كبير من الفضة أيضا يقفل به الباب ولا يفتح مالم ينزع القفل .

وصف الكعبة من الداخل :

يبلغ سمك حائطها ستة أشبار . وأرضها مغطاة بالرخام الأبيض . وبالسكبة ثلاث خلوات صغيرة ، كأنها دكاكين ، إحداها تقابل الباب والأخريان على الجانب الشمالي . والأعمدة التي بالسكبة والتي أقيم عليها السقف كلها من خشب الساج

فكان الزبير أول من ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه من حريق ثم كانت الفضة قد رقت وتزعزت حول الحجر الأسود حتى خافوا على الركن أن ينقض فلما اعتمرهمسون الرشيد وجاور في سنة ٢٨٩/٩٠١ ، أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود فتقبت بالمال من فوقها وتحتمها ثم أفرغت فيها الفضة .

وفي ٣١٧/٩٣٠ استطاع أبو طاهر أن ينهب السكبة وأن ينقل الحجر الأسود إلى الحسا كما سيقول ناصر خسرو (ص ٩٤) ، وقد رده القرامطة ، بعد موت أبي طاهر ، سنة ٣٣٩/٩٥٠ . ويقال إن الحاكم بأمر الله أرسل إلى مكة رجلا ليكسر الحجر الأسود فضربه بقطعة من الحديد ثلاث مرات ، وقد قتل في الحال وذبح الجند الذي أعد لحراسته ونهبت قافلة الحجاج من أهل مصر . راجع Schefar ص ١٩٠ وأخبار مكة للأزرقي ص ٢٣٥ (طبعة مكة) .

(١) سورة آل عمران آية ٩٦ .

المربع ، إلا عموداً واحداً مدوراً . وفي الجانب الشمالى قطعة مستطيلة من الرخام الأحمر ، يقال إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يصلى عليها . ويجتهد كل من يعرف ذلك أن يصلى هناك . وقد غطيت حوائط الكعبة بألواح الرخام الملون . وعلى الجانب الغربى منها ستة محاريب من الفضة ، أصقت بالحائط بمسامير . ويبلغ ارتفاع كل منها قامة الرجل وهي مزينة بنقوش كثيرة من الذهب والفضة ، وهي مرتفعة عن الأرض . وحوائط الكعبة الأربعة ، حتى أربعة أذرع من الأرض ، خالية من النقوش ، وأما بعد ذلك إلى السقف ، فمزينة بالرخام المنقوش والموشى أغلبه بالذهب .

وفوق كل من الخلوات الثلاث التي ذكرتها والتي توجد إحداها في الركن العراقى ، والأخرى في الركن الشامى ، والثالثة في الركن اليمانى ، فوق كل ركن منها ، لوحان من الخشب مثبتان على الحائط بمسامير من فضة ، وهي ألواح من خشب سفينة نوح عليه السلام ، طول كل منها خمس أذرع وعرضه ذراع واحد .

وقد أسدل على الخلوة التي خلف الحجر الأسود ستار من الديباج الأحمر . وحين يدخل السائر في الكعبة يجد على اليد اليمنى زاوية مربعة بمقدار ثلاث أذرع في مثلها . وهناك سلم يؤدي إلى سطح الكعبة ، عليه باب من الفضة له مصراع واحد ، يسمى باب الرحمة ، وعليه قفل من الفضة ، فإذا صار فوق سطح الكعبة يجد باباً آخر ، مثل الباب السابق منقوش بالفضة على وجهيه . وقد غطى سقف الكعبة بالخشب المغطى بالحريز الذي يحجبه عن الأنظار . وعلى حائط الكعبة الأمامى ، فوق العمدة الخشبية ، كتابة ذهبية فيها اسم العزيز بالله سلطان مصر الذى استولى على مكة من الخلفاء العباسيين . وعلى الحائط أربعة ألواح أخرى كبيرة من الفضة ، متقابلة ، ومثبتة بمسامير من فضة . وعلى كل لوح منها اسم السلطان الذى أرسله من سلاطين مصر ، وكان كل منهم يرسل لوحاً في عهده .

وبين الأعمدة ثلاثة فناديل فضية معلقة ، وبلاط سطح الكعبة من الرخام اليمانى الذى يلمع كأنه البلور . وفي أركانها أربع روازن على كل منها لوح من الزجاج لينفذ منه النور ولمنع تسرب المطر .

والميزاب في وسط الحائط الشمالى وطوله ثلاث أذرع ، وكله مطلق بالذهب .
والكسوة التى تغطى بها الكعبة بيضاء ، وقد طرزت في موضعين ، عرض كل
منهما ذراع ، وبينهما عشر أذرع تقريباً ، ومن فوقهما وتحتها عشر أذرع أيضاً ، بحيث
ينقسم ارتفاع الكعبة إلى ثلاثة أقسام ، كل منها عشر أذرع ، بواسطة طرازى الكسوة .
وعلى جوانب هذه الكسوة الأربعة نسجت محاريب ملونة مزينة بخيوط من ذهب .
وعلى كل ناحية ثلاثة محاريب : محراب كبير في الوسط ، ومحرابان صغيران على جانبيه
فعلى النواحي الأربعة إثنا عشر محراباً .

وخارج الكعبة حائط علوه ذراع ونصف ، وتتصل نهايتها بركنى الكعبة ،
لأن هذا الحائط مقوس كنصف الدائرة ، وهو يبعد من منتصفه عن الكعبة مقدار خمس
عشرة ذراعاً ، وأرض هذا الموضع مبلطة بالرخام الملون المتقوش ، ويسمى الحجر . وبه
يصب ماء الميزاب الذى فوق الكعبة ، وقد وضع تحته قطعة من الحجر الأخضر على
شكل محراب ، يسقط عليها الماء ، وهى كبيرة بحيث يستطيع رجل أن يصلى عليها .
ومقام إبراهيم عليه السلام شرقى الكعبة . وهو الحجر الذى به آثار قدمى إبراهيم
عليه السلام . وهو مركب فى حجر آخر وعليه غلاف مربع من الخشب ، بارتفاع قائمة
الرجل ، وهو فى غاية الدقة ، ووضعت عليه ألواح من الفضة . وقد أحكم ربط الغلاف
بالحائط بسلاسل من الجانبين ، وعليه قفلان ، وذلك حتى لا يستطيع أحد أن يلمس
الحجر . وبين الكعبة ومقام إبراهيم ثلاثون ذراعاً .

بئر زمزم :

بئر زمزم^(١) شرقى الكعبة ، حذاء ركن الحجر الأسود . وبين زمزم والكعبة ست

(١) يرجع تاريخها ، عند رواية العرب ، إلى أيام هاجر أم اسماعيل ، فإنه لما طلب الماء فلم يجده
جاء بجبريل وغمز الأرض بقبه فنبع الماء وكانت زمزم . . . ثم بنيت مكة حولها وسكنتها قبيلة جرم التي
يقال إنها طمست البئر حين نفيت من مكة . وقد كشفها وزاد فى غورها عبد المطلب بن هاشم وولده
الحارث . وقد وجد عبد المطلب بها الأواني الذهبية والأسلحة التى ألغافها فيها بنو جرم ، ثم أمر بتوزيع
مائها على الحجاج الذين كانوا يقدون كل عام لزيارة الكعبة . وقد أخذ ماؤها فى التناقص فعمل الولاة
فى السنين ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ (٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥) على زيادة غورها وتدعيم جدرانها . =

وأربعون ذراعاً ، وسعة البئر ثلاث أذرع ونصف في مثلها . وماؤها ملح ولكنه يستساغ . وقد بنوا عند فوهتها خرزة من الرخام الأبيض ارتفاعها ذراعان ، وفي جوانب حجرة زمزم الأربعة أحواض يصب فيها الماء ، ويتوضأ الناس به . وأرضها من الخشب المشبك بسيل الماء الذي يراق بها . وبابها ناحية المشرق .

وأمام البئر ناحية المشرق ، بناء آخر مربع عليه قبة ، يسمى سقاية الحاج ، وضع به أزيار يشرب منها الحاج . وبعد هذا البناء ، ناحية الشرق ، بناء آخر مستطيل ، عليه ثلاث قباب ، يسمى خزانة الزيت ، به الشمع والزيت والقناديل .

وحول الكعبة أعمدة يتصل بعضها ببعض بواسطة عروق من الخشب ، عليها زخارف ونقوش من الفضة ، ومعلق بها الخلق والكلابات . حتى يوضع الشمع في هذه وتدلى المصابيح من تلك بالليل ، ويسمى هذا الموضع المشاعل ، ويفصله عن الكعبة خمسون ومائة ذراع ، وهي مسافة الطواف .

فجيلة المباني التي بساحة المسجد الحرام ، عدا الكعبة المعظمة ، شرفها الله تعالى ، ثلاثة ، هي بيت زمزم وسقاية الحاج وخزانة الزيت .

وتحت السقف المحيط بالمسجد ، بجانب الخائط ، صناديق من جميع مدن المغرب ومصر والشام والروم والعراقين وخراسان وما وراء النهر وغيرها .

وعلى مسافة أربعة فراسخ شمالي مكة ، ناحية تسمى بركة يقيم بها أمير مكة مع جيش خاص به ، وهناك ماء جار وأشجار ، ومساحتها فرسخان طولاً في مثلها عرضاً .

وفي هذه السنة كنت بمكة مجاوراً منذ أول رجب . وعادتهم أن يفتحوا باب الكعبة كل يوم في هذا الشهر منذ شروق الشمس .

== ويقول الأزرقى (٣٠٠ - ٣٠١) إن في قعر البئر ثلاث عيون : عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس وعين حذاء المروة . وفي ١٤١٩/٨٢٢ عمر بيت زمزم وأحواضه والمظلة التي فوقه للمؤذنين على نفقة الشيخ علي بن محمد بن عبد الكريم الجيلاني . وفي ١٥٢٦/٩٣٣ عمل لدائر بيت زمزم طراز مذهب وكتب فيه اسم السلطان سليمان . وفي ١٥٤١/٩٤٨ جدد الأمير خشقلدي بيت زمزم فرمخت أرضه وجعل عليه سقف فوقه مظلة مسقوفة بالخشب المزخرف عليه جمالون في وسطه قبة مصفحة بالرصاص . وفي ١٦١١/١٠٢٠ وضعت شبكة من الحديد بداخل البئر ومنخفضة عن سطح الماء بمقدار متر حتى لا يفرق المجاذيب إذا ألقوا بأنفسهم فيها وقد أمر بذلك السلطان أحمد خان . راجع مرآة الحرمين لإبراهيم زفت باشا ج ١ ص ٢٥٥ وما بعدها وشيفر ٢٠٦ .

وصف فتح باب الكعبة :

امتازت قبيلة من العرب تسمى بنى شيبه ، بحفظ مفتاح باب الكعبة ، وهم خدمها . وكان لهم خلع ومشاهرات من سلطان مصر . ولهم رئيس بيده المفتاح . وحين يجي ، يصاحبه خمسة أو ستة أفراد ، وحين يصلون ينضم إليهم عشرة من الحجاج فيرفعون السلم الذي قدمنا وصفه ويضعونه أمام الباب ، فيصعد هذا الشيخ ويقف على العتبة ، ويصعد بعده رجلان ويرفغان الستار والديباج الأصفر ، يمسك كل منهما طرفاً منه بحيث يحجب الشيخ وهو يفتح الباب . يفتح الشيخ القفل ، وينزعه من الحلق ، بينا الحجاج وقوف أمام الكعبة . فحين يفتح الباب يرفعون أيديهم بالدعاء ، فيعرف كل من يسمع صوتهم بمكة أن باب الكعبة قد فتح ، فيرفع الناس جميعاً أصواتهم عالية ويدعون ربهم ، وتحدث جلجلة عظيمة بالبلد . ثم يدخل الشيخ ، بينا الرجلان يمسكان الستار ، ويصلي ركعتين . ثم يعود ويفتح الباب على مصراعيه ، ويقف على العتبة ، ويقرأ الخطبة عليهم بصوت مرتفع ، ويصلي على رسول الله عليه الصلوات والسلام وعلى أهل بيته ، ثم يقف الشيخ وأصحابه على جانبي باب الكعبة ، بينا يأخذ الحجاج في الصعود ودخول الكعبة ، فيصلي كل منهم ركعتين ثم يخرج ، ويدوم ذلك إلى قرب منتصف النهار . ويولون وجوههم أثناء صلاتهم بالكعبة نحو الباب ، مع جواز التوجه نحو الجوانب الأخرى . وقد أحصيت الناس في وقت كانت الكعبة ممتلئة فيه ، حتى لم يكن بها مكان لداخل ، فكانوا عشرين وسبعمئة رجل . وعامة حجاج اليمن يشبهون الهنود ، فكل منهم يتشبع بغوطة ، وشعورهم متدلّية ، ولحاهم مضفرة ، وفي وسط كل منهم حربة قطيفية كالتى يتمنطق بها الهنود ، ويقال إن أصل الهنود من اليمن ، وأن قتالة أصلها كتارة (الحربة) ثم عربت . ويفتح باب الكعبة أيام الإثنين والخميس والجمعة من أشهر شعبان ورمضان وشوال . فإذا جاء ذو القعدة أغلق الباب .

عمرة الجعرانة :

على أربعة فراسخ من شمال مكة ، مكان يسمى الجعرانة ، كان به النبي عليه السلام مع جيشه في السادس عشر من ذي القعدة فأحرم منه وجاء إلى مكة واعتمر . وهناك

بئران : بئر الرسول و بئر علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما . وماء البئر عذب جدا وبينهما عشر أذرع . وقد اتخذت هذه العمرة النبوية سنة تؤدى في هذا الموسم . وقرب البئر صخرة كبيرة ، فيها فجوات كأنها كؤوس ، يقال إن النبي عليه السلام مسح بالدهن فيها يديه . والذين يزورون هذا المسكن يعجنون الدهن بأيديهم بماء هذين البئرين . ويتخذون من الأشجار الكثيرة هناك وقودا للخبز الذي يرسلونه إلى الأقطار تبركا . وهناك أيضاً صخرة كبيرة مرتفعة ، يقال إن بلالا الحبشي كان يقف عليها ويؤذن للصلاة ، ويصعد عليها الزائرون ويؤذنون . وحين كنت بالجرانة كان بها أناس كثيرون وكان بها أكثر من ألف رجل بالعماريات مما يمين كثرة الزائرين الآخرين .

ومن مصر إلى مكة عن الطريق الذي سرت فيه هذه المرة ثلاثمائة فرسخ . ومن مكة إلى اليمن اثنا عشر فرسخاً .

وتقع صحراء عرفات بين جبال صغيرة كالتلال ، ومساحتها فرسخان في مثلها . وكان بها مسجد بناه إبراهيم عليه السلام ، لم يبق منه هذه الساعة غير منبر خرب من الطوب النبي ، يصعد عليه الخطيب في صلاة الظهر ويخطب ، ثم يؤذنون للصلاة ثم يصلون جماعة ركعتين ، سنة المسافرين ، ثم يقيمون الصلاة ويصلون جماعة ركعتين آخرين ثم يجلس الخطيب على جبل ويتجه شرقاً والذاس وراءه . وعلى بعد فرسخ جبل حجرى صغير يسمى جبل الرحمة . هناك يقفون ويدعون حتى وقت الغروب .

وقد أوصل ابن شاد دل ، الذي كان أميراً لمدن ، الماء إلى جبل الرحمة من مكان بعيد وأنفق في ذلك مالا طائلاً . ويحمل الماء من هذا الجبل إلى صحراء عرفات ، حيث عمات أحواض تملأ ماء أيام الحج حتى يتيسر الماء للحجاج . وقد بنى هذا الأمير ، فوق جبل الرحمة ، طاقاً مربعاً كبيراً ، يضعون فوق قبتة كثيراً من القناديل والشموع ليلة عرفة ويومه ، فيرى نورها من مسافة فرسخين . وقيل إن أمير مكة أخذ ألف دينار من ابن شاد دل ليجيز له إقامة هذا الطاق .

في التاسع من ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٢٧ أبريل ١٠٥١) قضيت الحجة الرابعة بعون الله سبحانه وتعالى . ولما غابت الشمس عاد الحجاج والخطيب من

عرفات ، وساروا فرسخاً إلى المشعر الحرام . ويسمونه المزدلفة . وهناك بناء جميل كالمقصورة يصلى فيه الناس ويأخذون منه حجارة الرجم التي يرمونها بمنى . والعادة أن يقضى الحجاج هذه الليلة ، وهي ليلة العيد ، هناك ، حيث يصلون الفجر ، وعند طلوع الشمس يتوجهون إلى منى حيث يضجون . وهناك مسجد كبير يسمى مسجد خيف . وليس من الفروض إلقاء الخطبة وصلاة العيد بمنى في ذلك اليوم ، ولم يأمر بهما المصطفى عليه السلام . ويكون الحجاج بمنى في العاشر من ذى الحجة ، وهناك يرمون الحجارة ، وشرح ذلك مذكور في مناسك الحج . وفي الثاني عشر من ذى الحجة يغادر منى من عزم على العودة لبلادهم ، ويذهب إلى مكة أهلها .

الى لحسا عن طريق الطائف ومطار والتمريا وهنوع وسربا وفتح واليمامة :

بعد إتمام الحج استأجرت جملاً من أعرابي لأذهب إلى لحسا ، وقيل إنهم يبلغونها من مكة في ثلاثة عشر يوماً . وقد ودعت بيت الله يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٧ مايو سنة ١٠٥١) الموافق أول خرداد القديم (مايو - يونيو) . وقد وجدنا مرجاً بعد سبعة فراسخ من مكة عنده جبل ، ولما بلغناه وجدنا سهلاً وقرى وبتراً اسمها بئر الحسين بن سلامة . وكان الجو بارداً ، وقد سرنا ناحية المشرق .

بلغنا الطائف يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذى الحجة ، ومن مكة إلى هناك اثنا عشر فرسخاً . والطائف ناحية على رأس جبل . وكان الجو بارداً في شهر خرداد (مايو - يونيو) حتى لزم الجلوس في الشمس ، بينما يكثر البطيخ بمكة في هذا الوقت . وقصبة الطائف هذه مدينة صغيرة بها حصن محكم وسوق وجامع صغيران ، وبها ماء جار وأشجار رمان وتين كثيرة . وبجوارها قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه^(١) . وقد بنى خلفاء بغداد هناك مسجداً كبيراً يقع القبر في زاويته ، على يمين المحراب والمنبر . وبني الناس هناك بيوتاً يسكنونها .

سرنا من الطائف واجتازنا جبلاً وأراضى صخرية ، وكنا نجد حيثما سرنا قلاعاً محصنة وقرى . وقد أروني وسط الصخور قلعة خربة ، قيل إنها كانت بيت ليلي ، وقصتهم في

(١) توفي بها سنة ست وثمانين هجرية (٦٨٧) في العام الحادي والسبعين من عمره .

هذا عجيبية . ومن هناك بلغنا قلعة تسمى مُطار ، وبينها وبين الطائف إثنا عشر فرسخاً . ثم بلغنا ناحية تسمى الثريا بها نخيل كثير ، وتزرع أرضها بمياه الآبار والسواقي . قالوا وليس لهذه الناحية حاكم أو سلطان ، فإن على كل جهة رئيساً أو سيداً مستقلاً ، ويعيش الناس على السرقة والقتل وهم في حرب دائم بعضهم مع بعض^(١) . ومن الطائف إلى هناك خمسة وعشرون فرسخاً . وبعد ذلك مررنا بقلعة تسمى جزع . وعلى مسافة نصف فرسخ منها أربع قلاع ، نزلنا عند أكبرها وتسمى حصن بنى نسير^(٢) ، وهناك قليل من النخيل ، وبيت العربي الذي استأجرنا جملة في الجزع هذه . وقد لبثنا هناك خمسة عشر يوماً إذ لم يكن معنا خفير يهديننا الطريق . ولكل قوم من عرب هذا المسكان أرض محددة ترعى بها ماشيتهم ، ولا يستطيع أجنبي أن يدخلها ، فهم يمسون كل من يدخل بغير خفير ويجردونه مما معه . فيلزم استصحاب خفير من كل جماعة حتى يتيسر المرور من أرضهم ، فهو وقاية للمسافر ، ويسمونه أيضاً مرشد الطريق (قلاوز) . وقد اتفق أن جاء إلى الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا في طريقنا وهم بنو سواد ، واسمه أبو غانم عيس بن البعير ، فاتخذناه خفيراً ، وذهبتنا معه . وقابلنا قومه ، فظنوا أنهم لقوا صيداً ، إذ أن كل أجنبي يروونه يسمى صيداً ، فلما رأوا رئيسهم معنا أسقط في أيديهم ، ولولا ذلك لأهاسكونا . وفي الجملة لبثنا معهم زمناً ، إذ لم يكن معنا خفير يصحبنا . ثم أخذنا من هناك خفيرين ،

(١) يقول شيفر ص ٢١٦ ، نقلاً عن مخطوط في مكتبته اسمه « تاريخ مستصرى » ، في الصفحتين ٤٥ - ٤٦ ، إن جمال الدين بن الجاور يؤيد ما ذهب إليه ناصر خسرو فيما يتعلق بسكان الجزء الجنوبي الشرقي من الطائف حيث يقول :

إن هذا المسكان يشتمل على قرى تسكاد تسكون متساوية في المساحة . يسكن كلا منها جماعة أو قبيلة من الأعراب . وهم لا يرضون أن يقيم أجنبي في أرضهم أو يقف بها . وفي كل قرية قلعة من الحجر والطين ولكل مواطن حجرة بها يضع فيها أملاكه وما ينهب ، وبأخذ منها حاجياته كل يوم . ويقوم السكان في أربعة شوارع واسعة مشيدة حول القلعة وتوضع كل قرية لشيخها ، الذي يختار من بين كبارهم لسته وذكائه ، ولا ينازعه أحد السلطة ولا يعارضه في رأى . ولا تعرف هذه البلاد سلطاناً ولا يدفع السكان أى ضريبة ، فلا يعطون غير ما يشاءون . وكل قرية في عدا دائم مع الأخرى . ويعمل كل منهم على انتزاع ما يملك جاره . فأقارب زيد مشتغلون بانتزاع ما يملك أقارب عمرو ، ويزرع هؤلاء الأعراب القمح والشعير ، وفي بلادهم العنب والرمان واللوز . وغذاؤهم الرئيسي الزبدة والعسل . وهم يجمعون نسهم إلى قحطان أو غيره .

(٢) صححها شيفر بنى نسير ، وهم من أبناء عامر ، يسكنون الجبال والوديان في جزء من بلاد نجد واليمامة . راجع ياقوت ج ٢ ص ٢٨٩ ، وشيفر ص ٢١٧ .

أجر كل منهما عشرة جنهات ، ليسيرا بنا بين قوم آخرين . وقد كان من هؤلاء العرب شيوخ في السبعين من عمرهم قالوا لى إنهم لم يذوقوا شيئاً غير لبن الإبل طوال حياتهم ، إذ ليس في هذه الصحراء غير علف فاسد تأكله الجمال ، وكانوا يظنون أن العالم هكذا . وظلت أتحول من قوم إلى قوم ، وأجد في كل مكان خطراً وخوفاً ، إلا أن الله تبارك وتعالى سلمنا منها .

وبلغنا مكاناً في وسط أرض ملؤها الصخور يسمى سَرَبًا . رأيت به جبالا كل منها كالعقبة^(١) ، لم أر مثلها في أى ولاية ، وهى من الارتفاع بحيث لا يصل إليها السهم ، ومساء كعبضة الطائر ، وصلبة بحيث لا يظهر عليها شق أو التواء . وقد سرنا من هناك ، فسكان زملاؤنا في الطريق كلما رأوا ضبا قتلوه وأكلوه ، وكانوا يحملون لبن الجمال حيث وُجد الأعراب . ولم أكن أستطيع أكل الضب أو شرب لبن الجمال . وفى كل جهة في الطريق شجر به ثمر في حجم حبة البسلة ، فسكنت أفنع بأكل حبات منها . وبعد معاناة مشاق ومتاعب كثيرة بلغنا فلج في الثالث والعشرين من صفر (١٠٥١/٤٤٣) .

فلج :

ومن مكة إليها ثمانون ومائة فرسخ . وتقع فلج هذه وسط البادية وهى ناحية كبيرة ، ولسكنها حرب بالتمصب . وكان العمران ، حين زرتها ، قاصرا على نصف فرسخ في ميل عرضا . وفى هذه المسافة أربع عشرة قلعة للصوم والمفسدين والجهلة . وهى مقسمة بين حز بين بينهما خصومة وعداوة دائمة . وقد قالوا نحن من أصحاب الرقيم الذين ذكروا في القرآن الكريم . وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل . أما زرعهم ففى أرض عالية يرفع إليها معظم الماء من الآبار . وهم يستخدمون فى زراعتهم الجمال لا الثيران ولم أرها هناك . وزراعتهم قليلة . وأجر الرجل فى اليوم عشرة سيرات^(٢) من غلة ، يخبزها أرغفة . ولا يأكلون إلا قليلا من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية ، كما فى رمضان . ويأكلون التمر أثناء النهار . وقد رأيت هناك تمرا طيبا جدا أحسن مما فى البصرة وغيرها . والسكان هناك فقراء جدا وبؤساء ، ومع فقرهم فإنهم كل يوم فى حرب وعداء وسفك دماء

(١) تسمى هذه الجبال بجبل الطويق ، شيفر ٢١٩ .

(٢) وزن البيرة خمسة عشر مثقالا ، شيفر ص ٢٢٠ .

وهناك تمر يسمونه ميدون ، تزن الواحدة منه عشرة دراهم . ولا يزيد وزن النوى به عن داتق ونصف . ويقال أنه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة . ومعاملتهم بالذهب النيشابورى وقد لبثت بفلاج هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها . لم يكن معى من شئون الدنيا سوى سلتين من الكتب ، والناس جبايع وعراة وجهلاء ، ويلتزمون حمل القرس والسيف إذا ذهبوا للصلاة ، ولا يشترون الكتب . وكان هناك مسجد نزلنا فيه ، وكان معى قليل من اللوئين القرمزى واللازورد ، فكتبت على حائط المسجد بيت شعر ووضعت فى وسطه ورق الشجر ، فراوه وتعجبوا وتجمع أهل القلعة كلها ليتفرجوا عليه . وقالوا لى إذا تنقش محراب هذا المسجد نعطيك مائة من تمر ، ومائة من تمرا عندهم شىء كثير ، فقد أتى ، وأنا هناك ، جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة من تمرا فلم يقبلوا وحاربوا ، وقتل من أهل القلعة عشرة رجال ، وقلعت ألف نخلة ولم يعطوهم عشرة أمنان تمرا ! وقد نقشت المحراب كما اتفقوا معى ، وكان لنا فى المائة من من التمر عون كبير إذ لم يكن ميسورا أن نجد غذاء ، ولم يكن لدينا أمل فى الحياة ولم نكن نستطيع أن نتصور خروجنا من هذه البادية ، إذ كان ينبغى للخروج منها ، عن أى طريق ، اجتياز مائتى فرسخ من الصحراء ، كلها مخاوف ومهالك . ولم أر فى الأشهر الأربعة التى أقمتها بفلاج خمسة أمنان من القمح فى أى مكان . وأخيرا أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله إلى الحسا . فإنه يُحضّر من اليمن إلى فلاج حيث يباع للتجار . قال لى أعرابى : أنا أحملك إلى البصرة . ولم يكن معى شىء قط لأعطيه أجرا ، والمسافة مائتا فرسخ وأجرة الجمل دينار . ويبيع الجمل العظيم هناك بدينارين أو ثلاثة . ولسكنى رحلت نسيئة إذ لم يكن معى نقود ، فقال الأعرابى : أحملك إلى البصرة على أن تأجرنى ثلاثين دينارا ، فقبلت مضطرا ، ولم أكن قد رأيت البصرة قط . فوضع هؤلاء الأعراب كتمى على جمل أركبوا عليه أنخى ، وسرت أنا راجلا . وتوجهنا فى اتجاه مطلع بنات النعش (الدب الأكبر) . كان الطريق مستويا لا جبال فيه ولا مرتفعات ، وكان ماء المطر متجمعا حيثما كانت الأرض أشد صلابة . ومضت ليال وأيام ، ولم يبد فى أى جهة أثر الطريق إلا أنهم كانوا يسيرون بالغريزة (السمع) ، ومن العجيب أنهم كانوا يبلغون فجأة بئر ماء مع عدم وجود أى علامة .

البيامة .

وبالاختصار بلغنا البيامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها . وبالبيامة حصن كبير قديم ، والمدينة والسوق ، حيث صناع من كل نوع ، يقعان خارج الحصن . وبها مسجد جميل . وأمرؤها علويون منذ القديم^(١) . ولم يبتزع أحد هذه الولاية منهم إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر ، وهؤلاء العلويون ذوو شوكة ، فديهم ثلاثمائة أو أر بعانة فارس . ومذهبهم الزيدية^(٢) ، وهم يقولون في الإقامة « محمد وعلى خير البشر وحى على خير العمل » . وقيل إن سكان هذه المدينة شريفية (خاضعون للأشراف) . وبالبيامة مياه جارية في القنوات وفيها نخيل . وقيل إنه حين يكثر التريباع الألف من منه بديفار . ومن البيامة إلى لحسا أربعون فرسخا . ولا يتيسر الذهاب إليها إلا في فصل الشتاء حين تتجمع مياه المطر فيشرب الناس منها ، ولا يكون ذلك في الصيف .

رصف لحسا (الأصهار أو الحسا) :

ولحسا مدينة في الصحراء ، ولبلوغها ، عن أى طريق ، ينبغى اجتياز صحراء واسعة . والبصرة أقرب البلاد الإسلامية التي بها سلطنة إلى لحسا . وبينهما خمسون ومائة فرسخ . ولم يقصد سلطان من البصرة لحسا أبداً .

ولحسا مدينة وسواد أيضاً وبها قلعة ، ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء بين كل اثنين منها ما يقرب من فرسخ . وفي المدينة عيون ماء عظيمة ، تكفي كل منها لإدارة خمس سواق ، ويستهلك كل هذا الماء بها ، فلا يخرج منها . ووسط القلعة مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة . وفيها أكثر من عشرين ألف محارب . وقيل أن سلطانهم كان شريفاً وقد ردم عن الإسلام ، وقال إنى أعفيتكم من الصلاة والصوم ، ودعاهم إلى أن مرجعهم لا يكون إلا إليه واسمه أبو سعيد . وحين يسألون عن مذهبهم يقولون : إنا أبو سعيديون ، وهم لا يصلون ولا يصومون ، ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبرسالته . وقد قال لهم أبو سعيد إنى راجع إليكم ، يعنى بعد الوفاة . وقبره داخل المدينة ، وقد بنوا عنده قبراً

(١) من عائلة طباطبا ، ورأسهم هو الإمام يحيى الهادى من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب ،

شيفر ٢٢٤ . (٢) الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

جميلاً ، وقد أوصى أبناءه قائلاً : « يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل والقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود » . وهؤلاء الحكام الآن قصر منيف ، هو دار ملكهم^(١) . وبه تحت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق ، وكذلك يحكمون . ولهم ستة وزراء . فيجلس الملك على تخت والوزراء على تخت آخر ، ويتداولون في كل أمر . وكان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي وحبشي ، يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين . وهم لا يأخذون عشوراً من الرعية ، وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله ، وإذا كان لأحد من دين على آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له . وكل غريب ينزل هذه المدينة وله صناعة ، يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات ويرد (إلى الحكام) ما أخذ حين يشاء . وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ، ولم تكن لديه القدرة على الإصلاح ، أمروا جماعة من عبيدهم بأن يذهبوا إليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون . ولا يطلبون من المالك شيئاً . وفي لحسا مطاحن مملوكة للسلطان ، تطحن الحبوب للرعية مجاناً ، ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين . وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ، ويسمى وزراءهم الشائرة . ولبس في مدينة لحسا مسجد جمعة ، ولا تقام بها صلاة أو خطبة . إلا أن رجلاً فارسياً اسمه علي بن أحمد بنى مسجداً ، وهو مسلم حاج غنى كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون لحسا . والبيع والشراء والعتاء والأخذ يتم هناك بواسطة رصاص في زناجيل يزن كل منها ستة آلاف درهم ، فيدفع الثمن عدداً من الزناجيل ، وهذه العملة لا تسرى في الخارج . وينسجون هناك فوطاً جميلة ويصدرونها للبصرة وغيرها . وإذا صلى أحد فإنه لا يمنع ، ولكنهم أنفسهم لا يصلون . ويجيب السلاطين من يخدمهم من الرعية برقة وتواضع . ولا يشربون مطلقاً . وعلى باب قبر أبي سعيد حصان مهياً بعناية ، عليه طوق ولباس ، يقف بالنوبة ليلاً ونهاراً ، يعنون بذلك أن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلى الدنيا . ويقال إنه قال لأبنائه : « حين أعود ولا تعرفونني ، إضر بواقبتي بسيفي ، فإذا كنت أنا حييت في الحال » . وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعى أحد أنه أبو سعيد .

(١) يعرف هذا القصر بدار الهجرة ، أنظر ص ٤٠ من : De Goeje, Historie des Qarmathes du Bahrein . وراجع كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك النعماني ص ٣٣ وما بعدها (طبعة مصر ١٩٣٩)

وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش إلى مكة ، أيام خلفاء بغداد ، فاستولى عليها ، وقتل من كان يطوف بالكعبة ، وانتزع الحجر الأسود من مكانه ، ونقله إلى الحسا . وقد زعموا أن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس إليه من أطراف العالم ، ولم يفقهوا أن شرف محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وجلاله هما اللذان يجذبان الناس ، فقد لبث الحجر في الحسا سنين عديدة ولم يذهب إليها أحد . وأخيراً أُشترى منهم الحجر الأسود وأعيد إلى مكانه^(١) .

وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها ، من قطة وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها ، وتوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري . وهم يسمنون الكلاب هناك كما تعلق الخراف ، حتى لا تستطيع الحركة من سمها ، ثم يذبحونها وبيعون لحمها .

والبحر على مسيرة سبعة فراسخ من الحسا إلى ناحية الشرق ، فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين ، وهي جزيرة طولها خمسة عشر فرسخاً ، والبحرين مدينة كبيرة أيضاً ، بها نخل كثير . ويستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ ، والسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه القواصون منه . وإذا سار المسافر جنوب الحسا يبلغ عمان ، وهي في بلاد العرب . وثلاثة جوانب منها صحراء لا يمكن اجتيازها . وولاية عمان ثمانون فرسخاً في مثلها ، وهي حارة الجو ، ويكثر بها الجوز الهندي المسمى نارجيل . وإذا أبحر المسافر من عمان نحو الشرق ، يبلغ شاطيء كيش ومكران ، وإذا سار جنوباً يبلغ عدن . فإذا سار في الجانب الآخر يبلغ فارس .

وفي الحسا تمر كثير حتى أنهم يسمنون به المواشى ، ويأتي وقت يباع فيه أكثر من ألف من بدينار واحد . وحين يسير المسافر من الحسا إلى الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف وهي مدينة كبيرة بها نخل كثير . وقد ذهب أمير عربي إلى أبواب الحسا ورابط هناك سنة واستولى على سور من أسوارها الأربعة وشن عليها غارات كثيرة ولكنه لم ينل من أهلها شيئاً ، وقد سألتني حين رأيتني عما تنبئ به النجوم ، قال : أريد أن استولى

(١) انظر تعليقات ص ٨١ ، ٨٢ من هذا الكتاب وراجع سياست نامه ص ١٩٨ .

على لحسا فهل أستطيع أم لا فإن أهلها قوم لا دين لهم . فأجبت بما فيه الخير له .
وعندى أن كل البدو يشبهون أهل لحسا ، فلا دين لهم ، ومنهم أناس لم يمس الماء
أيديهم مدة سنة . أقول هذا عن بصيرة ، لا شيء فيه من الأراجيف ، فقد عشت في
وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بينها . ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذي
كانوا يقدمونه إلى كما طلبت ماء لأشرب ، فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون : اطلبه حيثما
تراه ، ولكن عند من تراه ؟ . وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجارى في حياتهم .

وصف فارس

البصرة :

والآن أعود إلى حكايته :

حينما غادرنا لحسا^(١) إلى البصرة كنا نجد الماء في بعض الجهات ولا نجد في أخرى ،
حتى بلغنا البصرة في العشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة (٢٨ ديسمبر ١٠٥١) .
للبصرة سور عظيم يحيط بها ، ما عدا الجزء المطل على النهر . وهذا النهر هو شط العرب ،
ويلتقى دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة ، ويلتقى بهما أيضا قناة الحويضة فيسمى النهر
حينئذ شط العرب . ويتفرع من شط العرب هذا قناتان كبيرتان بين منبعا مسافة فرسخ
وقد شقا صوب القبلة مسافة أربعة فراسخ ، ثم يلتقيان ويكونان قناة واحدة تسير مسافة
فرسخ واحد ناحية الجنوب . ومن هاتين القناتين شقت ترع كثيرة ، مدت في كل
الأطراف ، وغرست أشجار النخيل والحدايق على شواطئها . والقناة العليا ، وهي الشمالية
الشرقية ، تسمى نهر معقل ، والثانية ، وهي الغربية الجنوبية ، تسمى نهر الأيلة . ومنهما
تتكون جزيرة كبيرة مستطيلة . والبصرة على أقصر ضلع من هذا المستطيل . والجنوب
الغربي للبصرة صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقا . وكان معظم البصرة خرابا
ونحن هناك . والجهات العامرة متباعدة جدا ، من واحدة لأخرى نصف فرسخ من الخراب
ولسكن بابها وسورها محكمان وقويان ، وبها خلق كثير ودخل سلطانها كبير . كان أميرها
في ذلك الوقت ، ابن أبي كاليبجار الديلمي الذي كان ملك فارس ، وكان وزيره رجلا فارسيا

(١) يقول النسر الهمامة وصحتها لحسا كما يبدو من سياق الكلام .

اسمه أبو منصور شاه مردان^(١) . وينصب السوق في البصرة في ثلاث جهات كل يوم ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة ، وفي الظهر في سوق عثمان ، وفي المغرب في سوق القداحين . والعمل في السوق هكذا : كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكاً ثم يشتري كل ما يلزمه ، ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري شيئاً غير صك الصراف طالما يقيم بالمدينة .

حين بلغنا البصرة كنا من العري والفاقة كأننا مجانين ، وكنا قد لبثنا ثلاثة شهور لم نحلق شعر رأسنا ، فأردت أن أذهب إلى الحمام ، التمس الدفء ، فقد كان الجو بارداً ولم يكن علينا ملابس . كنت ، أنا وأخي ، كلانا يلبس فوطة بالية ، وعلى ظهر بنا خرقة من الصوف متدلّية من الرأس ، حتى قلت لنفسى من الذى يسمح لنا الآن بدخول الحمام ؟ فبعت السلّتين اللتين كانت بهما كتبي ووضعت بعض دراهم من ثمنها في ورقة لأعطيها للحامى ، عسى أن يسمح لنا بوقت أطول في الحمام لنزيل ما علينا من كدر . فلما قدمت إليه هذه الدراهم ، نظر إلينا شذراً وظن أننا مجانين واتهرنا قائلاً اذهبوا فالآن يخرج الناس من الحمام . ولم يأذن لنا بالدخول ، فخرجنا في خجل ومشينا مسرعين . وكان بباب الحمام أطفال يلعبون فحسبونا مجانين ، فخرروا في أثرنا ، ورشقونا بالحجارة وصاحوا بنا . فلجأنا إلى زاوية وقد تملكنا العجب من أمر الدنيا . وكان الأعرابي يطلب منا الثلاثين ديناراً مغربياً ولم نكن نعرف وسيلة للسداد وكان بالبصرة وزير ملك الأهواز واسمه أبو الفتح على بن أحمد ، وهو رجل أخلاق وفضل يجيد معرفة الشعر والأدب وكان كريماً وقد جاء بالبصرة مع أبنائه وحاشيته وأقام بها ، ولم يكن لديه ما يشغله ، وكنت عرفت رجلاً فارسياً فاضلاً من أصدقاء الوزير والمنرددين عليه كل وقت ، وكان هذا الفارسى فقيراً ، لا وسعة عنده لإعانتنا ، فقص على الوزير قصتنا فلما سمعها أرسل إلى رجاله معه حصان أن اركب واحضر عندي كما أنت . فخرجت من سوء حالى وعريى ولم أر الذهب مناسباً فكتبت رقعة معذراً وقلت فيها إني سأكون في خدمته

(١) أبو نصر فيروز أبو كاليبجار ولى الإمارة سنة ٤٤٠ / ١٠٤٨ ، ولقب بالملك الرحيم ، وقد عزله ظفر بن بيك سنة ٤٤٧ / ١٠٥٥ .

ووزير منصور بن شاه مردان هو الذى أنشأ داراً للكتب في البصرة كان بها نفائس الكتب وأعيانها ، وقد نهى وأحرقها أعراب لحسا في هجومهم على البصرة سنة ٣٤٨ / ١٠٩٠ : ابن الأثير ج ١٠ ص ٦٣ طبعة مصر .

(بعد وصول ورقني إليه) وكان قصدي من السكتابة شِيثين . أن يعرف فقري وعلمي حين يطلع على كتابتي وأن يقدر أهليتي ، وذلك حتى لا أخجل من زيارته . وقد أرسل إلي في الحال ثلاثين ديناراً لشراء كسوة ، فاشتريت حلتين جميلتين ، وفي اليوم الثالث ذهبت لمجلس الوزير فرأيتهم رجلاً كاملاً ، أديباً ، فاضلاً ، جميل الخلق ، متواضعاً ، دينياً ، حلوا الحديث . وله أربعة أبناء أكبرهم شاب فصيح أدب عاقل ، اسمه الرئيس أبو عبد الله أحمد ابن علي بن أحمد . وكان شاعراً وكاتباً ، فيه فتوة الشباب ورجاحة العقل ومظاهر التقوى ، وقد أضافنا الوزير عنده من أول شعبان إلى نصف رمضان . ثم أمر بإعطاء الأعرابي الذي استأجرنا جله ، الثلاثين ديناراً التي له علي ، فكفاني مؤونة هذا الدين ، اللهم تباركت وتعاليت فرج ضيق المدينين من عبيدك من هم القرض بحق الحق وأهله . ولما أردنا السفر ، رحلنا عن طريق البحر ، بعد أن أفاض علينا بنعمه وأفضاله ، فبلغنا فارس في كرامة وهدوء ، ببركة هذا الرجل الحر ، رضي الله عن وجل عن الرجال الأحرار .

وفي البصرة ثلاثة عشر مشهداً باسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، يقال لأحدها مشهد بني مازن ، وذلك أن أمير المؤمنين علياً صلى الله عليه وسلم جاء إلى البصرة في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين (سبتمبر ٦٥٥) من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وكانت عائشة رضي الله عنها قد أتت محاربة ، وقد تزوج أمير المؤمنين عليه السلام ليلى بنت مسعود النهشلي ، وكان هذا المشهد بيتهما ، وقد أقام به أمير المؤمنين اثنين وسبعين يوماً ، ثم رجع إلى الكوفة^(١) . وبجانب المسجد الجامع مشهد آخر يسمى مشهد باب الطيب . ورأيت في مسجد البصرة عموداً من الخشب طوله ثلاثون ذراعاً وسمكه خمسة أشبار وأربعة أصابع ، وكان أحد طرفيه أسمك من الطرف الآخر ، قيل إنه من أخشاب بلاد الهند ، استولى عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام وأحضره للبصرة . والأحد عشر مشهداً الأخرى ، كل منها بموضع ، وقد زرتها كلها .

بعد أن أيسرنا ، ارتدينا ملابسنا ، وذهبنا يوماً إلى ذلك الحمام الذي لم يسمح

(١) وقد أعجب علي منها ولديه عبيد الله وأبا بكر الذين قتلا مع أخيهما الحسين .

لنا بدخوله من قبل . فوقف الحامى عند دخولنا من الباب ، وكذلك وقف كل من الحاضرين ، حتى دخلنا ، ثم جاء المدلك والقيم وقاما بخدمتنا . فلما فرغنا ودخلنا غرفة الملابس ، وقف كل من بها ، ولم يجلسوا حتى لبسنا ثيابنا وخرجنا . وفى أثناء ذلك كان الحامى يقول لصاحب له : هذان هما الرجلان اللذان لم ندخلهما الحمام يوم كذا . وكان يظن أننى لا أعرف لغته ، فقلت له بالعربية : حقا ما تقول فنحن اللذان كنا نلبس خرقه من الصوف على ظهرنا . فنجعل الرجل واعتذر . وكان بين هذين الحالين عشرون يوما . وقد ذكرت هذا الفصل حتى يعرف الناس أنه لا ينبغي التذمر من أزمان الزمان واليأس من رحمة الخالق جل جلاله وعم نواله فإنه تعالى رحيم .

وصف المد والجزر بالبحيرة ووصف أنهارها :

يحدث المد ببحر فحمان عادة مرتين كل أربع وعشرين ساعة ، فيرتفع الماء مقدار عشر أذرع . وحين يبلغ الارتفاع أقصى مداه يبدأ الجزر بالتدريج . فينخفض الماء عشرا أو اثنتى عشرة ذراعا . ويعرف بلوغ ارتفاع الماء مقدار الأذرع العشر بظهوره على عمود أقيم هناك أو على حائط . ولو كانت الأرض مستوية وغير عالية ، لعظم امتداد البحر إليها . ويسير النهران ، دجلة والفرات ، بغاية البطء ، حتى يتعذر ، فى بعض الجهات ، معرفة اتجاه التيار فيهما . وحين يبدأ المد يدفع البحر ماءها مسافة أربعين فرسخا حتى يظن إنهما يرتدان إلى منبئيهما . أما فى الأماكن الأخرى التى تقع على شاطئ البحر ، فإن امتداد المد إليها يتوقف على ارتفاعها وانخفاضها ، فحيثما استوت الأرض ازداد المد ، وحيثما ارتفعت قل . ويقال إن المد والجزر متعلقان بالقمر ، فيبلغ المد أقصى مداه حين يكون القمر على الأفقين ، يعنى أفق المشرق والمغرب . ومن ناحية أخرى حين يكون القمر فى اجتماع الشمس واستقبالها يزداد الماء ، أى أن المد يزيد فى هذه الأوقات ويعظم ارتفاعه ، وحين يكون القمر فى التربيعة تأخذ المياه فى النقصان ، يعنى لا يكون علوها كثيرا وقت المد ، ولا ترتفع ارتفاعها وقت الاجتماع والاستقبال . وكذلك يكون جزرها فى هذه الحالة أقل هبوطا منه فى وقت الاجتماع والاستقبال . وبهذه الدلائل يقولون

إن المد والجزر متملقان بالقمر ، والله تعالى أعلم .
والأبلة ، التي تقع على النهر المسمى بها ، مدينة عامرة . وقد رأيت تصورها وأسواقها
ومساجدها وأربطتها ، وهي من الجمال بحيث لا يمكن حدها أو وصفها . والمدينة الأصلية
تقع على الجانب الشمالى للنهر ، وعلى جانبه الجنوبي يوجد من الشوارع والمساجد والأربطة
والأسواق والأبنية الكبيرة مالا يوجد أحسن منه في العالم ، وهذا الجانب الجنوبي يسمى
شق عثمان . والشط الكبير ، الذى هو دجلة والفرات مجتمعين ، والمسمى شط العرب ،
يقع شرق الأبلة ، والمدينة فى الجنوب . ويلتقى نهرا الأبلة ومعقل عند البصرة . وقد
ذكرت ذلك من قبل .

رصف أهواء البصرة :

والبصرة عشرون ناحية ، فى كل منها كثير من القرى والمزارع وهى : حشان ،
شربه ، بلاس ، عقر ميسان ، المقيم ، نهر حرب ، شط العرب ، سعد ، سام ، الجعفرية ،
المشان ، الصمد ، الجونة ، الجزيرة العظمى ، صروت ، الشرير ، جزيرة العرش ، الحميدة ،
الحويزة ، المنفردات .

ويقال إنه كان من المتعذر فى وقت ما أن تمر سفينة من فم نهر الأبلة ، اعظم عمق
مائه ، فأمرت امرأة من أثرياء البصرة بتجهيز أربع مائة مركب وملأتها كلها بنوى التمر
وأغرقتها هناك بعد إحكام سدائها ، فارتفع القاع وتيسر عبور السفن . وفى الجملة فقد
غادرنا البصرة فى منتصف شوال سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة (٢٠ فبراير ١٠٥٢) ،
فركبنا الزورق وسرنا فى نهر الأبلة ، ورأينا طوال أربعة فراسخ فى اجتيازه حدائق
وأكشاكاً ومناظر لا تنقطع على شاطئيه . ويتفرع من هذا النهر ترع كل منها فى سعة
نهر . فلما بلغنا شق عثمان وهى أمام الأبلة نزلنا وأقمنا بها . وفى السابع عشر من شوال
(٢٢ فبراير) ركبنا سفينة كبيرة تسمى بوضى . وكان الناس الكثيرون الواقعون على
الجانبين يصيحون قائلين : سلمك الله تعالى يا بوضى . وقد بلغنا عبادان فنزل الركاب
من السفينة .

تقع عبادان على شاطئ البحر ، وهى كالجزيرة ، إذ أن الشط ينقسم هناك إلى قسمين

مما يجعل بلوغها متعذراً ، من أى ناحية ، بغير عبور الماء . ويقع المحيط جنوب عبادان ، ولذا فإن الماء يبلغ سورها وقت المد ، كما أنه يتعد عنها أقل من فرسخين أثناء الجزر . ويشتري بعض المسافرين الحصير من عبادان ، ويشتري البعض الآخر الماء كولات منها . وفي صباح اليوم التالي ، أجريت السفينة في البحر ، وسارت بنا شمالاً ، وكان الماء حلواً مستساغاً ، لغاية عشرة فراسخ ، ذلك لأن ماء الشط يسير كاللسان في وسط البحر . ولما ارتفعت الشمس ظهر في البحر شيء يشبه العصفور الدرى ، وكان يكبر كلما اقتربنا منه ، فلما واجهناه من اليسار على مسافة فرسخ خالفت الرياح ، فرموا المرساة ، ولفوا الشراع . فسألت ما هذا ؟ قالوا إنه الخشاب .

وصف الخشاب (المنارة) :

يتكون من أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المنجانيق . وهو مربع قاعدته متسعة وقته ضيقة ، ويرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعاً ، وعلى قمته حجارة وقرميد مقامة على عمد من خشب كأنها سقف ، ومن فوقها أربعة عقود يقف بها الحراس . ويقول البعض إن الذى بنى الخشاب هذا تاجر كبير ، ويقول آخرون بل بناه أحد الملوك . وكان الغرض منه شيئين : أحدهما أنه بنى في جهة ضحلة يضيق البحر عندها ، فإذا بلغت سفينة كبيرة ارتطمت بالأرض . ففي الليل يشعلون سراجاً في زجاجة بحيث لا تطفئه الرياح ، وذلك حتى يراه الملاحون من بعيد فيجتاطون وينجون ، والثاني ليعرف الملاحون الاتجاه ، وليروا القرصان إن وجدوا فيتقونهم بتحويل اتجاه السفينة . ولما اجتازنا الخشاب ، بحيث أصبح لا يرى ، رأينا آخر مثله ، ولكن ليس على سطحه قبة لأنهم لم يستطيعوا إكمله .

ومن هناك بلغنا مدينة مهربان ، وهي مدينة كبيرة على شاطئ البحر الشرقى ، بها سوق كبير وجامع جميل ، ولكن ماءها من المطر ، وليس بها آبار أو قنوات من الماء العذب ، وقد اتخذ أهلها أحواضاً ومصانع ليكون الماء متوفراً دائماً . وقد بنى بها ثلاثة أربطة ، كل منها كأنه حصن محكم ومرتفع . وقد رأيت على منبر مسجدتها الجامع اسم

يعقوب بن الليث ، فسألت واحداً كيف كان ذلك ؟ فقال : إن يعقوب بن الليث الصفار^(١) استولى على البلاد لغاية هذه المدينة ، ولم يكن لأمير آخر من أمراء خراسان هذه القوة . وفي الوقت الذي كنت بها ، كانت مهربوبان يملكها ، وكان ملك فارس ، ومأكولات هذه المدينة تحمل إليها من المدن والولايات الأخرى ، إذ ليس بها شيء سوى السمك . وفيها تحصل المسكوس ، فهي ميناء . وحين يسير المسافر منها جنوباً على شاطئ البحر ، يبلغ توه وكازرون . وقد لبثت بمهربوبان زمناً ، لأنه قيل إن الطرق ليست آمنة لما بين أبناء أبي كاليجار من الحروب . فقد كان كل منهم على رأس جيش وكان الملك مضطرباً^(٢) . وسمعت أن بأرجان رجلاً عظيماً فاضلاً هو الشيخ السديد محمد بن عبد الملك ، وكنت قد سمعت من كثرة ما أفت بمهربوبان ، فسكتبت له خطاباً وأعلمته بحالي والتمست منه أن يرسلني من هذه المدينة إلى بلد أمين . فلما أرسلت الكتاب جاءني في اليوم الثالث ثلاثون رجلاً مدججون بالسلاح وقالوا : قد أرسلنا الشيخ لنسكون في خدمتك إلى أرجان ، وقد اصطحبونا آمينين إليها .

أرجان مدينة كبيرة بها عشرون ألف رجل ، وفي الجانب الشرقي منها نهر ينحدر من الجبل الذي شقت عند جانبه الشمالي أربع ترع عظيمة تتخلل المدينة وقد أنفق في إنشائها مال كثير . وتسير هذه الترع إلى ما وراء أرجان وقد زرعت على شواطئها الحدائق والبساتين وبها كثير من النخل وأشجار النارج والترنج والزيتون . وببيت أرجان بحيت يكون ما تحت الأرض من بيوتها مساوياً لما فوقها . ويتخلل الماء هذه المساكن الأرضية والسراديب ، في جميع جهات المدينة ، حيث يستروح الناس في فصل الصيف . والناس

(١) رأس الأسرة الصفارية ٢٥٤ - ٢٦٥ / ٨٦٨ - ٨٧٨ .

(٢) كان لفيروز أبي كاليجار عز الملوك بن المرزبان تسعة أبناء : فيروز خسرو الذي خلفه على ملك البويهيين والذي لقب بالملك الرحيم ، وأبو منصور فولاذستون ، وأبو طالب كمران ، وأبو المظفر بهرام ، وأبو علي كينغسرو ، وأبو سيد خسرو شاه وثلاثة آخرون أصغر سناً . وقد ثار أبو منصور فولاذستون على أخيه في شيراز ، واحتسب في قلعة اصطخر ، وحاصر أخاه أبا سيبيد خسرو شاه . وقد أدت المحصومات بين الملك الرحيم وأخوته إلى عزل خوزستان وفارس إلى سنة ٤٤٧ / ١٠٥٥ وهي السنة التي اضطر الي اصطخر فيها أبو منصور الذي اعترف بسيادة طغرل بيك إلى الفرار من شيراز والالتجاء إلى فيروز آباد .

هناك على مذاهب شتى . وإمام المعتزلة اسمه أبو سعيد البصرى وهو رجل نصيح يدعى العلم بالهندسة والحساب ، وقد تباحثت معه وسأل كل منا الآخر وأجاب ، كما سمعت منه فى علمى الكلام والحساب وغيرها .

غادرت أرجان فى أول المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة (٢ مايو ١٠٥٢) ، وقد أتجھنا ناحية أصفهان عن طريق كوهستان ، فبلغنا فى الطريق جبلا به شق ضيق يقول العامة إن بهرام كورشقه بسيفه ويسمونه شمشير بريد . ورأينا فى هذا المكان ماء متدفقا يتفجر من عين على يميننا ، وينزل من مكان عال ، ويقول العامة إن هذا الماء يدوم تفجره فى الصيف وأما فى الشتاء فيقف ويتجمد .

ثم بلغنا لوردغان ، وبينها وبين أرجان أربعون فرسخا ، ولوردغان هذه هى حدود فارس . ومن هناك بلغنا خان لنجان ورأيت اسم السلطان طغرل بيك مكتوبا على بابها ومنها إلى أصفهان سبعة فراسخ . ويعيش أهل خان لنجان آمنين هادئين ، كل منهم مشتغل بعمله وشئون بيته . وفى الثامن من صفر سنة أربع وأربعين وأربعمائة (١٠ يونيو ١٠٥٢) قمنا من هناك فبلغنا مدينة أصفهان . ومن البصرة إليها ثمانون ومائة فرسخ . وهى مشيدة على أرض مستوية ، ماؤها عذب وهوؤها عليل . وحيثما حفرت الأرض عشر أذرع خرج ماء عذب بارد . وللمدينة سور مرتفع حصين به بوابات ومقاتلات وعلى السور شرفات ، وفيها أنهار جارئة وأبنية جميلة مرتفعة ، وفى وسطها مسجد جمعة جميل جدا . ويقال إن طول سورها ثلاثة فراسخ ونصف . وكلها عسرة من الداخل فلم أر بها خرابا قط ، وبها أسواق كثيرة ، ورأيت فيها سوقا من أسواق الصرافين كان بها مائتا صراف . ولكل سوق سور وبوابة محكمة ، وكذلك للأحياء والشوارع . وأربطتها نظيفة ، وفى شارع اسمه كوطراز (شارع الطرازين) خمسون رباطا جميلا ، فى كل منها تجار ومستأجرون كثيرون . والقافلة التى صحبناها فى الطريق كانت تحمل ثلاثمائة وألف خروار من البضائع . ولما دخلنا أصفهان لم يتحرر عن دخولنا أحد ، إذ لا تضيق أما كن السكنى أو تتعذر الإقامة أو المؤن بها . ولما استولى السلطان طغرل بيك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق رحمة الله عليه على هذه المدينة ولّى عليها شابا نيسابوريا ، كان كاتبها مجيدا حسن الخط ،

هادئاً حسن اللقاء وبقية الخواجه العميد^(١) كان صاحب فضل ، حلوا الحديث ،
كرئماً . وكان السلطان قد أمر بأن لا يُطالب الناس بشيء مدة ثلاث سنين ، فسار
على ذلك ، وأعاد المهاجرين إلى أوطانهم . وكان هذا الرجل من كتاب الشورى . وكان
بأصفهان ، قبل مجيئنا ، قحط عظيم ، ولكن حين بلوغنا إياها كان الشعير قد جمع وكان
المن والنصف من خبز القمح يساوى درهما عدلاً ، وكذلك كانت ثلاثة الأمان من
الشعير . وقال الناس هناك إن أحدا منهم لم ير أنه يبيع بها بدرهم أقل من ثمانية أمان من
الخبز . ولم أرفى كل البلاد التي تتكلم الفارسية ، مدينة أجل ولا أكثر سكاناً وعمراً
من أصفهان . وقيل إنه إذا خزن بها القمح أو الشعير أو غيرها من الحبوب مدة عشرين
سنة لا يفسد . وقال البعض إن هواها كان أحسن قبل إنشاء السور ، وإنه تغير بعد
إنشائه ، بحيث تفسد بعض الأشياء . أما الريف فقد ظل هواؤه كما كان . وقد أقيمت
بأصفهان عشرين يوماً بسبب تأخر قيام القافلة . وفي الثامن والعشرين من صفر سنة أربع
وأربعين وأربعمائة (٣٠ يونيو ١٠٥٢) بلغنا قرية تسمى هَيْثِم آباد ، ومن هناك بلغنا قسبة
نابين عن طريق الصحراء وجبل مسكيان . ومن أصفهان إلى هناك ثلاثون فرسخاً . وقد
سرنا من نابين مسافة ثلاثة وأربعين فرسخاً حتى بلغنا قرية كرامة من ناحية بيابان
التي بها عشر أو اثنتا عشرة قرية ، وهي جهة جوهاجار وبها نخيل . وكانت تابعة قديماً
للقُصص^(٢) . وحين بلغناها كان الأمير كيلسكى قد استولى عليها منهم ونصب عليها نائباً
من قبله ، وجعل مقامه في قرية ذات قلعة تسمى بيادة . وقد ضبط هذا الحاكم الولاية وجعل
طرقها آمنة . وإذا قطع القُصص الطريق يرسل إليهم الأمير كيلسكى جنده فيقبضون
عليهم ويستردون منهم المال ويقتلونهم . وقد أصبح الطريق آمناً ، واستراح الناس بفضل
هذا الأمير العظيم ، اللهم تباركت وتعاليت احفظ وانصر وأعن السلاطين العادلين ، وارحم

(١) بلقب حكام أصفهان بلقب العميد والعميد المذكور هنا هو سورى بن المتمر ، وقد جاء ذكره
في تاريخ البيهقي ص ٥١١ طبعة الهند وفي راجت الصدور لراوندى ص ٩٤ .
(٢) أصلها كوفج ثم مرتب . وهم قوم يسكنون جبال كرمان ويسمون الكوج أيضاً ويدكرون
غالباً مع البلوج فيقال كوج وبلوج . ولها أشار نظام الملك في كتابه سياست نامه الفصل العاشر
ص ٦٠ وقد ذكر قصة نهب الكوج والبلوج لدير كجين وكيف تعامل السلطان محمود الغزنوي
على قتلهم .

المتوفين منهم . وقد بنيت ، في هذا الطريق الصحراوي ، بين كل فرسخين في المواضع غير الملحقة قباب صغيرة وخزانات يتجمع فيها ماء المطر ، وقد شيدت القباب حتى لا يضل المسافرون الطريق ، ولكي يأووا إليها ساعات في الحر والبرد . وقد رأينا في الطريق الرمل المتحرك ، وكل من يتحول عن العلامات (التي وضعت في الطريق للإرشاد) ، فإنه لا يستطيع الخروج من وسط هذا الرمل ويهلك . وبدا لنا طول سعة فراسخ أرض مباحة متحركة يختفي فيها من ينحرف إليها عن الطريق المحدود . ومن هناك ذهبنا عن طريق رباط زبيدة المسمى رباط المرامي ، وهو يحتوي على خمس آبار ، ولولا هذا الرباط والماء الذي به لما استطاع أحد اجتياز هذه الصحراء . ثم دخلنا ناحية طبس ، في قرية تسمى رستاباد . وفي التاسع من ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة (١٠٥٢) بلغنا طبس . ويقال إن بينها وبين أصفهان عشرة ومائة فرسخ . وطبس مدينة مزدهمة ولوانها تشبه القرية ، ماؤها قليل وزراعتها أقل وبها النخل والبساتين وتقع نيسابور على مسيرة أربعين فرسخاً منها ، شمالاً . وخبيص على مسيرة أربعين فرسخاً جنوباً في طريق الصحراء . وناحية المشرق جبل صعب المرتقى . وكان أميرها في ذلك الوقت كيلسكي بن محمد الذي استولى عليها بالسيف . والناس هناك في سلام وأمن عظيمين ، حتى أنهم لا يقلقون بيوتهم ليلاً ، ويتركون البهائم في الطريق ، مع أن المدينة غير مسورة . ولا تجرؤ امرأة على الكلام مع شخص أجنبي عنها ، فإذا فعلت قتل الإثنان . وكذلك لا سرقة ولا قتل ، بفضل حزم الأمير وعدله (١) .

وقد رأيت الأمن والعدل ، فيما رأيت من بلاد العرب والعجم في أربعة مواضع : الأول بالدشت أيام لشكرخان ، والثاني في الديلم أيام أمير الأمراء جستان بن إبراهيم ، والثالث بمصر أيام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، والرابع بطبس أيام الأمير أبي الحسن كيلسكي بن محمد ، فلم أسمع على كثرة ما سافرت بمثل ما في هذه الجهات من الأمن ولم أره . وقد استبقانا الأمير رضي الله عنه ، سبعة عشر يوماً بطبس ، وأضافنا وأمرنا بصلات وقت الرحيل ، معتذراً عن ضآلتها ، وأرسل معنا أحد فرسانه حتى زوزن التي تقع على مسيرة اثنين وسبعين فرسخاً .

(١) تعرف هذه المدينة باسم طبس التمر أو طبس كيلسكي نسبة لأميرها كيلسكي بن محمد . انظر كتاب « حدود العالم » ، تعليقات مينورسكي ص ٣٢٦ (مجموعة جب ١١) . والمجموع ج ٦ ص ٢٨ مصر .

وبعد إثنى عشر فرسخاً من قيامنا من طبرس بلغنا قصبه تسمى الرقة ، بها مياه جارية وزرع وبساتين وأشجار وحسن ومسجد جمعة وقرى ومزارع كبيرة . وفي التاسع من ربيع الآخر (٨ أغسطس) غادرنا الرقة . وفي الثاني عشر من هذا الشهر بلغنا تون ، وبينهما عشرون فرسخاً . وتون مدينة كبيرة ، ولها مدن معظمها كان خراباً حين رأيتهما . وهي على حافة واد به الماء الجارى والقنوات ، وفي جانبها الشرقى بساتين كثيرة . ولها حصن محكم . وقيل إنه كان بها أربع مائة مصنع للسجاد . وفي المدينة كثير من شجر الفستق فى بساتين المنازل . ويعتقد سكان بلخ وطخارستان أن الفستق لا ينبت ولا ينمو إلا على الجبال .

ولما رحلنا من تون ، حكى لى الرجل الذى بعثه معنا الأمير كيلسكى ، فقال : كنا ذاهبين ذات مرة من تون إلى كنباد ، فخرج علينا اللصوص وتغلبوا علينا ، فألقى بعضنا من الخوف بنفسه فى بئر تجرى تحت الأرض ، وكان لواحد من هؤلاء والد شفق فجاء واستأجر رجلاً لينزل إلى البئر ويخرج ولده منها . واستعان الجماعة بكل ما لديهم من الجبال وأتى رجال كثيرون ، ونزل الرجل مسافة سبع مائة ذراع حتى بلغ القاع وربط الولد بالحبل وجروه ميتاً ، وقد قال الرجل حين طلع من البئر إن بها ماء عظيماً يتدفق جارياً تحت الأرض مسافة أربعة فراسخ ، ويقال إن كينخسرو هو الذى أمر بحفرها .

وفى الثالث والعشرين من شوال (٢٣ أغسطس) بلغنا مدينة قان ، وبينها وبين تون ثمانية عشر فرسخاً ، تجتازها القافلة فى أربعة أيام ، وهى مسافة شاقة . وقان مدينة كبيرة حصينة حولها خندق . وبها مسجد جمعة به مقصورة عليها عقد عظيم لم أر أكبر منه فى خراسان ، وهو غير متناسب مع حجم المسجد . وعلى جميع بيوت المدينة قباب ، وزوزن هلى مسيرة ثمانية عشر فرسخاً من الجانب الشرقى الشمالى لقان . ومنها جنوباً إلى هراة ثلاثون فرسخاً . ورأيت بقان رجلاً اسمه أبو منصور محمد بن دوست ، لم بكل علم ، من طب وفلك ومنطق ، فسألنى : أى شئ خارج هذه الأفلاك والأنجم ؟ قلت : يسمى شيئاً ما يكون داخل الأفلاك ، أما ما وراءها فلا يجوز أن يسمى شيئاً . فقال : ما وراء السموات معنوى أم مادى ؟ قلت : لا جدال أن العالم محدود ، وحده فلك الأفلاك . والحد

ما يفصل فلسكا عما عداه . فإذا علم هذا وجب أن يكون ما وراء الأفلاك مخالفاً لما في داخلها . قال : هذا المعنى الذى يثبت العقل هل له نهاية من هذه الناحية ؟ إن كانت له نهاية فأين ؟ وإن كان لا نهاية له ، فكيف يقبل اللامتناهى الفناء ؟ ، وتكلمنا زمناً على هذا النحو ، فقال : أنا كثير الخيرة من هذا . فقلت : ومن لا يحار فيه . وعلى كل حال فقد لبثنا بقاين شهراً ، بسبب نورة كانت في زوزن آثارها عبئيد النيسابورى ولتمرد رئيس زوزن . وقد أرجعت من هناك الفارس الذى بعثه معنا الأمير كيلسكى . وخرجنا من قاين قاصدين سرخس فبلغناها في الثانى من جمادى الآخرة (أول أكتوبر) ، وقدرت من البصرة إلى سرخس تسعين وثلاثمائة فرسخ . وقد غادرنا سرخس عن طريق الرباط الجعفرى والرباط العمروى والرباط النعمى ، وهى ثلاثة أربطة متقاربة على الطريق .

وفي الثانى عشر من جمادى الآخر بلغنا مدينة مرو الرود ، وخرجنا منها بعد يومين وتبعنا طريق آب كرم ، وفي التاسع عشر بلغنا فارياب بعد إن سرنا ستة وثلاثين فرسخاً . وكان أمير خراسان جعفرى بيك أبو سليمان داود بن ميكائيل بن ساجوق في شبورغان ، وكان يقصد الذهاب إلى دار ملكه مرو . وقد اتبعنا طريق سنكلان ، بسبب الثورات ، ثم اتجهنا ناحية بلخ عن طريق سه دره ، فلما بلغنا رباطها سمعنا أن أخى أبا الفتح عبد الجليل كان في حاشية وزير أمير خراسان المسمى أبا نصر .

وقد مضى على خروجنا من خراسان سبعة أعوام ، فلما بلغنا دستكرد ، رأينا أمتعة تنقل إلى شبورغان ، فسأل أخى الذى كان معى لمن هذه ؟ فقيل له : إنها لهذا الوزير . فسألهم هل تعرفون أبا الفتح عبد الجليل ؟ فقالوا إنه كان معنا ، ثم اقترب منا خادم وسألنا من أين أنتم ؟ فقلنا من الحج . قال : إن سيدى أبى الفتح عبد الجليل أخوين ذهبوا للحج منذ سنوات وهو دائم الشوق إليهما ، وكلا سأل عنهما أحدا لا يده . قال أخى : إنا نحمل من ناصر كتابا ، فحين يصل سيدك نسلمه إياه . وبعد قليل سارت القافلة وصرنا معها فقال هذا الخادم : إن سيدى يصل الآن ، فإذا لم يجد كما يضييق صدره ، فإذا أعطيتماى الكتاب لأسلمه له يسر به . فقال له أخى : أتريد خطاب ناصر أم ناصر نفسه ؟ هذا هو ناصر . ففرح الخادم ولم يعرف ماذا يفعل . وصرنا نحن إلى بلخ عن طريق ميان روستا .

وقد جاء أخى الخواجه أبو الفتح عبد الجليل إلى دستكرد عن طريق الصحراء ، وكان ذاهباً مع الوزير إلى أمير خراسان . فلما سمع بأمرنا عاد من دستكرد ، وانتظرنا على رأس قنطرة جموكيان إلى أن وصلنا . وكان هذا في يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وأربعمائة (٢٦ أكتوبر ١٠٥٢) . وقد التقينا ، وفرحنا باللقاء وشكرنا الله سبحانه وتعالى ، وذلك بعد أن فقدنا الأمل في اللقاء ، وبعد أن تعرضنا للتهلكة مراراً حتى ينسنا من الحياة . وفي هذا التاريخ نفسه بلغنا بلخ . فقامت هذه الأبيات الثلاثة في هذا المقام :

« فإن يكن تعب الدنيا وعناءها طويلين ، فشرها وخيرها لا محالة منتهيان . »

« إن الفلك يتحرك من أجلنا ليل نهار ، وكلما راح منا واحد تلاه آخر . »

« إنا نروح ونفدو في الحياة ؛ إلى أن تحين الروحة التي لا عودة منها . »

وتبلغ المسافة التي قطعناها من بلخ إلى مصر ، ومن مصر إلى مكة ، ومنها إلى فارس عن طريق البصرة ثم إلى بلخ ، عدا الأطراف التي زرناها في الطريق ، ألفين ومائتين وعشرين فرسخاً .

وقد وصفت بأمانة ما رأيت في رحلتى . وأما ما سمعته ، وكان عليه اعتراض ، فلا ينسبه القراء إلى ولا يؤخذونى أو يلومونى عليه . وإن وفقنى الله سبحانه وتعالى وسافرت إلى المشرق ، فسأخبركم وصف ما أشاهده هناك إلى هذه الرحلة إن شاء الله تعالى وحده العزيز ، والمحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله وصحبه أجمعين .

كشاف

١ - أسماء الرجال والقبائل والفرق

أبو حنيفة (الإمام) : ع	(١)
أبو حنيفة النعمان بن حيون : ج ، ع ، ف	آدم عليه السلام : ق ١٥ ، ٢٧ هـ
أبو ذر : ح	الأمير : ٥٣ هـ
أبو سالم يحيى بن حصينة : ٥١ هـ	الأميرية : ٥٣ هـ
أبو سعيد (أخو ناصر خسرو) ط ، ي ، ٤	إبراهيم عليه السلام : ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٣ ، ٣٤ هـ
أبو سعيد (اليهودي) : ٦٥ ، ٦٥ هـ	٣٤ هـ (سماط إبراهيم) ، ٣٥ (خليل
أبو سعيد البصري : ١٠٢	الرحمن) ، ٣٥ هـ (أبو الضيفان) ، ٣٧ ،
أبو سعيد (رئيس قرامطة الأحساء) :	٧٥ ، ٨٤ ، ٨٧ هـ
٩٣ ، ٩٢	ابن شريح : ف
أبو سعيد محمد بن الظفر بن محتاج الجفائي : ٦ هـ	ابن أبي عقيل : ١٥
أبو سليمان جنرى بيك : ١ ، ٢ ، ١٠٦ هـ	ابن زولاق : ٤٢ هـ
أبو مسهل محمد بن هبة الله : ٣ هـ	ابن طولون : ٥٨
أبو سيد خسرو شاه : ١٠١ هـ	ابن الطوير : ٦٣ هـ
أبو صالح جستان إبراهيم (مرزبان الديلم) :	ابن كلث : ص
١٠٤ ، ١٠٥ ، ٤٥	أبو بكر بن أبي قحافة : ٣٣ هـ
أبو طالب كمران : ١٠١ هـ	أبو بكر بن علي : ٩٧ هـ
أبو طاهر القرمطي : ٨٢ هـ	أبو بكر الهمداني : ٣٦
أبو عبد الله أحمد بن علي بن أحمد : ٩٧	أبو حازم القاضي : ٤٠ هـ
أبو عبد الله محمد بن فليح : ٧١ ، ٧٤	أبو الحسن بن محمد أمير گيلكي : ١٠٣ ،
(ويضاف هذا الاسم إلى السطر ٢١ من ص ٧١)	١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ هـ
أبو عقيل : ١٥	أبو الحسن المدبر : ٤٠ هـ
أبو العلاء المعري : ن ، س ، ١١	أبو الحسين النصيبي : ٤٠ هـ
أبو علي كيخسرو : ١٠١ هـ	

- أبو علي سينا : ز ، ٣
أبو غانم عيس بن البعير : ٩٨
أبو الفتح عبد الجليل : ك ، ١٠٦
أبو الفتح علي بن أحمد : ٩٦
أبو الفتح خليفة بن علي الفيلسوف : ن ، ٥
أبو مُسطاع الهمداني : ٣٢ هـ
أبو كاليجار الديلمي : ج ، د ، ٩٥ ، ٩٦ هـ ،
١٠١ ، ١٠١ هـ
أبو المظفر أحمد الصفاري : ١ هـ
أبو المظفر بهرام : ١٠١ هـ
أبو منصور فولاذ ستون : ١٠١ هـ
أبو منصور محمد بن دوست : ١٠٥
أبو منصور وهسودان بن محمد : ن ، ٥ ،
٥٥ ، ٦ هـ
أبو نصر أحمد (نصر الدولة) : ٦ ، ٦ هـ ، ٥٧ هـ ،
٨ ، ٩ هـ
أبو النصر (وزير أمير خراسان) : ١٠٦
أبو النمر الوراق : ٤٠ هـ
أبو هريرة : ١٨
أبو يزيد البسطامي (طيفور بن عيسى) :
٣ ، ٣ هـ
أحمد بن علي (أمير خراسان) : ب
أحمد البويهى : ١
أحمد خان : ٨٥ هـ
الإخشيديّة : ٤٧ هـ
الأرمني : ٣٤ هـ
الأستادون : ٥٣
- إسحق عليه السلام : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ هـ
أسد الدولة البويهى : ٥٥ هـ
الإسكندر : ٤٣ هـ ، ٤٤ هـ
إسماعيل عليه السلام : ٢٩
أصحاب الرقيم : ٩٠
افتكين المعزى (خادم معز الدولة) : ٥٧ هـ
الأقستا : ز
الأفضل : ٥٣ هـ
الأفضلية : ٥٣ هـ
الپ أرسلان : ٥٣ هـ ، ٩ هـ
الجايقو سلطان محمد : ٣ هـ
أمير أميران (من ملوك الديلم) : ٤
أمير المؤمنين (المستنصر ، خليفة الفاطميين) :
٦٣ ، ٦٦ ، ١٠٤ هـ
الإنجيل : ز ، ٣٧ هـ
(ب)
الباخرزى : ١٢ هـ
الباطليون (فرقة بالجيش المصرى) : ٥٢
الباطنية : د
البيجة (البيجاه) : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٣ هـ
بدر الجمالى (أمير الجيوش) : ٥٣ هـ
البدو (فرقة بالجيش المصرى) : ٥٣
السُّبْرَاق : ٣٠ ، ٣١ هـ
بَرْجَسَوَان (الواسطة ، مدبر الدولة) : ٥٥ هـ ،
٥٧ هـ
بردويل (Baudouin) : ٣٤ هـ

جعفر : ح
جعفر بن فلاح : ٤٦ هـ
جعفرى بيك : د ، ١ ، ٢ ، ١٠٦
الجفانيون : ٦ هـ
جمال الدين بن المجاور : ٨٩ هـ
جودر (خادم المهدي) : ٥٧ هـ
جوهر : ٤٢ هـ ، ٤٦ هـ ، ٤٧ هـ ، ٤٨ هـ ،
٥٠ هـ

الجيوشية : ٥٣ هـ

(ح)

الحافظ : ٥٣ هـ
الحافظية : ٥٣ هـ
الحاكم بأمر الله : ب ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٤ ،
٤٩ ، ٥٠ هـ ، ٥١ هـ ، ٥٧ هـ ، ٥٨ هـ
حسن الصباح : ن
الحسن بن أحمد القرمطى (الأعصم) : ٤٦ هـ
حسين بن علي : ٣٧ هـ ، ٤٦ هـ ، ٥٤ هـ ، ٥٧ هـ ،
٦٨ هـ ، ٩٧ هـ

حسين بن علي المروزي : ب

حمزة بن عبد المطلب : ٢٧ ، ٦٦

الحصم : ١٨ ، ٥١

حمير : ٧٨

الحنبلية : ز

الحنفية : ز

حواء : ق

بلال الحبشي : ٨٧
بنات النعش (اللب الأكبر) : ٩١
بنو إسرائيل : ١٧ ، ٢٧ ، ٢٧ هـ
بنو سلالار (بنو مسافر) : ن ، ٥٥ هـ
بنو سواد : ٨٩
بنو شيبه : ٨٦
بهرام گور : ١٠٢
بوصى (إسم سفينة) : ٩٩
بيت ليلي : ٨٨
البرسيون : ٧
البويهيين : ا ، ب

(ت)

تاج المصالي بن أبي الفتوح : ٦٨ هـ ،
٧٤ ، ٧٤ هـ
الترك : ٥٣ هـ
تيم الداري : ٣٣ هـ
التوراه : ز ، ٢٧ هـ
توران شاه : ٥٧ هـ

(ث)

الثريا : ١٨

(ج)

جبريل : ق ، ٨٤ هـ

جرم : ٨٤ هـ

جستنيان : ٩ هـ

(ر)

الرأس : ح ، ۱
ربيعة : ۷۳ هـ
الروم : ۱۰ ، ۱۲ ، ۱۳ ، ۲۰ ، ۳۶ ، ۳۸ ،
۴۳ ، ۴۴ ، ۴۴ هـ (ملك الروم) ،
۴۹ ، ۸۵
ري (Rey) : ۹ هـ

(ز)

زردشت : ۷ هـ
ذكريا عليه السلام : ۲۳ ، ۲۴
الزند : ز
الزنج (فرقة في الجيش المصري) : ۵۳
زويلة : ۴۷ هـ
الزياريين : ب
زيد بن الحسين : ۹۲
الزيدية : ۹۲ ، ۹۲ هـ

(س)

السادات (سلاطين الحسا) : ۹۳
سارة : ۳۳ ، ۳۴ ، ۳۴ هـ
السامانية : ا ، ب
سرائيون (فرقة في الجيش المصري) : ۵۳
سروشان (جد أبي يزيد البسطامي) : ۸۳
الصلاحقة : د ، هـ ، و ، ك
السلفي : ۳۴ هـ

(خ)

خاقان تركستان : ۵۳
خسرو دهلي : ۵۳
خشقلدي : ۸۵ هـ
خلفاي بغداد (بني العباس) : ا ، ب ، ج ،
ص ، ۴۷ ، ۸۰ ، ۸۳ ، ۸۸ ، ۹۳
الخليفة الفاطمي : ا ، ب ، ج ، د ، ع ، ص ، ر
الخواجة العميد (سوري بن المعتز) : ۱۰۳
۱۰۳ هـ

الخواجة الموفق : ن ، ۳
خيف : ۸۸

(د)

داحي الدعاة : ع ، ف ، ص
داود عليه السلام : ۲۳ ، ۳۰
الدشيشة (سماط إبراهيم) : ۳۵ هـ
الدعوة الفاطمية (الباطنية) : ب ، ج ، هـ
ز ، ك ، ن ، ف ، ق ، ل
الدقيق (أبو منصور محمد بن أحمد) : ۶ ، ۶ هـ
دزبر بن أوسيم : ۳۲ هـ
دينيس (Denys de Telmahar) : ۴۰ هـ
الديالة : ۳ ، ۵۴

(ذ)

ذو الفقار : ق
ذو الكفل عليه السلام : ۱۶

الصفارية : ا
الصفالية : ٥٣ ، ٤٥
صلاح الدين الأيوبي : ٥٧ ، ٤٨

(ط)

طالوت : ٢٧
طاهر بن أحمد (أمير سيستان) : ٦
طبا طبيا : ٩٢
طغرل بيك : ي ، ن ، ٥ ، ٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ،
١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٦ ، ٨٧
طه حسين : س

(ظ)

الظاهر لإعزاز دين الله : ٥١

(ع)

عائشة رضي الله عنها : ٩٧
العاقد لدين الله : ٥١
العباسيون (انظر خلفاء بغداد)
عبد الله بن الزبير : ٨١ ، ٨٢
عبد الله القاضي : ٦٨
عبد الله بن عباس : ٨٨
عبد الله بن طاهر : ٢٥ ، ٤٠
عبد الملك بن مروان : ٦٧
عبد الوهاب عزام : ل ، ٦
عبيد الشراء (فرقة في الجيش المصري) :
٥٣ ، ٥٣

سلطان مصر (ملوك مصر) : ٣٠ ، ٣٢ ،
٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٤ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ،
٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٣ ،
٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٤

سلمان : ح

سليمان عليه السلام : ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦

٣٢ ، ٧٩

سليمان (السلطان) : ٨٥

سوري بن المعتز : ١٠٣

السيدة (بنت القائم) : ٣

(ش)

شاه مردان (أبو منصور) : ٩٦ ، ٩٦

الشائرة (وزراء سلاطين الحسا) : ٩٣

شاد دل (ابن) : ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٧

الشافعي (الإمام) : ف

الشافعية : ز

شداد بن عاد : ٤٤

شرف الدين (حفيد أبي يزيد البسطامي) : ٨٣

الشريفية (أهل اليمن) : ٩٢

شعيب عليه السلام : ١٧

شمعون : ١٦

(ص)

صالح عليه السلام : ١٥

صالح بن مرداس : س

(غ)

الغزنويين : ب ، هـ ، و
غنى زاده : ٥٨ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ ،
٥٦٧ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ،
الغورى (ليث الدولة نوشتكين) : ٣١ ،
٥٣٢

(ف)

الفارابى : ز ، ٥٢
فاطمة الزهراء : ٦٦
الفاطميين : هـ ، ع
الفردوس : ل ، ٥٦
الفرس : ٥٧
فرعون : ٢٠ ، ٢ : هـ (الفرائنة) ، ٥٥ ،
٦٩ ، ٥٥٦
فيروز خسرو (الملك الرحيم) : ١٠١

(ق)

القاهر : ٥٤٧
القائم بأمر الله الفاطمى : ب
قاضى القضاة : ع ، ف
القداح : د
القرآن : ز ، ح ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٨٢ ، ٩٠ ،
القرامطة : ٥٨٢
قطب الدين : ٥٨١
قطران (أبو منصور الجبلى الأزدي) : ٥٥ ، ٥٥
القفص (كوفج أدكوج وبلوج) : ١٠٣ ،
٥١٠٣

(٨ - سفرنامه)

عبد الله بن على : ٩٧ هـ

عبيد النيسابورى : ١٠٦

عثمان : ٣٣ هـ

عزيز عليه السلام : ١٦

العزيز بالله (الدين الله) : ٤٢ هـ ، ٥٠ هـ ،

٥٥٧ هـ ، ٨٣

عك (باني عكا) : ١٦

على بن أبي طالب : د ، ق ، ١٦ هـ ، ٣٣ هـ ،

٧٤ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٧ هـ

على بن أحمد : ٩٣

على بن أحمد بن الأيسر (شيخ الدولة) :

٦٩ هـ

على العباس : ٣٥ هـ

على بن محمد بن عبد الكريم الجيلاني : ٨٥ هـ

على النسائي : ٣

علوية بنت مطاب بن سابق النميرى (سيد

حران) : ٦٩ هـ

العلويين : ب ، ق

عمدة الدولة : ٦٩

عمر بن الخطاب : ٢١ ، ٢٥ ، ٣٣ هـ

عمر الخيام : ن

عمران : ق

عمرو بن العاص : ٤٤ هـ ، ٥٩

عويس القرني : ٧

عيسى عليه السلام : ق ، ٢٤ ، ٣٧

عيش : ١٦

المستنصر بالله : ج ، د ، ن ، ق ، ر ، ٥٣٦ ،
٥٨ ، ١٠٤ (أمير المؤمنين) : ٦٣ ،
١٠٤ ، ٦٦
مسعود بن محمود : د ، ٦٣
المشاركة (فرقة من الجيش المصري) : ٥٢
المشترى : ح ، ١
المصامدة (فرقة من الجيش المصري) : ٤٦
٥٣ ، ٥٢
المطالب (الباحث عن آثار مصر) : ٦٩
معاوية : ٢٥
المعتزلة : ١٠٢
ممدى كرب : ٥٧٩
معز الدولة (أبو علوان طهال بن صالح من بني
مرادس) : ٦٩
المعز لدين الله : ع ، ف ، ٤٢ ، ٤٦ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢
مقداد : ح
منجيك (أبو الحسن علي بن محمد) : ن ،
٥٦ ، ٦
منصور بن نوح الساماني : ٦
المهدى (عبيد الله سلطان مصر) : ٣٥ ،
٥٧ ، ٤٤ ، ٣٥
المهدى (العباسي) : ٣٥
موسى عليه السلام : ق ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٧ ،
٢٨ ، ٥
موسى بن أبي عمران : ب
المؤيد لدين الله الشيرازي : ج ، ط : ٥٥

(ك)

الكتاميون (فرقة في الجيش المصري) : ٥٢
كسرى : ٥٣٩
الكرد : ٥٧ ، ٥٣
كعب الأحبار : ٥٣٣
الكندري (أبو منصور) : ن ، ٥٣

(ل)

لشكرخان : ١٠٤
لوط : ١٧
ليلة المعراج : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١
ليلى (صاحبة المجنون المصري) : ٨٨
ليلى بنت مسعود النهشلي : ٩٧

(م)

المالكية : ز
الأمون : ٢٥ ، ٢٥
مجد الدولة : ب
مجد المصطفى عليه السلام : ح ، ق ، ٢٠ ،
٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٣٠ ،
٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٤ ، ٤٤ ، ٤٤ ، ٤٤ ،
مجد بن عبد الملك (الشيخ السديد) : ١٠١
محمود الغزنوي : ا ، د ، ٦ ، ٦٣ ، ١٠٣ ،
المرخ : ٤٧
مريم عليها السلام : ٢٤
السيجي : ع

(و)

الوزيرية : ٥٣ هـ

الوليد بن عبد الملك : ٤٤ هـ

وهسودان (أنظر أبو منصور).

(هـ)

هاجر أم إسماعيل : ٨٤ هـ

الهنود : ٨٦

هود عليه السلام : ١٦

هارون عليه السلام : ٢٧، ٢٨ هـ

هارون الرشيد : ٨٢ هـ

(ي)

اليازوري : ص

يحيى الهادي بن الحسين : ٦٢ هـ

يشرح بن يحنس : ٧٨ هـ

يعقوب عليه السلام : ١٧، ٢١، ٣٤، ٣٤، ٣٧ هـ

يعقوب بن الليث الصفار : ١٠١

يوسف عليه السلام : ١٧، ٣٤

يوشع بن نون : ١٧

يونس عليه السلام : ١٨

ميشيل (Michel V, Le Paphlagonien)

٣٦ هـ

(ن)

ناصر خسرو القبادياني المروزي : د، و،

ز، ح، ط، ي، ل، م، ن، س، ع،

ق، ر، ١، ٩، ١٢، ٢٣، ٢٨، ٢٨ هـ،

٣٥، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٦٥ هـ،

٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ٨١ هـ،

٨٢، ١٠٦

نصر الدولة : ٦، ٧ هـ

نصر بن أحمد الساماني : ب

نوح عليه السلام : ق، ٨٣

النوروز : ١٠

نجم الدين (والدصلاح الدين) : ٥١ هـ

نجم الدين عمارة البيني : ٥١ هـ

النخشي (الداعي الفاطمي) : ب

نظام الملك : ن

نظامي عروضي : ل

٢ - أسماء البهار والأماكن

أعبلين : ١٦	(١)
الأندلس : ٤٤، ٤٥، ٤٦	آبخُوري : ٣
أنطاكية : ١١	آيسكون : ٤
الأهواز : ج، د، ي، ٩٦	آبِ گرم : ١٠٦
إيران : ٣٨، ١	آذربيجان : ١٦، ٥٥، ٥٠
(ب)	أرمينيا : ٥٧
باب إبراهيم (مكة) : ٧٥، ٧٩، ٨١	آمد (ديار بكر) : ٥٨، ٥٩، ٩، ٨
باب الأبواب (بيت المقدس) : ٢٢	آمل : ٤
باب الأرمن (آمد) : ٩	أبلّة (نهر) : ٩٩، ٩٥
باب الأحياد (مكة) : ٨١	أبلّة (مدينة) : ٩٩، ٩٥
باب الأسباط (بيت المقدس) : ٢٢	أخلاق : ٧، ٦
الباب الشريف (مكة) : ٨١	إنخيم : ٥٧١، ٧١
باب البحر (القاهرة) : ٤٨	أرجان : ١٠٢، ١٠١، ١٠٢
باب أنطاكية (حلب) : ١٢	أربيل (قرية) : ١٧
باب بني شيبه (مكة) : ٨١	أرزَن : ٧
باب بني هاشم (مكة) : ٧٩، ٨٠	أرض الميعاد : ٢٠
باب التربة (القاهرة) : ٤٩	أرعز (أعز القرى) : ٣٦، ٣٦
باب التل (آمد) : ٩	الإسكندرية : ٤٤، ٤٣
باب التمارين (مكة) : ٨١	أسوان : ٧٤، ٧٢، ٧١، ٥٤١، ٤١
باب التوبة (بيت المقدس) : ٢٣	أسيوط : ٧٠
باب الجنان (حلب) : ١١	استكي سراي : ٣٣
باب الجوامع (القاهرة) : ٥٩	استفهان (سپاهان) : ١٠٢، ٣
باب الحطة (بيت المقدس) : ٢٧	١٠٤، ١٠٣
باب الخليج (القاهرة) : ٤٩	أعز القرى (ارعز) : ٣٦

- باب داود (بيت المقدس) : ٢٢
باب دجلة (آمد) : ٩
باب الدقاين (مكة) : ٨٠
باب الذهب (القاهرة) : ٤٨ ، ٤٩ هـ
باب الجنائر (مكة) : ٨٠ هـ
باب الرحمة (بيت المقدس) : ٢٣
باب الرحمة (مكة) : ٨٣
باب الروم (آمد) : ٩
باب الرياح (القاهرة) : ٤٩ هـ
باب الزرجد (القاهرة) : ٨
باب الزلاقة (القاهرة) : ٤٩
باب الزمرد (القاهرة) : ٤٩ هـ
باب الزهومة (القاهرة) : ٤٨ ، ٤٩ هـ
باب زويلة (القاهرة) : ٤٩
باب السريح (القاهرة) : ٤٨
باب السرية (القاهرة) : ٤٨
باب السطوى (مكة) : ٨١
باب السقر (بيت المقدس) : ٢٢
باب السكينة : (بيت المقدس) : ٢٧
باب السلام (مكة) : ٨٠
باب السلام (القاهرة) : ٤٨
باب الصفا (مكة) : ٦٧ ، ٧٩ ، ٨٠
باب العجلة (مكة) : ٨١
باب عمروة (مكة) : ٨١
باب علي (مكة) : ٨٠
باب العمرة (مكة) : ٨١ هـ
باب العيد (القاهرة) : ٤٨ ، ٤٩ هـ
باب العين (بيت المقدس) : ٢٧
باب الفتوح (القاهرة) : ٤٨ ، ٤٩
باب الفسائين (مكة) : ٨١
باب قصر الشوك ، الشوق (القاهرة) : ٤٩ هـ
باب القنطرة (القاهرة) : ٤٩ ، ٥٠
باب السكبة : ٨٢ ، ٨٦
باب الله (حلب) : ١١
باب المشاورة (مكة) : ٨١
باب المعامل (مكة) : ٨١
باب مكة : ٧٥
باب النبي (بيت المقدس) : ٢٦
باب النبي (مكة) : ٣٦ ، ٨٠
باب الندوة (مكة) : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١
باب النصر (القاهرة) : ٤٨
باب الوداع (مكة) : ٨١ هـ
باب الوسيط (مكة) : ٨١
باب اليهود (حلب) : ١١
بارياب (فارياب) : ٢ ، ١٠٦
بئر الحسين بن سلامة : ٨٧
بئر الرسول (مكة) : ٨٧
بئر الزاهد (مكة) : ٧٧
بئر زمزم : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٥ هـ
بئر علي بن أبي طالب (مكة) : ٨٧
البحر الأحمر : ٧٤
بحر البصرة : ٧٨
بحر الروم : ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥
بحر طبرية : ١٧

٣٧، ٣٦، ٣٦	بحر عمان : ٩٨
بيت عينون : ٥٣٣	بحر القلزم : ٧٨، ٧٣، ٥٩، ٤٥
بيت ليلى : ٨٨	بحر لوط : ١٧
بيروت : ١٤	البحر المحيط : ٧٨
بيشة : ٧٨	بحر النعام (ومدينة) : ٧٣
بيعة القيامة (كنيسة القيامة) : ٣٧، ٣٦	البحرين : ٩٤
٥٣٨	بحيرة المنزلة : ٥٥٤
بروه : ١٦	برز الخير : ٤
بشج ديه : ح ، ١	برقة : ٨٥، ٧٧
بيباده : ١٠٣	بركرى : ٦
(ت)	الباستان الكافورى : ٥٥٠
تابوت السكينة : ٢٧، ٢٧	البصرة : و ، ي ، م ، ٦١، ٩٠، ٩١
تاج الجوامع : ٥٥٩	٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨
تبريز : ن ، ٥ ، ٥٥ ، ٦	٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧
طخارستان : ١٠٥	بطن البقرة (بركة) : ٥٥٠
ترمذ : ٤١ ، ٥٦ ، ٥١	بطليس : ٧
الترك (بلاد) : ز ، ٩ ، ٣٨ (تركيا)	بغداد : ٧٧ ، ٦١ ، ٥٨ ، ٣٨ ، ٢٥ ، ٥٢
التمبلكشية : ٤٩	بلاس : ٩٩
تفيس : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٣٩	بلخ : م ، ٣ ، ٧ ، ١٠ ، ١٩ ، ١٠٥ ، ١٠٦
٤٠	١٠٧
تهامة : ٧٨	بيابان (ناحية في إصفهان) : ١٠٣
تون : ١٠٥	بيت إبراهيم : ٥٣٣
توه : ١٠١	بيت اللحم : ٣٣
(ث)	بيت أبي جهل : ٨١
التريا : ٨٩ ، ٨٨	بيت القدس : ط ، م ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦
	٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٥

الجنادل : ٤١

جفند قفسرين : ١١

جوزجانان (جزجانان) : ١

الجؤونة (ناحية بالبصرة) : ٩٩

الجوهرة (قصر) : ٥٠، ٥٠ هـ

جيحون : ١ هـ، ٤١، ٦١

الجيزة : ٦١

جيلان (كيلان) : ٤، ٥

چاشت خواران : ٣

(ح)

حارة الأمراء (القاهرة) : ٥٧

حارة الباطلية (القاهرة) : ٥٧

حارة بر جؤوان (القاهرة) : ٥٧

حارة الجودرية (القاهرة) : ٥٧

حارة خوش قدم (القاهرة) : ٥٧ هـ

حارة الديالة (القاهرة) : ٥٧

حارة الروم (القاهرة) : ٥٧

حارة زويلة (القاهرة) : ٥٧

حارة عبيد الشراء (القاهرة) : ٥٧

حارة قصر الشوق (القاهرة) : ٥٧

حارة السكحكيين (القاهرة) : ٥٧ هـ

حارة المصامدة (القاهرة) : ٥٧

حارة اليهود (القاهرة) : ٥٧ هـ

حبرون (هبرى، حبرى) : ٣٣ هـ

الحبشة : ٤٦، ٦٠، ٧٢، ٧٣

الحجاز : ط، م، ٣١، ٣٦، ٥٤، ٦٧، ٧٣

٧٨، ٧٤

(ج)

الجار : ٤٥، ٤٦، ٦٦، ٧٤، ٧٨

جامع ابن طولون : ع، ٥٨

جامع الحاكم : ع، ٥١

جامع الأزهر : ع، ٥١

جامع المعز : ٥١

الجامع المعلق (جامع جمال الدين) : ٤٩ هـ

جامع النور : ٥١

جبل أبي قبيس : ٧٥، ٨٥ هـ

جبل الرحمة (الحجاز) : ٨٧

جبل الطويق : ٩٠ هـ

جبل القمر : ٤١

الجبل (بلاد) : ٥٥

جبيل : ١٤

الجحفة : ٦٧

جدة : ٧٣، ٧٤، ٧٥

جذع : ٨٨، ٨٩

الجزيرة (مصر) : ٦١

الجزيرة : ٦٠ هـ، ٧٠ هـ

جزير العرش (ناحية بالبصرة) : ٩٩

الجزيرة العظمى (ناحية بالبصرة) : ٩٩

جزيرة فيله : ٧١ هـ

الجيفر انه : ٨٦، ٨٧

الجعفرية (ناحية بالبصرة) : ٩٩

الجمالية (قسم) : ٥٧ هـ

جموكتيان : ١٠٦

الخليل (قبر) : ٣٣ ، ٣٣ هـ	الحجر الأسود : ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ هـ ، ٨٣ ، ٨٤
خندان : ٤	٩٤ ، ٩٣
الخنديق : ق	حزان : ١٠
خوزستان : ١٠١ هـ ، و	حشان (ناحية بالبصرة) : ٩٩
خوى : ٦	حصن بني نمير : ٨٩ هـ ، ٨٩
(د)	حظيره : ١٦
دار الحكمة : ع	حلب : ١٠ ، ١١ ، ٦٩
دار الوزير (رباط في القاهرة) : ٦٣	حما : ١١ ، ١٢
دار الشراب : ٦٤	حصص : ١١
دار الهجرة : ٩٣ هـ	الحميدي (ناحية بالبصرة) : ٩٩
دَامِغَان : ٣	الحوض : ٧٢
دامون : ١٦	الحويزة : ٩٥ ، ٩٩
دبيق (تل دبيق) : ٥٤ هـ	حيفا : ١٨
دجلة : ٩٨ ، ٩٥	(خ)
درب الأتراك : ٥٧ هـ	خاتون : ١٩
الدرب الأحمر : ٥٧ هـ	خان لِنَسْجَان : ١٠٢
درب شمس الدولة : ٥٧ هـ	خببيص : ١٠٤
دَرَبَسَنْد : ٤	خراسان : ب ، هـ ، ز ، ك ، م ، ا ، هـ ، ١٠
دَسْتِكْرَد : ١٠٧	٢١ ، ٤٠ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ١٠١
الدَّشْت : ١٠٤	١٠٦ ، ١٠٥
الدكة (بيت المقدس) : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١	خَرَزَوِيل : ٤
دَمَاوند (لِوَأَسَان) : ٣	خزانه الزيت : ٨٥
دمشق : ٥٧ هـ ، ١١ ، ١٢ ، ٣٢ هـ ، ٤٤ هـ	الحشاب (منارة البحر) : ١٠٠
٤٦ هـ	الخليج : ٤٢ هـ ، ٥٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥
دمياط : ٣٨ ، ٣٨ هـ ، ٣٩ هـ	الخليل (مدينة) : ٣٤
دميرة : ٣٩ هـ	

زنجيار : ٧٢، ٦٠، ٤٦

زُوزَن : ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤

(س)

سام (ناحية بالبصرة) : ٩٩

سَاوَه : ٣

الساهرة : ٢١، ٢٠

سَمِيدُ رُود : ٤

سَجِسْتَان : ٥٧

سَرَاب : ٥

سَرَبَا : ٩٠، ٨٨

سَرَخْس : ١٠٦، ٢

سِرْمِين : ١١

سِرُوج : ١٠

سطح الكعبة : ٨٣

سعد (ناحية بالبصرة) : ٩٩

سعيد آباد : ٥

سقاية الحاج : ٨٥

سكة العطارين : ٣٦

سَجِلْمَاسَة : ٤٤

سلوان (عين) : ٢٧

سَمَرَقَنْد : ١٣

سَمْنَان : ٣

سِنْسِغْلَان : ١٠٦، ٢

سوق خزاعة (البصرة) : ٩٦

سوق السراجين (نيسابور) : ٢

سوق عثمان (البصرة) : ٩٦

ديار بكر : ١٠، ٥٦

الديلم (بلاد) : ٥٥٣، ٥٣، ٥٥، ٥٤، ٤

١٠٤، ٥٥٧

دير كچين : ١٠٣

الديلم : ب

(ر)

رباط زبيده (رباط المرامي) : ١٠٤

الرباط الجعفري : ١٠٦

رباط سه دره : ١٠٦

الرباط العمروي : ١٠٦

رباط المرامي : ١٠٤

الرباط النعمتي : ١٠٦

رُستاباد : ١٠٥، ١٠٤

الرقه : ١٠٥

الرقيم : ٩٠

ركن الحجر الأسود : ٨٤، ٨٢، ٨١

٨٥

الركن الشامى : ٨٣، ٨١

الركن العراقى : ٨٣، ٨١

الركن اليماني : ٨٣، ٨١

الرملة : ٣٧، ١٩، ١٨، ١٦

الروضة : ٦٦

الرى : ٣

(ز)

زَبِيد : ٧٨

(ص)
الصاغة : ٤٩ هـ
الصالحية : ٤١
الصخرة : ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢١
صَعْدَةٌ : ٧٨ ، ٧٤

الصعيد الأعلى : ٧٣ ، ٧٠ هـ
صَعْفَانِيَّان : ٦٦ ، ٥١ هـ
الصفاء (جبل) : ٨٠ ، ٧٦ ، ٧٥ هـ
صفين : ٧ هـ
سقلية : ٤٥ ، ١٣
السُّمْد (ناحية بالبصرة) : ٩٩ هـ
صنعاء : ٧٩ ، ٧٨ هـ
صور : ١٥
صيدا : ١٤
الصين : ٤٦

(ض)
ضَيْقَةٌ : ٧٢ هـ

(ط)
الطائف : ٨٩ ، ٨٩ ، ٨٨ هـ
طارم : ٤
طَائِقَان : ٢
طَبْرِسْتَان : ٥٥ هـ
طبرية : ١٧
طَبْس : ١٠٥ ، ١٠٤ هـ
طرابرزن : ١٣

سوق المطارين (مكة) : ٨٠ ، ٧٧ هـ
سوق القداحين (البصرة) : ٩٦ هـ
سوق القناديل (القاهرة) : ٥٩ هـ
سَمَةُ دَرَّه : ١٠٦ هـ
سوريا : ٣٢ هـ

(ش)
شارع الباطنية : ٥٧ هـ
شارع التَّبَكْشِيَّة : ٤٩ هـ
شارع الحزاري الصغير : ٥٧ هـ
شارع السكة الجديدة : ٥٧ هـ
شارع الموسكى : ٥٧ هـ
الشام : ١٠ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ هـ
٢٥ هـ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥٧ هـ ، ٦٥ هـ
٦٨ ، ٦٩ ، ٨٥ هـ

شاه رُود (إسم شهر) : ٤ هـ
شَبُورْغَان : ٢ ، ١٠٦ هـ
شربة (ناحية بالبصرة) : ٩٩ هـ
الشريبر (ناحية بالبصرة) : ٩٩ هـ
شطا : ٣٩ هـ
مشط العرب : ٩٥ ، ٩٩ هـ
الشط الكبير ، ٩٩ ، ١٠٠ هـ
شق عُثْمَان (نسق عُثْمَان أو دمشق عُثْمَان) : ٩٩ هـ
شلقان : ٤٦ هـ
شَمَشِير بُرِيد : ١٠٢ هـ
شَمِيرَان : ٥ ، ٤ هـ
شيراز : ١٠١ هـ ، ٥ هـ

غزيرين : ٨٢

(ف)

فارس : ب ، ج ، ز ، ٦٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ،

١٠١ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ،

الفرات : ١٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ،

الفسطاط : ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ،

فَلَج : ط ، ي ، م ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ،

فلسطين : ١٩ ،

فَوَارَة الدير (عين في الشام) : ١٢ هـ

فرع الروم : ٤١

فيروز آباد : ١٠١ هـ

(ق)

القاهرة : د ، م ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٧ هـ ،

٤٨ ، ٤٨ هـ ، ٥٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٩ ،

قَابِين : ١٠٥ ، ١٠٦ ،

قَبَادِيَان : ١ ،

قَبِيَان : ٤

قبة جبريل (بيت المقدس) : ٣٠

قبة الرسول (بيت المقدس) : ٣٠

قبة السلسلة (بيت المقدس) : ٣٠

قبة الصخرة (بيت المقدس) : ٢٨ ، ٢٩ ،

٣٠ ، ٣١

قبة يعقوب (بيت المقدس) : ٢٣

قبور الشهداء (المدينة) : ٦٧

القدس : ١٩ ، ٢١ هـ ، ٣٤ هـ

طرابلس : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ،

طرشوشة (الأندلس) : ٩ هـ

طوس : ل

طينه : ٣٧

(ع)

العاصي (نهر) : ١٢

عَبَادَان : ٩٩ ، ١٠٠ ،

عَسْتَر : ٧٨

عدن : ٤٥ ، ٤٦ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٤٩ ،

العجم (بلاد) : ٩ ، ١٠٤ ،

العراق : ب ١٠ ، ١١ ، ٢٥ ، ٧٠ ، ٧٧ ،

العراقين : ٨٥

العرب (بلاد) ز ٩ ، ٩٠ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٩٤ ،

عرفات : ٣٦ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٨٨ ،

عِرْقَه : ١٢

عَسْقَلَان : ٢٧ ، ٣٧ هـ

عَسْقَر ميسان : ٩٩

عكاه : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،

عمان : ٧٨ ، ٩٤ ، ٩٨ ،

عمود السواري : ٤٤ هـ

عيزاب : ي ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

عين البقر : ١٦

عين سلوان : ٢١ ، ٢٧ ،

عين الشمس : ٥٥ ، ٥٦ ،

(غ)

غدير خم : ق

كفر سابا (كفر سلام) : ١٨
كفر كَنْبَة : ١٨
كَنْبَا بَد : ١٥٥
كَنْبَيْسَة : ١٨
كنيسة القيامة : ٣٦ هـ ، ٣٧ هـ ، ٣٨ هـ
كُوَطْرَاز : ١٠٢
الكوفة : ٧٨ ، ٩٧
كوان : ٣
كوهستان : ١٠٢
كويّمات : ١٢
كيش : ٩٤

(ل)

لحسا (الأحصاء أو الحسا) م ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ هـ
لَطْرُون (نظرون) : ١٩ هـ
لَهَاوُر : ٧١
اللؤلؤة (قصر) : ٥٠ ، ٥٥٠ هـ ، ٥٥١ هـ
لِوَاَسَان (دماوند) : ٣
لور دِجَان : ١٠٢
لوط (مدينة) : ١٧
القوق : ٥٥٠

(م)

مائدة السلطان : ٦٣
ما وراء النهر : ب ، ٧٧ ، ٨٥
المحدثة : ٨

قرو : ن ، ١٠
قرية العنب : ١٩
قزوين : ٣ ، ٤
القسطنطينية (استنبول) : ١١ ، ٣٣ هـ ،
٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥
قصر السلطان : القصر الكبير الشرقى :
٤٨ ، ٤٨ هـ ، ٥٠
قصر غمدان : ٧٨ ، ٧٩ هـ
القَطِيف : ٩٤
قف أنظر : ٧
القلزم : ٤٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٣
قَبَلَمُون (قلعة في الشام) : ١٣
قليوب : ٤٦ هـ
القناطر الخيرية : ٤٦ هـ
قوص : ٧١
قَوْرَمِس : ٣
قُبُوَهَة : ٣
القيروان : ٤٤ ، ٤٧ هـ و ٥٧ هـ ، ٦٥
قَيْسَارِيَة : ١٨ ، ١٩

(ك)

كَازَرُون : ١٠١
كَرْدِسْتَان : ٧ هـ
الكَرَج (جورجيا) : ٥٣
كَرْمَان : ١٠٣ هـ
كَرْمَه : ١٠٣
الكمبة : ٢١ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨١ هـ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٣

مصرج، ز، ط، ي، م، ع، ١٠، ٢٢	محراب داود: ٣٢
٣٩، ٣٧، ٣٥، ٣٤، ٢٥	مدار السرطان: ٤٢
٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٢	المدينة المنورة: ٣٠، ٤٥، ٦٦، ٦٧
٦١، ٦٠، ٥٨، ٥٥، ٥٣، ٥١، ٥٠	٧٥، ٦٨
٨٧، ٧٩، ٧٣، ٦٧، ٦٦	مرطوم (مرطون أو مطلون): ٣٣، ٣٣
وانظر مادتي سلطان مصر وأمير المؤمنين	مرند: ٦
مطار: ٨٩، ٨٨	مرود: د، ط، م، ١، ١، ٢، ٢٥، ١٠٦
مطلون: ٣٣، ٣٣	مرود الرود: ١، ٢، ١٠٦
معرفة النعمان: ن، س، ١١	المرودة (جبل): ٧٦، ٨٥
المعزية: ٤٦	مروت (ناحية بالبصرة): ٩٩
معقل (نهر): ٩٩، ٩٥	المزدلفة: ٨٨
المغرب: ١١، ١٣، ١٩، ٤٤، ٤٦، ٥٤	المسجد الأقصى: ٢٤، ٢٦، ٣٢
٨٥، ٦٩، ٦٨، ٥٦	المسجد الحرام: ٢٥، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٥
مقام إبراهيم: ٧٦، ٨٤	مسجد خيف (مني): ٨٨
المقام الشامي: ٣٢	مسجد الرسول (المدينة): ٦٦
المقام الشرقي: ٣٢	مسجد رسول الله (جدة): ٧٤
المقام الغوري: ٣١	مسجد ابن البناء: ٤٨
مقام النبي: ٣١	مسجد الياسمين: ١٧
المقيم: ناحية بالبصرة: ٩٩	وراجع مادة جامع
مكة: ط، ي، م، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٢٦	مسكيان (جبل في اصفهان): ١٠٣
٦٨، ٦٧، ٦٦، ٤٥، ٣٧، ٣٦، ٣٠	مسلة فرعون: ٥٦
٧٦، ٧٥، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٠	المشاعل: ٨٥
٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠	المشآن (ناحية بالبصرة): ٩٩
٩٣، ١٠٧	المشعر الحرام: ٨٨
مكران: ٩٤	مشهد باب الطيب: ٩٧
مُلتان: ٧١	مشهد بني مازن: ٩٧
الملتزم: ٨١	المصامدة (ولاية): ٤٦

٨٢١
٣ - أسماء الكتب

الكتب العربية

- انعاظ الحنفا ، جمع ابن المقرئ الشافعي ، طبع دار الأيتام السورية بالقدس : ٤٧
الأحجار الكريمة باليمن ، أحمد التيشني : ٧٩
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي : ه ، و ، ٢٥ ، ٢٨
أخبار مكة ، الأزرقى : ٨٢
الإخبار في الفقه ، ابن حيون : ع
أخبار مصر ، ابن ميسر (نشر Massé ، القاهرة ١٩١٩ ، مطبعة المعهد الفرنسي) : ٥٠
اختلاف أصول المذاهب ، المسبحي : ع
أساس التأويل الباطن ، ابن حيون أبو حنيفة النعمان : ف
الإشارات والزيارات ، علي الهروي (مخطوط) : ٩ ، ٣٤ ، ٣٧
الانتصار في الفقه ، ابن حيون : ع
بهجة الزمن في أخبار اليمن ، ضياء الدين عبد الله : ٧٩
تاريخ الخلفاء والأمراء الذين حكموا دمشق ، صلاح الدين بن أبيك الصفدي (مخطوط) : ٣٢ ، ٢٥
تاريخ بيت المقدس ، مجير الدين : ٣٥
تاريخ مصر ، ابن إياس : ٣٩
تجديد ذكرى أبي العلاء ، طه حسين : س
تربية المؤمنين ، ابن حيون : ف
تفسير القرآن ، أبو السمود ، البيضاوي ، الخازن ، الطبري ، الكشاف : ٢٨
الخطط التوفيقية ، علي مبارك : ٥٧
الخطط المقرزية ، المقرئ : ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٩
خلاصة تاريخ الكرد والكرديستان ، ترجمة محمد علي عوني : ٧
دعائم الإسلام ، ابن حيون : ج ، ف
كتاب الدعوة ، ابن حيون : ع
رحلة ابن بطوطة : ٧

- رحلة ابن جبیر : ١٦
رحلة الفابلسی : ٣٣
رحلة البغدادي : ٧٠ ، ٥٦ ، ٤٤
الرسالة الوزيرية ، ابن كلس : ص
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، كامل الدين عمر (مخطوط) : ٦٩
السيرة المؤيدية ، المؤيد الشيرازي (مخطوط) : د
الشاهنامه العربية ، البنداري وعبد الوهاب عزام : م ، ٦
صبح الأعشى ، القلقشندی : ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٣
صورة الأرض ، ابن حوقل النصيبي : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٦ ،
٥٨ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٣
عجائب المخلوقات ، القزويني : ١٦
الفصول والفايات ، أبو العلاء المعري : ١١ (النص)
القرآن الكريم : ١٠ ، ١٢
قصص الأنبياء ، ابن اسحق أحمد : ١٦
الكامل ، ابن الأثير : ١ ، ن ، ت ، ٥ ، ٧ ، ٧٥ ، ٩٦
كشف أسرار الباطنية ، مالك اليميني (نشر الكوثرى) : ث ، ٩٣
مرآة الحرمين ، إبراهيم رفعت : ٨٥
المجالس والمسائرات ، ابن حيون (مخطوط) : ص ، ف
مروج الذهب ، المسعوي : ٧٩
معجم البلدان ، ياقوت الحموي : ١ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٧٨ ، ١٠٤
النجوم الزاهرة ، التفريدي : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٧
وفيات الأعيان ، ابن خلكان : ٥٧

الكتب الفارسية

- تاريخ بيهق ، البيهقي : ١٠٣
تاريخ گزیده ، حمد الله مستوفی القزويني : ٦
تذكرة الشعراء ، دولت شاه : ٥

- جامع التواريخ ، رشيد الدين : ن ، ع
چهار مقاله ، نظامى عروضى (حواشى القزوينى ، مجموعة جب) : ل ، ٦
خوان الإخوان ، ناصر خسرو (نشر يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٠ ، مطبعة المعهد الفرنسى) :
ص ، ١١
ديوان الدقيق : ٦
ديوان منجيك : ٦
ديوان ناصر خسرو : ح ، ر ، ق
راحت الصدور ، الراوندى (نشر محمد إقبال ، مجموعة جب) : ١٠٣
روشتاى نامه ، ناصر خسرو (طبعة برلين) : س
سفر نامه ، ناصر خسرو (نشر غنى زاده فى برلين وشيفر فى باريس) : ز ، ل ، ع ، ش ، ح ،
ط ، ك ، ل ، ٨ ، ٢٢
سياست نامه ، نظام الملك (نشر شيفر) ، ا ، ب ، د ، ٩٤ ، ١٠٣
شاهنامه بايستقر : ل
فرهنگ ناصرى ، رضا قولى خان : ٣٨
قوس نامه ، قطران : ٥
لباب الألباب ، محمد عوفى (نشر برون) : ٥ ، ٦
المصباح ، ناصر خسرو : ص
وجه دين ناصر خسرو (طبعة برلين) : ك

الكتب الأوربية

- Browne : Literary history of Persia : ٥
Diehl et Marçais : Histoire du Moyen-Age III : ٣٩
Durand (Paul) : Manuel d'iconographie chrétienne, grecque et latine : ٣٧
Eyriés : Voyage en Arabie : ٨١ ، ١٢
El-Khachab (Yahya) : Nàsir é Hosraw : ٦٥ ، ص ، ف ، ز ، ٥
Mann : The jews in Egypt : ٣٥
Mez : Die Renaissance des Islam : (نقله للعربية الأستاذ عبد الهادى أبو ريذة) : ٩٣
Minorsky : (مجموعة جب ١١) حدود العالم : ١٠٤
(٩ - سفر نامه)

المقاييس والموازين والنقود التي جاء ذكرها في الرهنة

المقاييس :

الميل : ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع
فرسنگ (الفرسخ) : تسعة آلاف ذراع بذراع القدماء واثنا عشر ألف بذراع المحدثين
گز : ويساوى ٨٠ شبرا أو ١٢٥ م) ويستعملها ناصر بمعنى واحد ، يقصد بهما
ارتش : الذراع (الذراع^(١)
گز الملك (كز شايجان) : أقل قليلا من ذراع ونصف

دستى : الشبر

كام : القدم

انگشت : الإصبع

الشبر .

الموازين :

جو : الحبة

دانگ (دانق) : ٨ حبات

مئقال : ٦ دوانق

سیر : ١٥ مئقالا

مسن : ٤٠ سيرا

خرور : (حمل حمار) : ١٠٠ من

رطل أخلاط : ٣٠٠ درهم

الرطل الظاهرى : ٤٨٠ درهما

النقود :

الدينار المغربى ، وهو الذى كان فى المغرب وفى مصر أيام الفاطميين وكان معروفًا
للطولونيين قبلهم وقد سمي الجيشى والأحمدى والمغربى .
وثلاثة دنانير مغربية تساوى ثلاثة ونصف نيسابورية .

(١) تعليقات غنى زاده على سفرنامه طبعة براين ص ٣٦ .

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN



(1) MEMORIALS OF THE ORDER OF THE KNIGHTS OF ST. JOHN

فهرس الكتاب

تصدير: بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام رئيس معهد اللغات الشرقية

مقدمة:

- ١ - الحياة السياسية في الشرق الإسلامي أيام ناصر خسرو ١ - ١
- ٢ - الحياة الدينية والمذاهب المختلفة ١ - ١
- ٣ - بواعث الرحلة ١ - ١
- ٤ - الاستعداد للرحلة ١ - ١
- ٥ - كتابة الرحلة ١ - ١
- ٦ - مراحل الرحلة ١ - ١
- ٧ - المرحلة الأولى ١ - ١
- ٨ - المرحلة الثانية ١ - ١
- ٩ - المرحلة الثالثة ١ - ١
- ١٠ - ناصر خسرو ورسائله ١ - ١

مفردات:

- ١ - وصف الشام وفلسطين ١ - ١
- ٢٠ - بيت المقدس ٢٠ - ٢٠
- ٢٨ - الدكة ٢٨ - ٢٨
- ٢٨ - قبة الصخرة ٢٨ - ٢٨
- ٣١ - المراقى ٣١ - ٣١
- ٣٣ - كنيسة القيامة ٣٦ - ٣٦
- ٣٧ - وصف مصر ٣٧ - ٣٧
- ٣٨ - ولاية مصر ٤١ - ٤١
- ٤٣ - فيضان النيل ٤٣ - ٤٣
- ٤٦ - مدينة القاهرة ٤٦ - ٤٦
- ٤٦ - فتح الخليج ٥١ - ٥١
- ٥٨ - مائدة السلطان ٦٣ - ٦٣
- ٦٤ - سيرة السلطان ٦٤ - ٦٤
- ٦٤ - صعيد مصر ٧٠ - ٧٠
- ٧٤ - وصف بلاد العرب ٧٤ - ٧٤
- ٧٤ - مكة والحج ٧٥ - ٧٥
- ٧٨ - بلاد العرب واليمن ٧٨ - ٧٨
- ٧٨ - المسجد الحرام والكعبة ٧٩ - ٧٩
- ٨٤ - فتح باب الكعبة ٨٦ - ٨٦
- ٨٦ - عمرة الجمرات ٨٦ - ٨٦
- ٨٩ - مطار ٨٩ - ٨٩
- ٨٩ - التريا ٨٩ - ٨٩
- ٨٩ - جزع ٨٩ - ٨٩
- ٩٠ - سرابا ٩٠ - ٩٠
- ٩٠ - فلج ٩٠ - ٩٠
- ٩٢ - الحسا ٩٢ - ٩٢
- ٩٥ - وصف البصرة ٩٥ - ٩٥
- ٩٨ - أحياء البصرة ٩٩ - ٩٩
- ٩٩ - منارة البحر (الخشاب) ١٠٠ - ١٠٠
- ١٠٧ - وصف إيران ١٠٧ - ١٠٧

كشاف :

أسماء الرجال والقبائل والفرق ١٠٨ - ١١٥
أسماء البلاد والأماكن ١١٦ - ١٢٦
أسماء الكتب ١٢٧ - ١٣٠
المقاييس والموازين والنقود المذكورة في الرحلة ١٣١
الصور (١) ٣٨ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦١
خريطة بأهم المدن التي مر بها ناصر خسرو في رحلته ١٣٥



(١) تفضل الأستاذ قيبت مدير دار الآثار العربية فسمح لنا باستخدام ما نريد من كتيهات الدار لتوضيح رواية ناصر خسرو ، فاستحق منا الشكر ؛ وكذلك تفضل الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق بإعارتنا بعض كتيهاته الخاصة ، فله منا الشكر .



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

**Gaston Wiet
Collection**

10/10/10

10/10/10

10/10/10

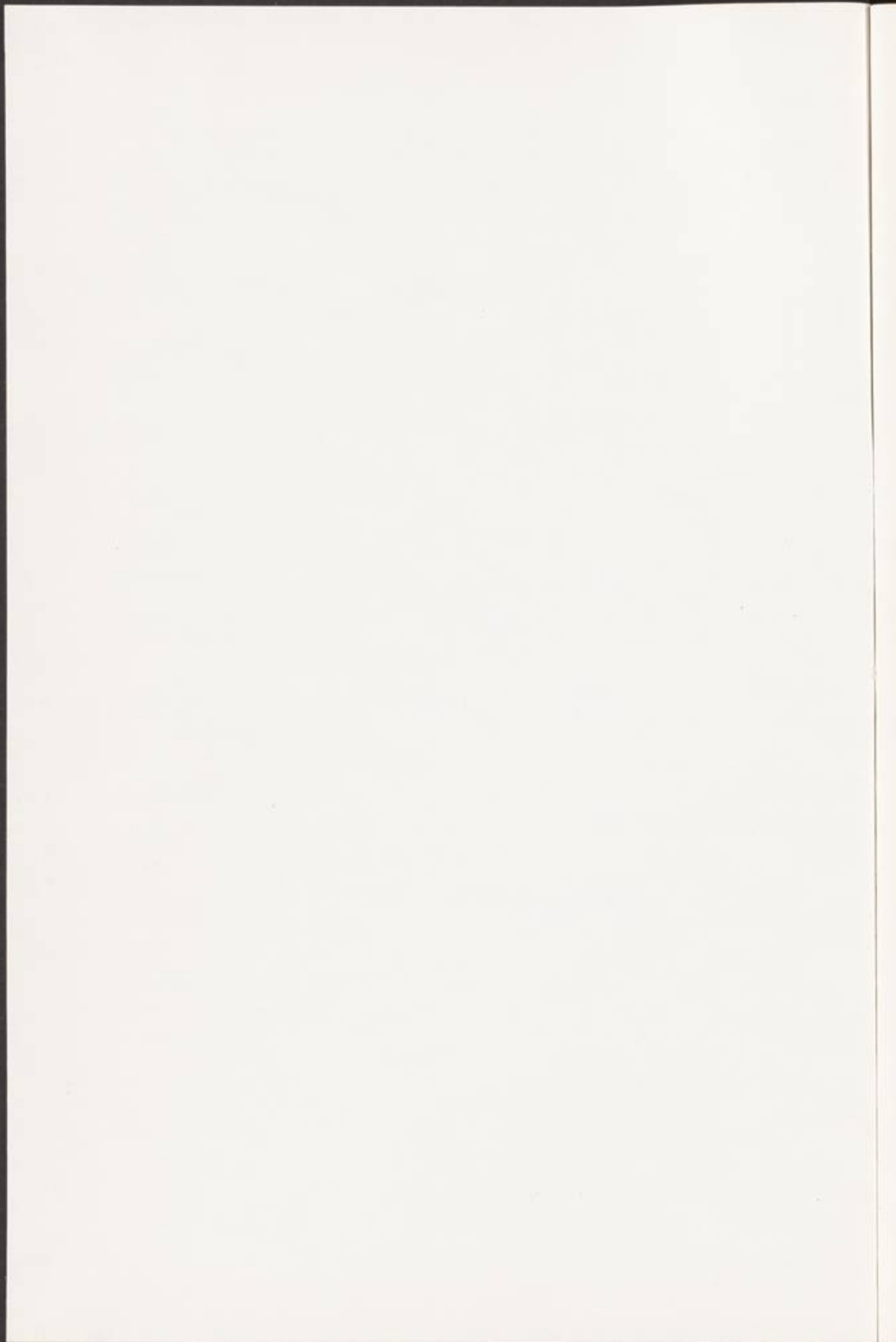
10/10/10

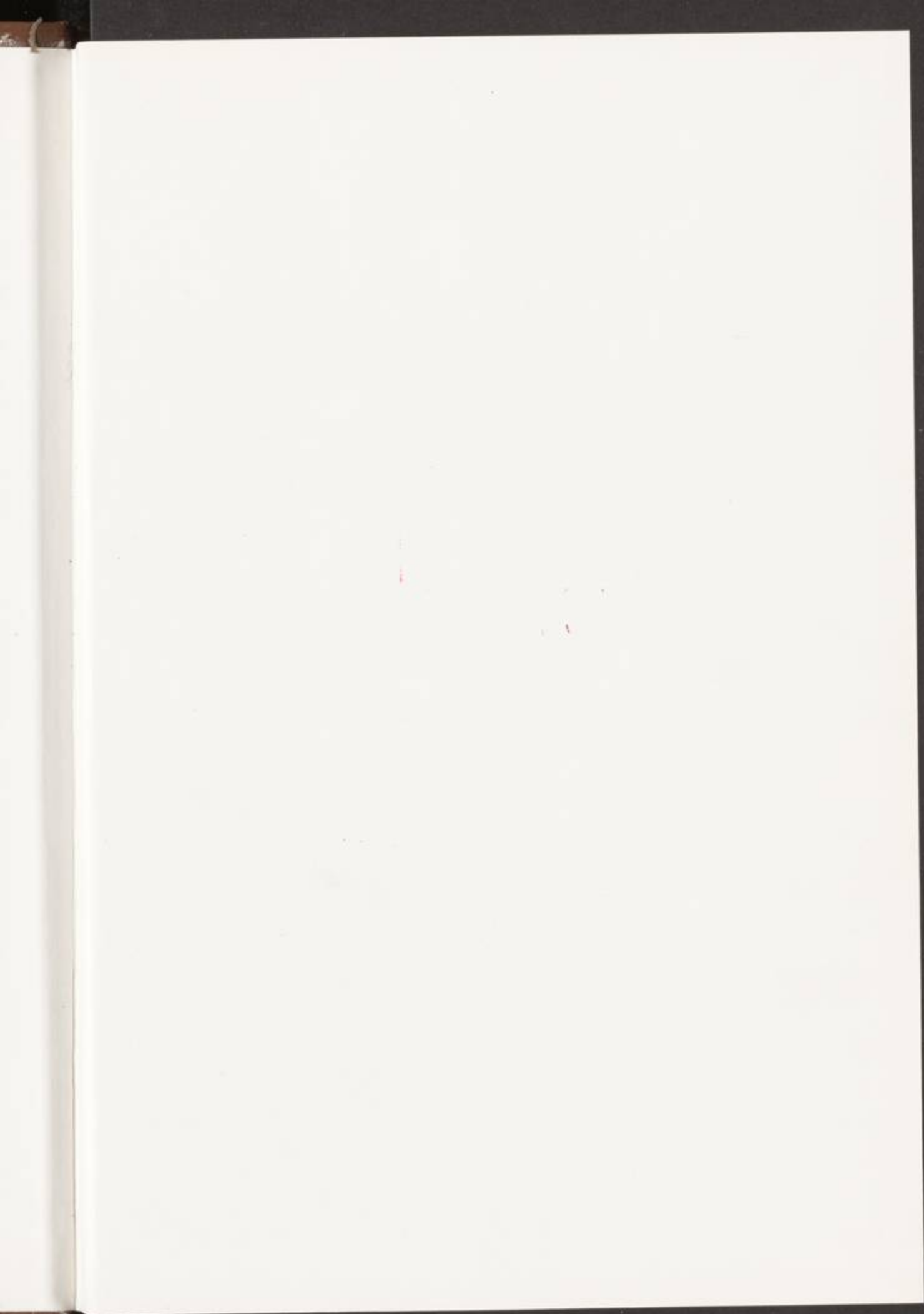
10/10/10

THE UNIVERSITY OF CHICAGO
LIBRARY

1950

1950







**Elmer Holmes
Boyst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 00798 7269

DS46 .N312 1945

Safamamah